



مركز
للبحوث والتحریرات الكمبيوترية

اصبهان

الغلام



عليه السلام

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

مِيقَاتُ الْحَجِّ

تعداد: ١٧٠٠٠٠
رقم المجلد: ١٧٠٠٠٠
رقم العدد: ١٧٠٠٠٠
توزيع: ١٧٠٠٠٠
١٧٠٠٠٠

١٧٠

مِيقَاتُ الْحَجِّ

- تقويم الحج والعمرة
- تقويم الحج والعمرة
- تقويم الحج والعمرة
- تقويم الحج والعمرة
- تقويم الحج والعمرة
- تقويم الحج والعمرة
- تقويم الحج والعمرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
٦	ميقات الحج المجلد ١٧
٦	اشارة
٦	لحج في احاديث الامام الخامنئي مَظَلَّه العالى
٧	نداء الإمام
٨	مناسك الحج لصاحب المعالم (٣)
٣٩	رمى الجمرات في بحث جديد
٦٠	تعريف بكتاب: الحرم المكي... (١)
٩٠	منهج الرشاد لمن أراد السداد (٣)
١٢٥	في رحاب آية الحج
١٥٣	خيبر ذات الحصون والنخيل
١٧٢	الحج في الادب العربي مختارات شعريّة
١٧٧	بلال أحد مؤذن رسول الله
٢٠٣	علل الحج في كتب الصدوق (٣) ابواب علل الاحكام وغيرها
٢٢٦	كتاب التحفة اللطيفة
٢٣٩	مشاكل الحجاج
٢٨٤	معجم ما كتب في الحج والزيارة (١٢)
٣٣٨	تعريف مركز

میقات الحج المجلد ۱۷

اشاره

عنوان و نام پدیدآور : میقات الحج [پیايند: مجله]
 مشخصات نشر : تهران: منظمه الحج و الزياره، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -
 فاصله انتشار : شش ماه يكبار
 يادداشت : عربی
 فهرست نویسی براساس سال ۳ شماره ۵ سال ۱۴۱۷ ق.
 يادداشت : این نشریه در بیروت نیز منتشر می شود
 يادداشت : المديرالمسؤول: محمد محمدی ری شهری
 رئیس التحریر: علی قاضی عسکر
 يادداشت : کتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشریات ادواری
 شناسه افزوده : محمدی ری شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدیر مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵، - سردیر

شناسه افزوده : سازمان حج و زیارت

رده بندی کنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی د... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

ص: ۱

لحج في احاديث الامام الخامنئي مدظله العالی

ص: ٢

العدد السابع عشر

الحجّ في أحاديث الإمام الخامنئي مدّظله العالی

مرّة أخرى حلّ موسم الحجّ... مهوى قلوب المتديّنين، ونعيم الذاكرين، وفرصة الصالحين، وفي هذه الضيافة العامّة يشارك جمعٌ قدّموا من كلّ فجّ عميق...

... الأُمّة الإسلاميّة اليوم هدف لأنواع التهديد والإهانة. الاستكبار الهائج بقيادة النظام الأمريكي وبسمسرة واستثارة النظام الصهيوني، يستغلّ كلّ الاستغلال تفكّك العالم الإسلامي، وتفرّق الشعوب الإسلاميّة...

حوادث سبتمبر في نيويورك، قد أصبحت ذريعةً لتزايد غطرسة البيت الأبيض، ولترتكب دولة الصهاينة جرائم في فلسطين لم يسبق لها نظير.

بعد العمليات المأساويّة، التي ارتكبتها أمريكا في أفغانستان، فإن الطبيعة العسكريّة الفظّة لحكومة أمريكا تعتمد باستمرار إلى رفع وتيرة دفع الساحة العالميّة إلى حالة من اللاأمن، وإلى المجازر والحروب بحجّة مكافحة الإرهاب والدفاع عن السلام في الشرق الأوسط حيث تبدّل إلى ذريعة للبطش والعريضة الأمريكيّة، وغطاء للتوسّع والهيمنة على المصالح والمصادر الحياتيّة للشعوب...

إنّها لطعنة في قلب الحقيقة حين يُطلق اسم الدفاع عن السلام على قتل النساء والرجال والأطفال الفلسطينيين، وهدم بيوتهم على رؤوسهم، وإخراجهم من وطن آبائهم وأجدادهم.

نداء الإمام

ص: ٣

نداء الإمام

فقد قرّر الله سبحانه أن سرّ الحجّ وبواعثه والغاية من الكعبة والبيت الحرام هي نهوض المسلمين وقيامهم في سبيل مصالح الناس والجماهير المستضعفة في العالم.

في هذا التجمّع الإلهي العظيم، الذي لا تستطيع أية قدرة سوى قدرة الله تعالى على أن تعقده، يتوجّب على المسلمين أن يباشروا في دراسة مشاكل المسلمين العامة، ويبدلوا جهودهم على طريق حلّها بالتشاور الشامل.

إحدى أكبر هذه المشاكل وأكثرها أهميّة عدم الوحدة بين المسلمين. ولم يتخذ حتّى الآن مع الأسف اجراء ملموس لتغلّب عليها؛ بل أن الجنّة الطامعين الذين يستغلون الخلافات بين الشعوب والحكومات لصالحهم، يشدّدون هذه الخلافات عن طريق عملائهم الضالّين. وكلّما وضع أساس للوحدة بين المسلمين هبّوا لمحاربته بكلّ قواهم، وعملوا على نشر بذور الخلاف.

مناسك الحج لصاحب المعالم (٣)

ص: ٥

مناسك الحج لصاحب المعالم (٣)

تأليف: جمال الدين العاملي

تحقيق: هادي القبيسي

فصل: [في الإفاضة من عرفة إلى المشعر] (١)

وتجب الإفاضة من عرفة بعد غروب الشمس إلى المشعر.

ويستحب تأخير صلاة العشاءين إليه.

روى معاوية بن عمّار في الصحيح، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا غربت الشمس فأفّض مع الناس وعليك السكينة والوقار، وأفّض من حيث أفاض الناس، واستغفر الله إن الله غفور رحيم، فإذا انتهيت إلى الكثيب الأحمر عن يمين الطريق فقل: اللهم ارحم موقفى وزد عملى وسلّم لى دينى وتقبّل مناسكى.

وإياك والوضف (٢)، الذى يصنعه كثير من الناس، فإنه بلغنا أن الحجّ ليس بوضف

١- ١ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

٢- ٢ قال المصنّف فى منتقى الجمان ٣: ٣٥٢: قال فى القاموس: وُضِفَ البعير: أسرع كأُوضِف... وسنورد الحديث فى الحسان من طريق الكليني وفيه مكان الوضف الوجيف وهو بمعناه، وربما كان أحدهما تصحيفاً للآخر، لكنّه غير ضار، قال فى القاموس: وجف البعير أسرع كوحف، وفى الصحاح: الوجيف: ضرب من سير الإبل والخيّل. انتهى.

وفى النهاية: الوجيف ضرب من السير السريع، وقال: الإيجاف سرعة السير وقد أوجف دابّته يوجفها إيجافاً إذا حثّها. النهاية ٥: ١٥٧، وجف.

ص: ٦

الخيـل ولا إيضاع، (١) الإبل - يعنى الإسراع فى السير - ولكن اتقوا الله وسيروا سيراً جميلاً، ولا- توطئوا ضعيفاً، ولا توطئوا مسلماً، واقتصدوا فى السير، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقف بناقته حتى يصيب رأسها مقدم الرحـل. ويقول: يا أيها الناس عليكم بالدعة، فسنة رسول الله صلى الله عليه وآله تتبع.

قال معاوية بن عمار وسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

.... اللهم اعتقني من النار. يكرزها حتى أفاض الناس، قلت: ألا تفيض قد أفاض الناس؟ قال: إني أخاف الزحام وأخاف أن اشرك في عنت إنسان» (٢).

وروى الكليني عن عبد الله بن سنان فى الصحيح، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال:

«يوكّل الله عزّوجلّ ملكين بمأزمتى عرفه، فيقولان: سلّم سلّم» (٣).

وفى الصحيح عن سعيد الأعرج عنه عليه السلام، قال: «ملكان يفرجان للناس ليلة مزدلفة عند المأزمتين» (٤).

وروى محمد بن مسلم فى الصحيح، عن أحدهما عليهما السلام، قال: «لا تصلّى المغرب حتى تأتى جمعاً، وإن ذهب ثلث الليل» (٥).

وفى صحيح هشام بن الحكم، عن أبى عبد الله عليه السلام: «لا بأس أن يصلّى الرجل المغرب، إذا أمسى بعرفة» (٦).

١- ١ الإيضاع: الاسراع. وكان أهل الجاهلية يفيضون بإيجاف الخيل وإيضاع الإبل، أى اسراعها. مجمع البحرين ٤: ٤٠٥، وضع.

٢- ٢ الوسائل ١٤: ٥ باب ١ من أبواب الوقوف بالمشعر حديث ١. باب ٢ من أبواب الوقوف بالمشعر حديث ١.

٣- ٣ الكافي ٤: ٤٦٨ باب الإفاضة من عرفات حديث ٥.

٤- ٤ الوسائل ١٤: ٧ باب ٢ من أبواب الوقوف بالمشعر حديث ٢.

٥- ٥ الوسائل ١٤: ١٢ باب ٥ من أبواب الوقوف بالمشعر حديث ١.

٦- ٦ المصدر السابق حديث ٣.

ص: ٧

وروى الشيخ في الصحيح عن ربيع بن عبد الله، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «عثر محمل أبي بين عرفه والمزدلفة، فنزل فصلّى المغرب، وصلّى العشاء بالمزدلفة» (١).

وروى أبان بن تغلب في الصحيح، قال: «صلّيت خلف أبي عبد الله عليه السلام المغرب بالمزدلفة، فقام فصلّى المغرب، ثمّ صلّى العشاء الآخرة، ولم يركع فيما بينهما، ثمّ صلّيت خلفه بعد ذلك بسنة، فلما صلّى المغرب، قام فتنفّل بأربع ركعات» (٢).

وفي صحيح منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «صلاة المغرب والعشاء بجمع بأذان واحد وإقامتين، ولا تصلّ بينهما شيئاً، وقال: هكذا صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله» (٣).

وروى معاوية بن عمّار في الصحيح، أنّ «حدّ المشعر من المأزمين إلى الحياض وإلى وادي محسر، قال: وإنما سميت المزدلفة، لأنهم ازدلفوا إليها من عرفات» (٤).

وفي صحيح زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ حدّ المزدلفة ما بين المأزمين إلى الجبل إلى حياض محسر» (٥).

وروى الكليني في الحسن، عن معاوية بن عمّار والحلي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «لا- تصلّ المغرب حتّى تأتي جمعاً، فتصلّى بها المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين. وانزل ببطن الوادي، عن يمين الطريق قريباً من المشعر. ويستحبّ للصورة أن يقف على المشعر الحرام ويطأه برجله، ولا يجاوز الحياض ليلة المزدلفة، ويقول: «اللهم هذه جمع، اللهم إني أسألك أن تجمع لي

١- ١ التهذيب ٥: ١٨٩، باب نزل المزدلفة، حديث ٥، الوسائل ١٤: ١٢ باب ٥ من أبواب الوقوف بالمشعر، حديث ٤.

٢- ٢ الوسائل ١٤: ١٥ باب ٦ من أبواب الوقوف بالمشعر، حديث ٥.

٣- ٣ المصدر السابق، حديث ٣.

٤- ٤ الوسائل ١٤: ١٧ باب ٨ من أبواب الوقوف بالمشعر حديث ١.

٥- ٥ المصدر السابق، حديث ٢.

ص: ٨

فيها جوامع الخير، اللهم لا- تؤيسني من الخير الذي سألتك أن تجمع له لي في قلبي، وأطلب إليك أن تعرفني ما عرفت أولياءك في منزلي هذا، وأن تقيني جوامع الشر». وإن استطعت أن تحيي تلك الليلة، فافعل فإنه بلغنا أن أبواب السماء لا تغلق تلك الليلة لأصوات المؤمنين، لهم دوى كدوى النحل، يقول الله عزّ ثناؤه:

أنا ربكم وأنتم عبادي أديتم حقّي، وحقّ عليّ أن أستجيب لكم. فيحطّ تلك الليلة عمّن أراد أن يحطّ عنه ذنوبه، ويغفر لمن أراد أن يغفر له (١).

ولا يخفى أن المقصود من المشعر في هذا الحديث خلاف ما قصد به أوّلًا. وكلام الأصحاب في تعيينه مختلف. وربما يرجح كونه في موضع البناء الموجود هنالك الآن.

[في المبيت بالمشعر] (٢) واعلم أن المبيت بالمشعر بقيّة الليلة واجب في الحجّ كما عرف سابقاً، فيراعى التّيه وقت وصوله إليه، فإذا طلع الفجر وجب الوقوف به بمعنى الكون كما مرّ في الوقوف بعرفة، فيستحضر التّيه عند طلوع الفجر. والمشهور تحديد منتهى (٣) الوقوف بطلوع الشمس.

وروى معاوية بن عمّار في الحسن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أصبح على طهر بعدما تصلّى الفجر، وقف إن شئت قريباً من الجبل، وإن شئت حيث تبيت (٤)، فإذا وقفت فاحمد الله عزّ وجلّ، واثن عليه، واذكر من آلائه وبلائه ما قدرت عليه، وصلّ على النّبي صلى الله عليه وآله، وليكن من قولك: «اللهم ربّ المشعر الحرام فكّر رقبتى من النار، وأوسع عليّ من رزقك الحلال، وادراً عني شرّ فسقة الجنّ والإنس،

١- ١ الكافي ٤: ٤٦٨، باب ليلة المزدلفة والوقوف بالمشعر، حديث ١. إلّا أنّ السند هكذا: عن معاوية بن عمّار وحمّاد، عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام..

٢- ٢ ما بين المعقوفين من هامش ن.

٣- ٣ في ن: «تجديد التّيه فينتهى».

٤- ٤ في المصدر حيث شئت.

ص: ٩

اللَّهُمَّ أنت خير مطلوب إليه، وخير مدعوٍّ وخير مسؤول، ولكلِّ وافد جائزة، فاجعل جائزتي في موقفى هذا، أن تقلبنى عثرتى، وتقبل معذرتى، وأن تجاوز عن خطيئتي، ثم اجعل التقوى من الدنيا زادى». ثم أفض حيث يشرق لك ثبير وترى الإبل مواضع أخفافها» (١). وفي صحيح معاوية بن عمار عنه عليه السلام، المتضمن لبيان حج رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنه أقام بالمزدلفة حتى صلى فيها الفجر، وعجل ضعفاء بنى هاشم بالليل، فلما أضاء له النهار أفاض» (٢).

وروى هشام بن الحكم فى الحسن عنه عليه السلام قال: «لاتجاوز وادى محسير حتى تطلع الشمس» (٣). أورده الكليني فى باب الوقوف بالمشعر والإفاضة منه (٤).

ويستحب التقاط الحصى لرمى الجمار من المشعر: فيأخذ منها مقدار الحاجة وهو سبعون حصاة، ولا بأس بالزيادة عنه؛ لاحتمال سقوط بعضها، أو عدم إصابتها حال الرمي.

وفى حسنة هشام بن الحكم عنه عليه السلام فى حصاء الجمار قال: «كره الصم منها وقال: خذ البرش» (٥).

وفى حسنة معاوية بن عمار وربيعي، عنه عليه السلام، قال: «خذ حصى الجمار من جمع، وإن أخذته من رحلك بمنى أجزأك» (٦). وفى حسنة زرارة عنه عليه السلام، قال: حصى الجمار إن أخذته من الحرم أجزأك،

١- ١ الوسائل ١٤: ٢٠ باب ١١ من أبواب الوقوف بالمشعر، حديث ١.

٢- ٢ الكافي ٤: ٢٤٧ باب حج النبي صلى الله عليه وآله حديث ٤.

٣- ٣ الوسائل ١٤: ٢٥ باب ١٥ من أبواب الوقوف بالمشعر، حديث ٢.

٤- ٤ الكافي ٤: ٤٧٠ باب الوقوف بالمشعر والإفاضة منه، حديث ٦.

٥- ٥ الوسائل ١٤: ٣٣ باب ٢٠ من أبواب الوقوف بالمشعر، حديث ١.

٦- ٦ الوسائل ١٤: ٣١ باب ١٨ من أبواب الوقوف بالمشعر، حديث ١.

ص: ١٠

وإن أخذته من غير الحرم لم يجزئك. قال: وقال: لا ترم الجمار إلّا بالحصى» (١) وإذا أفاض من المشعر وبلغ وادى محسر، استحب له الإسراع فيه، والدعاء حالته.

روى ذلك معاوية بن عمّار في الصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا مررت بوادى محسر - وهو وادى عظيم بين جمع ومنى، وهو إلى منى أقرب - فاسع فيه حتى تجاوزه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله حرّك ناقته فيه، وقال: «اللهم سلّم عهدى، واقبل توبتى وأجب دعوتى، واخلفنى بخير فيمن تركت بعدى» (٢).

وروى محمد بن إسماعيل بن بزيع في الصحيح، عن أبي الحسن عليه السلام، قال:

«الحرّك في وادى محسر مائة خطوة» (٣).

فصل: [فى الوقوف بالمشعرين] (٤)

واعلم أنّ للوقوفين أحكاماً مختلفة بحسب اختلاف حال الناسكين.

بالاختيار والعذر، ومن جهة صحّة الحجّ، بتقدير الإخلال ببعض الواجب منهما وعدمها، وتفصيل القول فى ذلك، أنّ ما تقدّم بيانه من التوقيت فى الوقوفين معاً وهو وقت المختار. ويجوز لذوى الأعذار والنساء الاقتصار فى الوقوف بالمشعر على الليل، والإفاضة إلى منى قبل طلوع الفجر.

روى هشام بن سالم فى الصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال - فى التقدّم من منى إلى عرفات قبل طلوع الشمس -: «لا بأس به». والتقدّم من مزدلفة إلى منى يرمون الجمار، ويصلّون الفجر فى منازلهم «لا بأس» (٥).

وحمل على العذر فى حقّ الرجال لما مرّ فى صحيح معاوية بن عمّار من حكاية

١- ١ الوسائل ١٤: ٣٢ باب ١٩ من أبواب الوقوف بالمشعر، حديث ١.

٢- ٢ الوسائل ١٤: ٢٢ باب ١٣ من أبواب الوقوف بالمشعر، حديث ١.

٣- ٣ المصدر السابق ص ٢٣ حديث ٣.

٤- ٤ ما بين المعقوفين زياد من ن.

٥- ٥ الوسائل ١٤: ٣٠ باب ١٧ من أبواب الوقوف بالمشعر، حديث ٨.

ص: ١١

فعل النبي صلى الله عليه وآله وتعجيله لضعفاء بني هاشم. وترك على عمومته في النساء، للتصريح بالإذن لهنّ في التقدّم فيما رواه الكليني، عن سعيد الأعرج، في الصحيح المشهور.

قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك معنا نساء، فأفيض بهنّ بليل؟

قال: «نعم تريد أن تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: نعم، فقال: أفض بهنّ بليل، ولا تفيض بهنّ حتّى تقف بهنّ بجمع - وساق الحديث إلى أن قال: - وقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل معهنّ اسامة» (١).

والمشهور بين الأصحاب صحّة حجّ المفيض ليلاً من غير عذر، وإن أتم مع التعمّد، لكن يجب عليه في صورة العمد شاء، ومع النسيان لا شيء عليه، وفي الجاهل قولان (٢).

وبحكم العامد وعدم وجوب شيء على الجاهل حديث من الحسن لمّس جمع، عن أبي إبراهيم عليه السلام (٣). ولعلّ النسيان داخل في العذر. ثم إنّ القدر (٤) المعتبر في صحّة الحجّ من الوقوف للمختار، هو مسّ الكون فيما بين زوال الشمس وغروبها في عرفه، وما بين طلوع الفجر والشمس في المشعر، وباقي الكون واجب لا غير؛ وإن وجبت البدنة على المفيض من عرفه قبل أن تغيب الشمس، ووقت المضطرّ في عرفه ليلة النحر. وفي المشعر ما بين طلوع الشمس وزوالها يوم النحر. ولا ريب في أجزاء الاضطراري لأحدهما مع اختياري الآخر، وفي أجزاء اختياري المشعر وحده، كما لا ريب في عدم أجزاء اضطراري عرفه وحده.

١-١ الوسائل ١٤: ٢٨ باب ١٧ من أبواب الوقوف بالمشعر، حديث ٢.

٢-٢ أحدهما إلحاقه بالعامد فيجب عليه شاء وهو قول الشهيد في المسالك ٢: ٢٨٦، والآخر إلحاقه بالناسي فلا شيء عليه وهو ما احتمله بعض الناس، كذا عبّر عنهم في الجواهر ١٩: ٧٩.

٣-٣ الوسائل ١٤: ٢٧ باب ١٦ من أبواب الوقوف بالمشعر، حديث ١. «في رجل وقف مع الناس بجمع ثم أفاض قبل أن يفيض الناس، قال: إن كان جاهلاً فلا شيء عليه، وإن كان أفاض قبل طلوع الفجر فعليه دم شاء».

٤-٤ في ن و م: العذر بدل القدر.

ص: ١٢

وأما سائر الأقسام، وهي اختياري عرفة وحده، واضطرابي المشعر وحده، والاضطرابيان. والمشهور في الأول بحيث لا- يعرف فيه خلاف، إلّا من العلامة في المنتهى أنّه غير مجزئ، ومختاره في المختلف (١) الإجزاء، وهو متأخر عن المنتهى، فيكون رجوعاً إلى الموافقة. لكن الشأن في تحقّق الإجماع بهذا القدر؛ ليكون دليلاً على الحكم، إذ (٢) الأمر منحصر فيه؛ وكأنّ فتوى العلامة في المنتهى بعدم الإجزاء ينفيه. وللاصحاب في حكم الثاني اختلاف، منشؤه إطلاق (٣) ظاهر الأخبار فيه.

والأظهر عندي: عدم إجزائه، وقد حقّقنا وجهه في المنتقى (٤)، ومثله القول في الثالث، فإنّ الخلاف فيه واقع. وبالإجزاء حديث من مشهورى الصحيح واضح الدلالة، إلّا أنّ الاعتماد على مثله في حكم مخالف للأصل مشكل.

فصل: [في مناسك منى يوم النحر] (٥)

إذا وصل المتمتع إلى منى، أخذ في أداء مناسكها يوم النحر، وهي ثلاثة مترتبة: أوّلها: رمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بسبع حصيات حرميّة أبكار، ناوياً له في أوّله كغيره بصورة ما سلف، مصيباً للجمرة في كلّ حصاة.

ويستحبّ فيه الطهارة من الحدث، وقيل: يجب (٦)، فمراعاتها أحوط، والمشي إليه مع عدم العذر. واستدبار القبلة. ومقابلة الجمرة. والتباعد عنها بعشرة أذرع

١- ١ المختلف ٤: ٢٥١.

٢- ٢ في ص: «إذا».

٣- ٣ في م و ن: «اختلاف» بدل «إطلاق».

٤- ٤ منتقى الجمان ٣: ٣٥٦.

٥- ٥ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

٦- ٦ والقاتل: المفيد والسيد المرتضى، كما عنهما في المدارك ٨: ١٠.

ص: ١٣

إلى خمسة عشر.

والرمي خذفاً. ويُعزى إلى جماعة من الأصحاب إيجابه (١)، واختلفوا في كفيته، ف قيل (٢): إن الحصاة توضع فيه على ظهر الإبهام. وقيل: على بطنها والدفع بالسبابة في قول (٣)، وبالوسطى في آخر (٤).

روى الكليني بإسناد غير نقي، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن [الرضا عليه السلام] (٥) قال: «حصى الجمار يكون مثل الأنملة، ولا تأخذها سوداء ولا بيضاء ولا حمراء، خذها كحليّة منقطة. تخذفهن خذفاً وتضعها على الإبهام وتدفعها بظفر السبابة» (٦). الحديث. وموافقة الرواية أولى.

وروى معاوية بن عمار في الحسن، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «خذ حصى الجمار، ثم ائت الجمره القصوى التي عند العقبة، فارمها من قبل وجهها، ولا ترمها من أعلاها، وتقول والحصى في يدك: «اللهم هؤلاء حصياتي، فاحصن لي وارفعهن في عملي». ثم ترمي وتقول مع كل حصاة: «[الله أكبر] اللهم ادر عنى الشيطان، اللهم تصديقاً بكتابك وعلى سنة رسولك صلى الله عليه وآله اللهم اجعله حجاً مبروراً، وعملاً مقبولاً، وسعيّاً مشكوراً، وذنباً مغفوراً». وليكن فيما بينك وبين الجمره قدر عشرة أذرع أو خمسة عشر ذراعاً. فإذا أتيت رحلك، ورجعت من الرمي فقل: اللهم بك وثقت، وعليك توكلت، فنعم الرب، ونعم المولى، ونعم النصير؛ قال: ويستحب أن ترمي الجمار على طهر» (٧).

١-١ منهم السيد المرتضى وابن إدريس كما عنهما في المدارك ٨: ١١.

٢-٢ والقائل أبو الصلاح كما عنه في المدارك ٨: ١٢.

٣-٣ لابن البراج، المصدر السابق.

٤-٤ للسيد المرتضى، المصدر السابق.

٥-٥ ما بين المعقوفين لم ترد في ن.

٦-٦ الكافي ٤: ٤٧٨ باب حصى الجمار ومن أين تؤخذ، حديث ٧.

٧-٧ الوسائل ١٤: ٥٨ باب ٣ من أبواب رمي جمره العقبة، حديث ١.

ص: ١٤

وفى خبر من الصحيح المشهورى، عن أبى عبد الله عليه السلام قلت: ما أقول إذا رميت؟ قال: «كبر مع كل حصاة» (١).
وثانيها: ذبح الهدى، وأقل الهدى الواجب على المتمتع شاة، وأوسطه بقرة، وأفضله بدنة، ويجزى فى الشاة الجذع من الضأن لا المعز، فيعتبر فى الهدى منه أن يكون ثنياً، وكذا البقر والإبل والمعروف فى كلام الأصحاب أن الجذع من الضأن ما له سبعة أشهر أو ستة (٢) على اختلاف الرايين فيه. وأن الثنى من الغنم والبقر ما دخل فى الثانية.
والمشهور فى كلام أهل اللغة (٣) أن ولد الضأن فى أول سنة حمل، ثم يكون فى الثانية جذعاً، وفى الثالثة ثنياً. والمعز فى أول سنة جدى، وفيما بعدها كولد الضأن، فلا يصير ثنياً إلا فى الثالثة.
وكذا البقر، وهذا الخلاف يثمر نوع إشكال؛ لعدم تحقق الإجماع من الأصحاب؛ ليكون هو الحجة فى عدم الالتفات إلى كلام أهل اللغة. وحيث إن الاحتياط فى ذلك سهل، فلا ينبغي أن يعدل عنه.
وأما الإبل، فكلام الكل متفق على أن الثنى منها ما دخل فى السادسة.
ويعتبر فى الهدى أن يكون تام الخلق، غير مهزول.
ويستحب كونه من إناث الإبل والبقر، وفحول الغنم، وأن يكون ممّا عرّف به. ويكفى فيه إخبار البائع.
ثم إن تولّى الذبح بنفسه نواه بصورة ما مرّ. وإن استتاب فيه، فالأولى أن

١- ١ الوسائل ١٤: ٦٧ باب ١١ من أبواب رمى جمرة العقبة، حديث ١.

٢- ٢ ذهب إلى الستة العلامة فى التذكرة والمنتهى، وإلى السبعة المقدّس الأردبيلي فى مجمع الفائدة والبرهان، كما عنهما فى المدارك ٨/ ٣٠.

٣- ٣ انظر الصحاح للجوهري ٤: هامش ص ١٧٠٨، وتاج العروس ٧: ٣٤٢، ولسان العرب ١١: ٢٨٠.

ص: ١٥

ينويه معاً، ولو انفرد بها النائب، فالظاهر الإجزاء، وفي المستتيب نظر (١).

وروى معاوية بن عمار، في الصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا اشتريت هديك، فاستقبل به القبلة وانحره أو اذبحه، وقل: «وجَّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إنَّ صلاتي ونُسكى ومحياي ومماتي لله ربَّ العالمين، لا شريك له، وبذلك امرت وأنا من المسلمين، اللهم منك ولك، بسم الله والله أكبر، اللهم تقبل مني. ثم أمر السَّكِين» (٢).

الحديث.

ويجب بعد ذبح الهدى الأكل منه، والإطعام. أمّا الأكل فيكفي فيه مسماه، وإن كان الأكل التأسى فيه بفعل النبي صلى الله عليه وآله وأمر المؤمنين عليه السلام.

فقد روى في الصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام «أنهما لما نحرا بدنهما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يؤخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم، ثم يوضع في برمة (٣) ثم يطبخ، فأكل منها هو وعلى صلوات الله عليهما، وحسيا من مرقها» (٤).

وأما الإطعام، فأقوال الأصحاب فيه مختلفة، ومداركها مضطربة.

والذي يقوى في نفسه أنه إن وجد القانع والمعتز، وجب إطعامهما ما يناسب حالهما.

وقد اختلف في معناهما جمهور أهل اللغة على أن القانع السائل، والمعتز

١- ١ اشتهر في كلام الأصحاب استحباب جعل يد المستتيب مع يد النائب في الذبح، والذي في بعض الأخبار الحسنه أن على بن الحسين عليهما السلام كان يجعل السَّكِين في يد الصبي ثم يقبض الرجل على يد الصبي فيذبح، وبه استدلل على الحكم بعض المتأخرين ولا دلالة فيه على مدعاهم. «منه رحمه الله»

٢- ٢ الوسائل ١٤: ١٥٢ باب ٣٧ من أبواب الذبح، حديث ١.

٣- ٣ البرمة: القدر من الحجر. المصباح: ٤٥ برم.

٤- ٤ الوسائل ١٤: ١٦٢ باب ٤٠ من أبواب الذبح، حديث ١١.

ص: ١٦

المتعرض للعطية من غير أن يسأل (١).

وفى خبر من مشهورى الصحيح: «أنَّ القانع هو الذى يقنع بما أرسلت إليه من البضعة فما فوقها، والمعتز ينبغى له أكثر من ذلك هو أغنى من القانع، يعتريك فلا يسألك» (٢). وهذا ينافى اعتبار السؤال فى معنى القانع؛ ويناسب ما ذهب إليه بعض الأصحاب (٣) من وجوب إهداء بعض الهدى، لكنّه غير ناهض بإثبات الحكم. فالظاهر ترجيح مراعاة السؤال.

وإن لم يوجد قانع ولا معتز، وجب إطعام الفقير ما يصدق معه الاسم عرفاً. ويستحبّ صرف ثلثى الهدى إلى القانع والمعتز والمساكين، ولو احتاط بإهداء الثلث إلى من لا يسأل من الفقراء، والصدقة بالثلث الآخر خروجاً من خلاف الموجب لذلك كان أكمل، لكن مع مراعاة صدق إطعام القانع والمعتز، بتقدير وجودهما. ولا يعتبر فى السائل الإيمان على الأظهر.

وإذا لم يجد المتمتع هدياً أو لم يقدر على ثمنه، وجب عليه أن يصوم بدله ثلاثة أيام متوالية فى ذى الحجة، وسبعة إذا رجع إلى أهله. وإن جاور آخر صومها مقدار مسيره إلى أهله أو شهراً، ثم يصومها. ويتأكد فى صوم الثلاثة استحباب كونها يوماً قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة، فإن فاته ذلك فليصمها بعد انقضاء أيام التشريق فى مقامه بمكة. وإن لم يقم فى الطريق أو فى أهله. وثالثها: حلق الرأس أو التقصير بنحو ما مرّ فى العمرة مخيراً بينهما، والحلق أفضل وخصوصاً للضرورة، بل حتم الشيخ (٤) عليه الحلق وليس

١-١ المصباح: ٥١٧، لسان العرب ٨: ٢٩٧، قنع.

٢-٢ الوسائل ١٤: ١٦٠ باب ٤٠ من أبواب الذبح، حديث ٣.

٣-٣ منهم ابن إدريس فى السرائر، والشهيدان فى الدروس والمسالك، واستقره العلامة فى المختلف كما عنهما فى المدارك ٨: ٤٣.

٤-٤ النهاية: ٢٦٢. وهو مذهب المفيد كما فى المقنعة: ٤١٩.

ص: ١٧

بواضح (١). ويتعين التقصير على المرأة، والحلق على من عقص شعره أو لئده، بأن جعل فيه شيئاً من الصمغ؛ لئلا يشعث في الإحرام؛ ولا يختص ذلك بالحج، بل يتعين في الإحلال من العمره، وإن كانت تمتعاً على الأظهر، وفقاً للمفيد (٢)، وظاهر الشيخ في التهذيب (٣). فإذا أراد الحلق أمر الحلق بوضع موسى على قرنه الأيمن استحباباً، ونوى الحلق بصورة ما مرّ، ثم يأمره أن يحلق، ويسمى هو ويدعو استحباباً أيضاً، فيقول: «اللهم أعطني بكل شعرة نوراً يوم القيامة» ويستحب دفن الشعر بمنى. ويجب على من خرج من منى قبل الحلق أو التقصير، أن يعود إليها فيحلق بها أو يقصّر، وإن تعذر عليه الرجوع حلق أو قصّر مكانه، وبعث بالشعر إلى منى وجوباً على الأحوط. واعلم أن الترتيب بين المناسك الثلاثة على الوجه الذي ذكرناه مع كونه واجباً على الأظهر، لا حرج في خلافه مع الجهل أو النسيان، والظاهر اختصاص أثره مع التعمد بالإثم. ثم إنه بالحلق أو التقصير الواقع بعد النسكين الآخرين، يتحلل من جميع ما حرّم عليه بالإحرام سوى الطيب والنساء والصيد. فيتوقف الأول على طواف الحج وسعيه، والآخران على طواف النساء.

- ١- ١ أقول: ولست أدري عدم وضوحه بعد بيانه لمدرّك هذا الحكم في التهذيب ٥: ٢٤٣، حديث ٨٢١، في صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ينبغي للضرورة أن يحلق، وإن كان قد حجّ فإن شاء قصر وإن شاء حلق. وكذا ما رواه عن بكر بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس للضرورة أن يقصر. حديث ٨٢٠، وما رواه الكليني بإسناده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: على الضرورة أن يحلق رأسه ولا يقصر إنما التقصير لمن حجّ حجة الإسلام. حديث ٨١٩.
- ٢- ٢ لم نعثر عليه، وقد نسبه إليه المصنّف في المنتقى.
- ٣- ٣ التهذيب ٥: ١٦٠، باب الخروج إلى الصفا، ذيل حديث ٥٧، بل وصريحه في النهاية: ٢٦٢.

ص: ١٨

ويستحب له ترك تغطية الرأس، ولبس الثياب، واستعمال الطيب حتى يفرغ من مناسكه كلها.

فصل:

وينبغي للمتمتع أن يزور البيت للطواف والسعي يوم النحر، أو من الغد، ولا بأس بالتأخير إلى النفر، إلا أن التعجيل أفضل. وصار بعض الأصحاب إلى منعه من التأخير عن الغد، وليس بمعتمد. وإنما يظهر أثره في حصول الإثم؛ للاتفاق على صحة الطواف والسعي طول ذي الحجة.

ويستحب الغسل للزيارة والدعاء عند الانتهاء إلى باب المسجد. بما رواه معاوية بن عمّار في الحسن، عن أبي عبد الله عليه السلام في زيارة البيت يوم النحر، قال:

«زره فإن شغلت، فلا- يضرك أن تزور البيت من الغد، ولا تؤخره أن تزور من يومك، فإنه يكره للمتمتع أن يؤخره، وموسع للمفرد. فإذا أتيت البيت يوم النحر، فقامت على باب المسجد، قلت: «اللهم أعنني على نسكك، وسلمني له وسلمه لي، أسألك مسألة العليل الذليل المعترف بذنبه، أن تغفر لي ذنوبي، وأن ترجعني بحاجتي، اللهم إني عبدك، والبلد بلدك، والبيت بيتك، جئت أطلب رحمتك وأؤم طاعتك، متبعاً لأمرك، راضياً بقدرك، أسألك مسألة المضطر إليك، المطيع لأمرك، المشفق من عذابك، الخائف لعقوبتك، أن تبلغني عفوكم، وتجبرني من النار برحمتكم». ثم تأتي الحجر الأسود فتستلمه وتقبله، فإن لم تستطع فاستلمه بيدك، وقبل يدك، فإن لم تستطع فاستقبله وكبر، وقل كما قلت حين طفت بالبيت يوم قدمت مكّة، ثم طف بالبيت سبعة أشواط كما وصفت لك يوم قدمت مكّة، ثم صلّ عند مقام إبراهيم عليه السلام ركعتين: تقرأ فيهما بقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون، ثم ارجع إلى الحجر الأسود فقبله إن استطعت، واستقبله وكبر، ثم اخرج إلى الصفا، فاصعد عليه، واصنع كما صنعت يوم دخلت مكّة، ثم ائت المروة فاصعد عليها، وطف بينهما سبعة أشواط، تبدأ بالصفا وتختتم بالمروة،

ص: ١٩

فإذا فعلت ذلك، فقد أحللت من كل شيء أحرمت منه إلا النساء، ثم ارجع إلى البيت وطف به اسبوعاً آخر، ثم تصلّي ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام، ثم قد أحللت من كل شيء، وفرغت من حجك كله، وكل شيء أحرمت منه» (١).

وهذا الحديث وافٍ ببيان أفعال الزيارة، مع التنبيه على مشاركة الطوافين والسعي لطواف العمرة في الأحكام التي سلف تحريرها، ولا يحتاج إلى إعادة القول في تفصيلها، بل يراجع ما لم يحفظ منها هناك، كما تلاحظ نيات هذه الأفعال في محلّها إن دعت الحاجة إليها (٢).

وإذا فرغ من الطواف والسعي، وجب عليه العود إلى منى ليبيت بها ليالي التشريق الثلاث، ويرمي في أيامها الجمرات الثلاث. ويجوز- إن اتقى الصيد والنساء في إحرامه على المشهور (٣) بين الأصحاب- ترك مبيت الثالثة، إلا أن تغرب الشمس وهو بمنى، فيتعين عليه مبيتها. ورمي اليوم الثالث تابع لمبيت ليلته.

ولكل من المبيت والرمي أحكام نوضحها:

أمّا المبيت: فينبغي استحضار نيته في كل ليلة عند الغروب على الوجه الذي مرّ في بحث النية. والواجب منه هو الكون بها إلى أن ينتصف الليل، ولا بأس بالخروج منها بعده. ولو بات بغيرها كان عليه عن كل ليلة شاء. ويستثنى من ذلك ما إذا كان قد زار البيت نهاراً فيشغله نسكه عن الرجوع قبل الليل، بل الظاهر جواز الخروج للزيارة، وقضاء النسك وإن دخل الليل، لكنّه يقتصر على مقدار الإتيان بالطواف والسعي. ويبادر إذا فرغ منها ليلاً بالعود إلى منى. والأفضل تحرّى بلوغها قبل الانتصاف، فإن لم يتفق فقبل الفجر، ويتعين عليه الخروج من

١- ١ الكافي ٤: ٥١١، باب الغسل والزيارة فيها، حديث ٤، وأورد بعضه في الوسائل ١٤: ٢٤٩، باب ٤ من أبواب زيارة البيت، حديث ١.

٢- ٢ كما مرّ سابقاً في العدد ١٥: ٣٩٥ من هذه المجلّة.

٣- ٣ انظر التذكرة ٨: ٣٥٦، وكشف الرموز ١: ٣٨٥، والسرائع ١: ٢٠٥، والدروس ١: ٤٥٨، والمدارك ٨: ٢٢٩.

ص: ٢٠

مكة حينئذٍ، بحيث يجوز البيوت وعقبه المدينين قبل طلوع الفجر، وإن نام قبل أن يأتي بمنى إلى أن يصبح. ولو لم يفرغ من الطواف والسعى حتى طلع الفجر، لم يكن عليه شيء.

وأما الرمي: فقد مضى طرف من أحكامه في الكلام على رمي جمرة العقبة؛ لاشتراك الكل في تلك الأحكام، سوى استدبار القبلة ومقابلة الجمرة، فإنه مختص بجمرة العقبة، وسيعلم حكم غيرها في بيان بقيّة الأحكام. وهي أمور:

منها: مراعاة وقت الرمي، وفيه خلاف بين الأصحاب (١)، والأقوى أنه ما بين طلوع الشمس إلى غروبها، وإن كان التأخير به إلى ارتفاع النهار أفضل، وإلى الزوال أكمل، إلّا في اليوم الثالث، فيقدم على الزوال؛ لأنّ النفر فيه قبله كما سيأتي بيانه. ويجوز للخائف الرمي بالليل. ومن فاته الرمي يوماً لعارض، قضاه في اليوم الذي بعده مقدّماً على رمي ذلك اليوم.

ويستحبّ التفريق بينهما، فيأتي بالقضاء بكرة، وبالأخر عند زوال الشمس، ولو جهل أن يرمي حتى نفر إلى مكة. فالمرى في الصحيح: «أنّه يرجع فيرمي الجمار كما كانت تُرمي» (٢).

وفي حسنة معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: رجل نسي أن يرمي الجمار حتى أتى مكة، قال: «يرجع فيرميها، يفصل بين كلّ رميتين ساعة» (٣).

والمعروف بين الأصحاب تقييد الحكم في الموضعين بعدم انقضاء أيام

١- ١ فذهب الشيخ في النهاية والمبسوط والسيد المرتضى في جمل العلم والعمل وأبو الصلاح الحلبي وابن الجنيّد وغيرهم إلى ما اختاره المصنّف، وذهب إلى خلافه الشيخ في الخلاف وهو مختار ابن زهرة في الغنية، كما عنهم في المدارك ٨: ٢٣٠.

٢- ٢ الوسائل ١٤: ٢٦١، باب ٣ من أبواب العود إلى منى، حديث ١.

٣- ٣ المصدر السابق حديث ٢.

ص: ٢١

التشريق، وإلّا أخر القضاء إلى القابل، فإن تعذر عليه استناب. والخبران مطلقان كما رأيت، ومستند التقييد حديث غير نقي الطريق (١). وحيث إن الاحتياط في مثله مطلوب، فينبغي إثارة ما يقتضيه.

ومنها: جواز الاستناب في الرمي لمن لا يستطيعه، كالمريض المغلوب، والكبير والمبطون، بل في صحيح رفاعه بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه سأله عن رجل اغمى عليه، فقال: «يرمى عنه الجمار» (٢). وهو يدل على إجزاء رمي المتبرع في صورة الإغماء، وإن لم يستنبه من به العذر، إلّا أن يُحمل على حصول الإفاقة، والخوف من عود الإغماء بالسعي إلى الرمي، فيجزيه الاستناب، لكنّه بعيد. ومنها: وجوب الترتيب في الرمي بين الجمرات الثلاث، فيبدأ بالأولى، ثم الوسطى، ثم جمره العقبة، فلو نكس أعاد على الوسطى، وجمره العقبة. ويكفي في حصول الترتيب إذا اتفق نقصان بعض حصيات الجمره نسياناً أو جهلاً رميها بأربع. فيكمل الناقصة فقط، ولا يعيد ما بعدها، ولو كان الرمي بما دون الأربع، أعاد الناقصة وما بعدها.

ومنها: استحباب استقبال القبلة في رمي الجمره الاولى والثانية ورميها عن يساريهما ويمين الرامي، والوقوف عندهما والدعاء. روى الكليني في الصحيح، عن صفوان بن يحيى، عن يعقوب بن شعيب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجمار، فقال: «قم عند الجمرتين، ولا تقم عند جمره»

١-١ وهو ما رواه الشيخ بإسناده إلى عمر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أغفل رمي الجمار أو بعضها حتى تمضي أيام التشريق فعليه أن يرميها من قابل، فإن لم يحج رمى عنه ولئيه، فإن لم يكن له ولي استعان برجل من المسلمين يرمي عنه، فإنه لا يكون رمي الجمار إلّا يوم التشريق. التهذيب ٥: ٢٦٤، باب الرجوع إلى منى ورمي الجمار، حديث ١٣. الوسائل، المصدر السابق، حديث ٤.

٢-٢ الوسائل ١٤: ٧٦ باب ١٧ من أبواب رمي جمره العقبة، حديث ٥.

ص: ٢٢

العقبه». قلت: هذا من السنّة؟ قال: «نعم». قلت: ما أقول إذا رميت؟ قال: «كبر مع كلّ حصاة» (١).

وفى حسنة معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أرم في كلّ يوم عند زوال الشمس، وقل كما قلت يوم النحر حين رميت جمرة العقبة. فابدأ بالجمرة الأولى، فارمها عن يسارها في بطن المسيل، قم عن يسار الطريق فاستقبل القبلة، واحمد الله واثن عليه، وصل على النبي صلى الله عليه وآله، ثم تقدّم قليلاً فتدعو وتسأله أن يتقبّل منك، ثم تقدّم أيضاً ثم افعل ذلك عند الثانية، واصنع كما صنعت بالاولى، وتقف وتدعو الله كما دعوت. ثم تمضي إلى الثالثة، وعليك السكينة والوقار، فارم، ولا تقف عندها» (٢). واعلم أنّ في كيفية الوقوف عند الجمرتين الأوليتين نوع اشتباه.

وتلخيص القول في بيانها: أنّ الطريق الذي هو بطن المسيل آخذ نحو القبلة وهو وإن كان متسعاً. والجمرتان وخصوصاً الاولى في وسطه، إلّا أنّ النظر فيه إلى الجانب، الذي من جهة يسار المتوجّه إلى القبلة، وهما بالنسبة إليه على اليمين. ثم إنّ القدر الذي بين كلّ واحدة منهما وبين طرف الطريق من ناحية اليسار متسع أيضاً.

واليمين واليسار أمران إضافيان، ومن شأن الامور الإضافية أن تختلف باختلاف ما تضاف إليه. فمجموع هذا القدر من الطريق، وإن كان يساراً بالإضافة إلى الجمرتين، لكنّه بالإضافة إلى المارّ فيه نحو القبلة يصير له يمين ويسار، فيمينه إلى جهة الجمرتين، ويساره ما يقابلها.

وإذا تبين هذا، فالمراد بالقيام عن يسار الطريق - في الحديث الحسن (٣) -

١- ١ الكافي ٤: ٤٨١، حديث ٢، الوسائل ١٤: ٦٤ باب ١٠ من أبواب رمي جمرة العقبة، حديث ١.

٢- ٢ الكافي ٤: ٤٨٠، باب رمي الجمار في أيام التشريق، حديث ١، الوسائل المصدر السابق ص ٦٥ حديث ٢.

٣- ٣ في نسخة الأصل و ص: «ليس» بدل «الحسن».

ص: ٢٣

الوقوف في جانبه الذي عن يسار المارّ فيه نحو القبلة من خلاف ناحية الجمرة، فيستقبل القبلة حينئذٍ، ويحمد الله ويثنى عليه ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله، ثم يأخذ في التقدّم نحو الجمرة قليلاً، وهو يدعو كما وصف في الخبر، إلى أن يصير منها على المسافة التي يستحبّ التباعد بها (١)، وقد مضى في رمي جمره العقبة. فإذا بقي والحال هذه على استقبال القبلة، كانت الجمرة عن يمينه، والذي إلى جهه منها هو يسارها، فيرميها ويفعل مثل ذلك بالثانية.

فصل: [في بقيّة أفعال منى] (٢)

ويستحبّ للمقيم بمنى إثارة الصلاة في مسجد الخيف، وأفضل ما كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله. روى معاوية بن عمّار في الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «صلّ في مسجد الخيف، وهو مسجد منى، وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده عند المنارة، التي في وسط المسجد وفوقها إلى القبلة نحواً من ثلاثين ذراعاً، وعن يمينها وعن يسارها وخلفها نحواً من ذلك، قال: فتحرّ ذلك. فإن استطعت أن يكون مصلاًك فيه فافعل، فإنّه قد صلى فيه ألف نبي. وإنّما سمّي الخيف؛ لأنّه مرتفع عن الوادي، وما ارتفع عن الوادي سمّي خيفاً» (٣).

ويستحبّ أيضاً التكبير بمنى. وأوجه بعض الأصحاب (٤)، ويكون عقيب خمس عشرة صلاة، أوّلها ظهر يوم النحر، والأخيرة فجر يوم الثالث لمن أقام إلى النفر الثاني، وإلا فعقيب عشر، والأكمل في صفة التكبير أن يقول: الله أكبر الله

١- ١ في ن: «عنها».

٢- ٢ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

٣- ٣ الوسائل ٥: ٢٦٨، باب ٥٠ من أبواب أحكام المساجد، حديث ١، باختلاف يسير.

٤- ٤ وهو السيّد المرتضى كما عنه في المدارك ٨ / ٢٤٢.

ص: ٢٤

أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا.

واختلفت الروايات في أفضلية المقام بمنى على زيارة البيت بعد زيارة الحج في أيام التشريق، والمتضمن منها الإذن في الزيارة، ونفى البأس عنها إذا طاف، ولم يثبت أكثر عدداً وأقوى أسناداً.

وإذا أراد النفر، فإن كان في الأول، فلا ينفر إلا بعد الزوال، وإن كان في الثاني، نفر متى شاء بعد رمي الجمار. وظن بعض الأصحاب (١) أفضلية تأخيره إلى الزوال رعاية لحال الرمي، وتوهماً لاطراد استحباب إيقاعه عند الزوال. والأخبار الدالة على أفضلية المبادرة قبل الزوال كثيرة، مع قوة الطرق ووضوح الدلالة، فالعجب من هذا التوهم. وأوضحها دلالة ما رواه الكليني، عن أيوب بن نوح، في الصحيح، قال: كتبت إليه أن أصحابنا قد اختلفوا علينا، فقال بعضهم: إن النفر يوم الأخير بعد الزوال أفضل. وقال بعضهم: قبل الزوال، فكتب: «أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى الظهر والعصر بمكة، ولا يكون ذلك إلا وقد نفر قبل الزوال»؟ (٢).

ويستحب لمن نفر في الأخير التحصيب تأسيّاً برسول الله صلى الله عليه وآله، فقد استفاض نقل ذلك من فعله، حتى قال العلامة في المنتهى (٣): إنه لا خلاف فيه.

وروى من عدة طرق معتبرة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «كان أبي عليه السلام ينزل الحصبه قليلاً، ثم يرتحل فيدخل مكة من غير أن ينام» (٤).

١- ١ وهو الشهيد الثاني في الروضة، انظر الزبدة الفقهية ٣: ٥٢٤.

٢- ٢ الكافي ٤: ٥٢١، باب النفر من منى الأول والآخر، حديث ٨. الوسائل ١٤: ٢٨٢، باب ١٢ من أبواب العود إلى منى، حديث ٢.

٣- ٣ المنتهى المطلب ٢: ٧٧٧.

٤- ٤ انظر الوسائل ١٤: ٢٨٤-٢٨٥، باب ١٥ من أبواب العود إلى منى، حديث ١ و ٣.

ص: ٢٥

وفى بعض الروايات: «وكان ينزل الأبطح، ثم يدخل البيوت». وفيه دلالة على أن المحصب بالأبطح. وذكر جماعة منهم الشهيد الأول (١) رحمه الله: أن مسجد الحصبه بالأبطح، نزل به رسول الله صلى الله عليه وآله، فيستحب النزول به، والاستراحة فيه قليلاً، والاستلقاء على القفا.

قال الشهيد: وروى أن النبي صلى الله عليه وآله صلى فيه الظهرين والعشاءين، وهجع هجعة ثم دخل مكة. وحكى عن بعض الأصحاب (٢) أنه قال: لا أثر للمسجد الذى هناك، وأن السنة تنادى بالنزول بالمحصب من الأبطح، وهو ما بين العقبة وبين مكة. وقال العلامة فى المنتهى (٣): إنه ليس للمسجد اليوم أثر، وإنما استحب النزول بالمحصب، والاستراحة فيه قليلاً اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله. وحيث إن الحكم فى أخبار أهل البيت عليهم السلام جاء بعنوان النزول بالأبطح، فعليه ينبغى أن يكون العمل، ويكتفى مؤنة البحث عما زاد ذلك.

فصل: [فى العود إلى مكة لطواف الوداع ودخول البيت] (٤)
ويستحب العود إلى مكة؛ لطواف الوداع ودخول البيت، ولكل منهما وظائف نذكرها مفصلة إن شاء الله. وإن كان له بمكة مقام فليكثر من الصلاة والدعاء فى المسجد الحرام.
فقد روى الكليني فى الصحيح، عن على بن الحكم، عن الكاهلى، قال: كنا

١- ١ انظر الدروس ١: ٤٦٤ والمحقق الثانى فى جامع المقاصد ٣: ٢٧١، والشهيد الثانى فى المسالك ٢: ٣٧٦.

٢- ٢ وهو ابن إدريس فى السرائر ١: ٦١٣.

٣- ٣ المنتهى ١: ١١١.

٤- ٤ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

ص: ٢٦

عند أبي عبد الله عليه السلام، فقال: «أكثرُوا من الصلاة والدُّعاء في هذا المسجد، أما إنَّ لكلَّ عبد رزقاً يُحَاز إليه حوزاً» (١). وأفضل بقاعه الحطيم، وهو ما بين الباب إلى الحجر الأسود، والحجر وعند المقام، وليس الحجر من البيت. بل في عدَّة أخبار منها صحيح معاوية بن عمَّار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه: «لا شيء فيه من البيت، ولا قلامه ظفر» (٢).

وزاد في حديث مؤيَّد (٣): «إنَّ إسماعيل دفن فيه أمه، فكره أن توطأ، فحجر عليه حجراً، وفيه قبور أنبياء» (٤). وليستكثر أيضاً من الطواف، بل هو أفضل للمجاور من الصلاة، ما لم يأت عليه سنة. ويستحبُّ له أن يحصى أسبوعه في كلِّ يوم وليلة.

روى الصدوق، عن أبان بن عثمان في الصحيح، أنَّه سأل أبا عبد الله عليه السلام، أكان لرسول الله صلى الله عليه وآله طواف يعرف به؟ فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يطوف بالليل والنهار عشرة أسابيع، ثلاثة أوَّل الليل، وثلاثة آخر الليل، واثنين إذا أصبح، واثنين بعد الظهر. وكان فيما بين ذلك راحته» (٥).

وفي صحيح معاوية بن عمَّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يستحبُّ أن تطوف ثلاثمائة وستين أسبوعاً عدد أيام السنة، فإن لم تستطع، فثلاثمائة وستين شوطاً، فإن لم تستطع، فما قدرت عليه من الطواف» (٦). وعلى ظاهر قوله في الحديث ثلاثمائة وستين شوطاً إشكال، باعتبار ردِّ العدد

١- ١ الكافي ٤: ٥٢٦ باب فضل الصلاة في المسجد الحرام، حديث ٤.

٢- ٢ الوسائل ١٣: ٣٥٣، باب ٣٠ من أبواب الطواف، حديث ١.

٣- ٣ في م و ن: «معاوية» بدل «مؤيد».

٤- ٤ المصدر السابق.

٥- ٥ الفقيه ٢: ٤١١، باب نواذر الطواف حديث ٧، الوسائل ١٣: ٣٠٧، باب ٦ من أبواب الطواف، حديث ١.

٦- ٦ الوسائل ١٣: ٣٠٨، باب ٧ من أبواب الطواف، حديث ١.

ص: ٢٧

إلى أسابيع، فإنه يحصل منه أحد وخمسون أسبوعاً وثلاثة أشواط. والتعبّد بالناقص عن الأسبوع أو الزائد غير معهود. وذكر جماعة من الأصحاب (١): أن الثلاثة تلحق الأسبوع الأخير، فتصير عشرة، وهو ذهاب منهم إلى إفادة الحديث تسويغ هذه الزيادة، فتكون مستثناة من عموم ما دلّ على منع التقيد (٢) بالزائد عن الأسبوع، وليس بشيء. والتحقيق عندى: أن في الكلام إجمالاً موكل البيان إلى الاعتبار الصحيح، وأن الغرض من ذكر هذا العدد إفادة قيام الشوط مقام الأسبوع عند تعذّره، لا تعين صورة العددية. فإذا روعى مع ذلك - ما هو المعهود المتقرّر من عدم التعبّد بما دون الأسبوع وما فوقه - علم أن تحصيل هذا العدد، إنّما يتمّ بضميمة ما يكمل به البقية أسبوعاً، وأنّ تلك الضميمة، وإن لم تلحظ لذاتها، فهي مقصودة للتوصّل بها إلى تصحيح العمل. ولهذا الاعتبار شاهد ونظير قريب.

أمّا الشاهد: فحديث متضمّن لجعل قدر (٣) هذا العدد بالأسابيع، اثنين وخمسين أسبوعاً، لكنّه غير نقى الطريق (٤). وأمّا النظر: فاشتراط جواز دخول مكّة بالإحرام، مع أنّه لا ينعقد إلّا بأحد النسكين: الحجّ أو العمرة، ولم يجعل أحدهما شرطاً، بل اكتفى في اعتبار القصد (٥) إليه بمجرد ظهور توقّف صحّة الإحرام عليه. فالشرط في الحقيقة هو الإحرام،

١- ١ منهم الأردبيلي في مجمع الفائدة والبرهان ٧: ١٠٦، والسيد العاملي في المدارك ٨: ١٦٧.

٢- ٢ في ن و ص: «التعبّد».

٣- ٣ في ن: «فذلك» بدل «قدر».

٤- ٤ الوسائل ١٣: ٣٠٩، باب ٧ من أبواب الطواف، ذيل حديث ٢.

٥- ٥ في م: «قصد التعبّد».

ص: ٢٨

وقصد أحد النسكين وسيلة إليه ملحوظ بالعرض؛ لغرض التوصل به إلى تصحيح الشرط الذي هو المقصود بالذات.

[في أن الطواف عن غير المقيم بمكة من الاخوان مستحب] (١)

ويستحب الطواف عن غير المقيم بمكة من الاخوان، وعمّن به علّه من المقيمين.

وفي صحيح معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا أردت أن تطوف عن أحد من إخوانك، فأت الحجر الأسود، فقل: بسم الله، اللهم تقبل من فلان» (٢).

وروى الكليني في الصحيح المشهور، عن علي بن مهزيار، عن موسى بن القاسم، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: قد أردت أن أطوف عنك وعن أبيك، فقيل لي: إن الأوصياء لا يطاف عنهم، فقال: «بل طف ما أمكنك، فإن ذلك جائز». ثم قلت له بعد بثلاث سنين: إني كنت استأذنتك في الطواف عنك وعن أبيك، فأذنت لي في ذلك، فطفعت عنكما ما شاء الله، ثم وقع في قلبي شيء فعملت به. قال: وما هو؟ قلت: طفت يوماً عن رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال ثلاث مرّات: صلّى الله على رسول الله، ثم اليوم الثاني عن أمير المؤمنين عليه السلام، ثم طفت الثالث عن الحسن عليه السلام، والرابع عن الحسين عليه السلام، والخامس عن علي بن الحسين عليه السلام، والسادس عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، واليوم السابع عن جعفر بن محمد عليه السلام، واليوم الثامن عن أبيك موسى عليه السلام، واليوم التاسع عن أبيك علي عليه السلام، واليوم العاشر عنك يا سيدي، وهؤلاء الذين أدين الله بولايتهم. فقال:

«إذا واللّه تدين الله بالدين الذي لا يقبل من العباد غيره» قلت: وربما طفت عن

١- ١ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

٢- ٢ الوسائل ١٣: ٣٩٨، باب ٥١ من أبواب الطواف، حديث ٤.

ص: ٢٩

أمك فاطمة عليها السلام، وربما لم أطف. فقال: «استكثر من هذا، فإنه أفضل ما أنت عامله إن شاء الله» (١).

فصل: [في آداب دخول البيت زیدت مهابتها] (٢)

فأما آداب دخول البيت ووظائفه:

فروى الشيخ، عن هشام بن الحكم، في الصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«ما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله الكعبة إلّا مرة، وبسط ثوبه تحت قدميه وخلع نعليه» (٣).

وفي صحيح معاوية بن عمار، عنه عليه السلام: «إن النبي صلى الله عليه وآله لم يدخل الكعبة في حج ولا عمرة، ولكنه دخلها في

الفتح فتح مكة، وصلى ركعتين بين العمودين، ومعه اسامة بن زيد» (٤).

وروى حماد بن عثمان في الصحيح قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن دخول البيت، فقال: «أما الصرورة فيدخله، وأما من قد حج

فلا» (٥).

وفي صحيح عبد الله بن سنان، عنه عليه السلام أنه سئل عن دخول النساء (٦) الكعبة، فقال: «ليس عليهن، وإن فعلن فهو أفضل» (٧).

وروى معاوية بن عمار في الصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا أردت

١- ١ الكافي ٤: ٣١٤، باب الطواف والحج عن الأئمة عليهم السلام، حديث ٢، الوسائل ١١: ٢٠٠، باب ٢٦ من أبواب النيابة في الحج، حديث ١.

٢- ٢ ما بين المعقوفين زيادة من ن كذا وردت.

٣- ٣ التهذيب ٥: ٤٩١ باب الزيادات في فقه الحج، حديث ٤٠٦. الوسائل ١٣: ٢٨٤، باب ٤٢ من أبواب مقدمات الطواف، حديث ١.

٤- ٤ التهذيب ٥: ٢٧٩ باب دخول الكعبة، حديث ١١. الوسائل ١٣: ٢٨٥، باب ٤٢ من أبواب مقدمات الطواف، حديث ٣.

٥- ٥ التهذيب ٥: ٢٧٧، باب دخول الكعبة، حديث ٦. الوسائل، المصدر السابق حديث ٢.

٦- ٦ في نسخة الأصل و ص: «في الحج» ولم ترد في باقي النسخ والمصدر.

٧- ٧ التهذيب ٥: ٤٤٨، باب الزيادات في فقه الحج، حديث ٢٠٧. الوسائل ١٣: ٢٨٣، باب ٤١ من أبواب مقدمات الطواف، حديث ١.

ص: ٣٠

دخول الكعبة، فاغتسل قبل أن تدخلها، ولا تدخلها بحذاء، وتقول إذا دخلت:

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا (١) فَأَمَّنِي مِنْ عَذَابِكَ عَذَابِ النَّارِ. ثُمَّ تَصَلَّى بَيْنَ الْأَسْطُوَانَتَيْنِ عَلَى الرِّخَامَةِ الْحُمْرَاءِ، تَقْرَأُ فِي الْأُولَى حَمَّ السَّجْدَةِ، وَفِي الثَّانِيَةِ عِدَّةَ آيَاتِهَا مِنَ الْقُرْآنِ. وَصَلَّ فِي زَوَايَاهُ، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ مِنْ تَهَيُّاً وَتَعَبُّاً وَأَعَدَّ وَاسْتَعَدَّ لَوْفَادِهِ إِلَى مَخْلُوقِ رَجَاءٍ رَفَدَهُ وَجَوَائِزُهُ وَنَوَافِلُهُ وَفَوَاضِلُهُ، فَإِلَيْكَ كَانَتْ يَاسِيدِي تَهَيُّتِي وَتَعَبُّتِي وَاسْتَعْدَادِي رَجَاءٍ رَفَدَكَ وَجَائِزَتَكَ وَنَوَافِلَكَ، فَلَا تَخَيِّبِ الْيَوْمَ رَجَائِي. يَاسِنْ لَا يَخَيِّبُ سَائِلُهُ وَلَا يَنْقُصُ نَائِلُهُ، فَإِنِّي لَمْ آتِكَ الْيَوْمَ بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدِّمْتَهُ، وَلَا شَفَاعَةَ مَخْلُوقٍ رَجَوْتَهُ، وَلَكِنِّي أَتَيْتُكَ مَقَرّاً بِالذُّنُوبِ وَالْإِسَاءَةِ عَلَى نَفْسِي، فَإِنَّهُ لَا حَيَّةَ لِي وَلَا عَذْرَ، فَأَسْأَلُكَ يَا مَنْ هُوَ كَذَلِكَ، أَنْ تَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَعْطِنِي مَسْأَلَتِي وَتَقِيلَنِي عَثْرَتِي وَتَقْلِبَنِي بَرِّغَتِي، وَلَا- تَرُدَّنِي مُحْرُوماً وَلَا- مَجْبُوهاً وَلَا- خَائِباً، يَا عَظِيمُ يَا عَظِيمُ يَا عَظِيمُ، أَرْجُوكَ لِلْعَظِيمِ، أَسْأَلُكَ يَا عَظِيمُ أَنْ تَغْفِرَ لِي الذَّنْبَ الْعَظِيمَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ؛ وَلَا تَدْخُلَنَّ بِحِذَاءٍ وَلَا تَبْزُقَ فِيهَا وَلَا تَمْتَخِطْ. وَلَمْ يَدْخُلْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ» (٢).

وروى الكليني في الصحيح عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«لَا بُدَّ لِلصَّرُورَةِ أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ، فَإِذَا دَخَلَتْهُ فَادْخُلْهُ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، ثُمَّ آتِ كُلَّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا فَأَمَّنِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَصَلَّ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ الْبَابَ عَلَى الرِّخَامَةِ الْحُمْرَاءِ. وَإِنْ كَثُرَ النَّاسُ فَاسْتَقْبِلْ كُلَّ زَاوِيَةٍ فِي مَقَامِكَ حَيْثُ صَلَّيْتَ، وَادْعُ اللَّهَ وَاسْأَلْهُ» (٣).

١- ١ آل عمران: ٩٧.

٢- ٢ التهذيب ٥: ٢٧٦، باب دخول الكعبة، حديث ٣. الوسائل ١٣: ٢٧٥، باب ٣٦ من أبواب مقدمات الطواف، حديث ١.

٣- ٣ الكافي ٤: ٥٢٩، باب دخول الكعبة، حديث ٦.

ص: ٣١

[فى وداع البيت] (١)

وأما وظائف الوداع:

فروى الشيخ، عن معاوية بن عمار فى الصحيح، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال:

«إذا أردت أن تخرج من مكّة فتأتى أهلَكَ، فودّع البيت وطف أسبوعاً، وإن استطعت أن تستلم الحجر الأسود والركن اليماني فى كلّ شوط فافعل، وإلا فافتح به واختم به، وإن لم تستطع ذلك فموسّع عليك، ثم تأتى المستجار، فتصنع عنده مثل ما صنعت يوم قدمت مكّة، ثم تخير لنفسك من الدعاء، ثم استلم الحجر الأسود، ثم الصق بطنك بالبيت، واحمد الله واثن عليه، وصلّ على محمّد وآله، ثم قل:

اللّهم صلّ على محمّد عبدك ورسولك وأمينك وحبيبك ونجيبك وخيرتك من خلقك، اللّهم كما بلّغ رسالتك، وجاهد فى سبيلك، وصدع بأمرك، واوذى فىك وفى جنبك حتّى أتاه اليقين، اللّهم اقلبنى مفلحاً منجهاً مستجاباً لى بأفضل ما يرجع به أحد من وفدك من المغفرة والبركة والرضوان والعافية ممّا يسعنى أن أطلب، فأسألك أن تعطينى مثل الذى أعطيته أفضل من عندك وتزيدنى عليه، اللّهم إن أمتنى فاغفر لى، وإن أحييتنى، فارزقنيه من قابل، اللّهم لا تجعله آخر العهد من بيتك، اللّهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك، حمّلتنى على دابتك، وسيرتني فى بلادك حتّى أدخلتني حرمك وأمنك، وقد كان فى حسن ظنى بك أن تغفر لى ذنوبى، فإن كنت قد غفرت لى ذنوبى، فازدد عني رضى، وقربنى إليك زلفى، ولا تباعدنى، وإن كنت لم تغفر لى فمن الآن فاغفر لى قبل أن تنأى عن بيتك دارى، وهذا أوان انصرافى إن كنت أذنت لى، فغير راغب عنك ولا عن بيتك، ولا مستبدل بك ولا به، اللّهم احفظنى من بين يدي ومن خلفى، وعن يمينى وعن شمالى حتّى تبلغنى أهلى، واكفنى

ص: ٣٢

مؤنة عبادك وغيالي، فإنك ولي ذلك من خلقك ومني.

ثم انت زمزم فاشرب منها، ثم اخرج فقل: آثون تائبون عابدون، لربنا حامدون، إلى ربنا راغبون، إلى ربنا راجعون. قال: وإن أبا عبد الله عليه السلام لما ودّعها، وأراد أن يخرج من المسجد خرّ ساجداً عند باب المسجد طويلاً، ثم قام فخرج» (١).

وروى عن إبراهيم بن أبي محمود في الصحيح، قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام ودّع البيت، فلما أراد أن يخرج من باب المسجد خرّ ساجداً، ثم قام فاستقبل الكعبة، فقال: «اللهم، إني أتقلب على لا إله إلا الله» (٢).

وروى الكليني في الصحيح المشهور، عن علي بن مهزيار، قال: رأيت أبا جعفر الثاني عليه السلام في سنة خمس وعشرين ومائتين، ودّع البيت بعد ارتفاع الشمس، وطاف بالبيت يستلم الركن اليماني في كل شوط، فلما كان في الشوط السابع، استلمه واستلم الحجر ومسح بيده، ثم مسح وجهه بيده، ثم أتى المقام فصلّى خلفه ركعتين، ثم خرج إلى دبر الكعبة إلى الملتزم فالتزم البيت، وكشف الثوب عن بطنه، ثم وقف عليه طويلاً يدعو، ثم خرج من باب الحنّاطين وتوجّه.

قال: ورأيت في سنة سبع عشرة ومائتين، ودّع البيت ليلاً، يستلم الركن اليماني والحجر الأسود في كل شوط، فلما كان في الشوط السابع، التزم البيت في دبر الكعبة قريباً من الركن اليماني، وفوق الحجر المستطيل، وكشف الثوب عن بطنه، ثم أتى الحجر فقبله ومسحه، وخرج إلى مقام إبراهيم عليه السلام، فصلّى خلفه، ثم مضى، ولم يعد إلى البيت، وكان وقوفه على الملتزم بقدر ما طاف بعض أصحابنا سبعة

١-١ التهذيب ٥: ٢٨٠، باب الوداع، حديث ١.

٢-٢ التهذيب ٥: ٢٨١، باب الوداع، حديث ٢.

ص: ٣٣

أشواط، وبعضهم ثمانية» (١).

وروى في الحسن عن جماعة منهم الحلبي ومعاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ينبغي للحاج إذا قضى نسكه وأراد أن يخرج، أن يتاع بدرهم تمراً يتصدق به، فيكون كفارة لما لعله دخل عليه في حجه من حكة أو قملة سقطت أو نحو ذلك» (٢). وفي الحسن أيضاً، عن الحسين الأحمسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من خرج من مكة لا يريد العود إليها، فقد اقترب أجله ودنى عذابه» (٣).

ويستحب النزول بالمعسر للمنصرف من مكة على طريق المدينة.

روى معاوية بن عمار في الصحيح، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا انصرف من مكة على المدينة، وانتهيت إلى ذي الحليفة، وأنت راجع إلى المدينة من مكة، فأت معرس النبي صلى الله عليه وآله، فإن كنت في وقت صلاة مكتوبة أو نافله، فصل فيه، وإن كان غير وقت صلاة مكتوبة، فانزل فيه قليلاً، فإن النبي صلى الله عليه وآله كان يعرس فيه ويصلي» (٤).

وروى الصدوق في الصحيح، عن محمد بن القاسم بن الفضيل، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك إن جئنا مَرَّ بنا ولم ينزل المعرس؟ فقال: «لابد أن ترجعوا إليه، فرجعت إليه» (٥).

وعلى هذا القدر نقطع الكلام، حامدين لله تعالى على توفيقه للإتمام،

١- ١ الكافي ٤: ٥٣٢ باب وداع البيت حديث ٣. الوسائل ١٤: ٢٨٩، باب ١٨ من أبواب العود إلى منى، حديث ٣.

٢- ٢ الكافي ٤: ٥٣٣، باب ما يستحب من الصدقة عند الخروج من مكة حديث ١. الوسائل ١٤: ٢٩٢، باب ٢٠ من أبواب العود إلى منى، حديث ٢.

٣- ٣ الكافي ٤: ٢٧٠، باب من يخرج من مكة لا يريد العود إليها، حديث ١.

٤- ٤ الوسائل ١٤: ٣٧٠، باب ١٩ من أبواب المزار وما يناسبه، حديث ١.

٥- ٥ الوسائل ١٤: ٣٧٢، باب ٣٠ من أبواب المزار وما يناسبه، حديث ٢.

ص: ٣٤

ومتوسلين إليه برسوله المصطفى وآله الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام، أن يجعله سبباً لمثوبته ووسيلةً إلى عفوهِ ورحمته، إنه أكرم الأكرمين (١). (٢). (٣)(٤) هذا آخر ما أملاه قدس سرّه، وحشره مع أئمتّه محمّد وآله. فى شهر ربيع الثانى من شهور سنة ١٠١٤، فى حوالى نخجوان (٥).

تمّ تحقيقه بالاعتماد على أربع نسخ أهمّها النسخة الرضويّة.

رمى الجمرات فى بحث جديد

- ١- ١ جاء فى نهاية نسخة ص: وحزّره الأحقر العاصى أقلّ الخلائق حسين على فى ١٤ شعبان المعظم ١٣٥٩.
- ٢- ٢ جاء فى آخر نسخة م: تمّ فى سنة ١٠٢٧، وفى هامشها: بلغ قبلاً ولله الحمد ربّ العالمين، والصلاة على نبيّه وآله المعصومين.
- ٣- ٣ جاء فى نهاية نسخة ن: فرغت من تسويده بعون الله وتأيدته، فى أواسط شهر صفر ختم بالخير والظفر، لسنة الثامن والأربعين بعد الألف من هجرة سيّد المرسلين عليه وآله المعصومين ألف ألف صلاة من الله والملائكة والناس أجمعين، وأنا العبد المفتقر إلى الله الغنى الحافظ ابن محمّد صابر الطبسى الفهناجى محمود الواعظ عفا الله عنهما وغفر ذنوبهما وستر عيوبهما بحقّ محمّد وآله. وورد فى هامش النسخة من الكاتب: رحم الله امرأً نظر إلى هذا المنسك وعمل بما فيه إذا رزقه الله حجّ بيته الحرام، وزياره نبيّه سيّد الأنام وآله البررة الكرام، أن يدعو للكاتب دعاء الخير وذكره فى الأماكن الشريفة.
- ٤- ٣ جاء فى نهاية نسخة ن: فرغت من تسويده بعون الله وتأيدته، فى أواسط شهر صفر ختم بالخير والظفر، لسنة الثامن والأربعين بعد الألف من هجرة سيّد المرسلين عليه وآله المعصومين ألف ألف صلاة من الله والملائكة والناس أجمعين، وأنا العبد المفتقر إلى الله الغنى الحافظ ابن محمّد صابر الطبسى الفهناجى محمود الواعظ عفا الله عنهما وغفر ذنوبهما وستر عيوبهما بحقّ محمّد وآله. وورد فى هامش النسخة من الكاتب: رحم الله امرأً نظر إلى هذا المنسك وعمل بما فيه إذا رزقه الله حجّ بيته الحرام، وزياره نبيّه سيّد الأنام وآله البررة الكرام، أن يدعو للكاتب دعاء الخير وذكره فى الأماكن الشريفة.
- ٥- ٤ جاء فى هامش الأصل: «بلغ قبلاً». وهذا كما أشرنا فى المقدّمة ممّا يدلّ على الاهتمام والعناية بها.

ص: ٣٥

رمى الجمرات فى بحث جديد

آية الله مكارم الشيرازى

إنّ المتاعب العظيمة والمخاطر الجليئة عند رمى الجمرات أدّت فى أكثر الأوقات إلى وقوع ضحايا بين الحجاج الكرام، ولهذا الأمر أسبابه الكثيرة، التى منها الفتاوى التى تلزم الحاج بأنّ يتيقّن إصابته الاسطوانة نفسها، وقد فتحت مجلّتنا باباً لمعرفة وجهات نظر فقهاءنا العظام حول هذه المسألة.

إدارة المجلّة

*** من مشاكل الحجاج المهمّة مسألة رمى الجمرات، خاصّة يوم عيد الأضحى، عندما تتوجّه جموع الحجاج الغفيرة وتندفع بقوة وبزحام شديد، فسبّب هذا- خاصّة فى السنوات الأخيرة- خسائر كبيرة فى الأرواح، فجرح وقُتل حول الجمرات كثيرون، وطالما أُصيبَت الرؤوس والوجوه والعيون!

إنّ جُرْل هذه الخسائر كان منشؤه تصوّر عامّة الناس- اتّباعاً للفتاوى- أنّ الواجب فى رمى الجمرات هو أن يصيب الحصى العمود الخاصّ، فى حين لا يتوفّر

ص: ٣٦

دليل واضح على ذلك، بل إن لدينا أدلة مخالفة تشير إلى الاكتفاء بأن يرمى الحصى على الجمرة، وأن يقع فى الدائرة التى تتجمع فيها الحصيات. والواقع أن «الجمرة» هى «مجتمع الحصى»، وليست هى الأعمدة!

وقد أعدت هذه الرسالة لتبين الأدلة العلمية لهذه المسألة، ولتكون مورد اطلاع من قبل فقهاء المسلمين، وليعلم الجميع أن هذه الأعمدة لم يكن لها وجود فى عصر رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا فى عصور الأئمة عليهم السلام، بل إنها معالم وضعت بعدئذ فى مواضع الجمرات، وقد تُنصب فوقها مصابيح من أجل الذين يضطرون إلى الرمي ليلاً. ونرجو من القراء الأعزاء كافة ألا يتعجلوا فى الحكم على هذه الرسالة قبل الانتهاء من مطالعتها كلها.

ما هى الجمرة؟

إن أصل وجوب رمى الجمرات - بوصفه من مناسك الحج - من مسلمات أحكام الحج وضرورياته، وهو مما اتفقت عليه آراء جميع علماء الإسلام، ولكن المسألة المهمة فى باب رمى الجمرات أن نتعرف على معنى الجمرة، التى يجب أن نرميها بالحصى، فهل الجمرة هى الأعمدة، التى نقذفها اليوم بالحصى، أو هى قطعة الأرض المحيطة بالأعمدة، أو هى كلاهما، وبالتالى يكفى رمى أحدهما بالحصى؟

إن الكثير من الفقهاء سكتوا عن بيان هذا المطلب، بيد أن فريقاً منهم عبروا بتعابير تشير بوضوح إلى أن «الجمرة» هى الأرض المحيطة بالأعمدة، أى قطعة الأرض، التى يتجمع فيها الحصى عند رميه.

وفى كتب اللغويين وأحاديث المعصومين عليهم السلام أيضاً إشارات حاكية لهذا المعنى، بل إن القرائن تدل على أن موضع الجمرات لم يكن فيه عمود إبان عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وفى أيام الأئمة المعصومين عليهم السلام، وكان الحجيج يرمون حصياتهم على قطعة الأرض، حيث يتجمع الحصى، ومن هنا قيل لها جمرة، أى «مجتمع الحصى».

ص: ٣٧

وللوصول إلى هذه الحقيقة نمضى أولاً إلى عبارات فقهاء أهل السنة والشيعة، ثم إلى كلام اللغويين، لنبحث بعدئذٍ فى روايات هذا الباب.

عبارات فريق من فقهاء أهل السنة فى معنى الجمرة
أشرنا من قبل إلى أن كثيراً من الفقهاء، قد التزموا الصمت إزاء معنى الجمرة؛ لكن فريقاً منهم لهم تعابير تدل على أن الجمرة هى الأرض المحيطة بالأعمدة، ونورد هنا أقوالاً من أربعة عشر كتاباً (سبعة كتب لفقهاء أهل السنة، وسبعة كتب لفقهاء الشيعة) تشير إلى أن الجمرة فى تلك العصور هى قطعة الأرض التى ترمى بالحصى، وتعابير بعض فقهاء أهل السنة شاهدة على أنه ما كان فى عصرهم وجود لعمود وأن الجمرة هى قطعة الأرض التى تقذف بالحصى.

١- يقول الشافعى أحد أئمة أهل السنة الأربعة:

«فإن رمى بحصاة فأصاب إنساناً أو محملاً، ثم استنت حتى أصابت موضع الحصى من الجمرة أجزأت عنه» (١).
وهنا نرى بجلاء أنه يتحدث عن مسألة تدحرج الحصاة على الأرض وإصابتها موضع الحصى، ويرى ذلك مجزياً. وفى هذا دلالة على عدم وجود عمود.

٢- وفى هذا السياق يقول أحد أئمة أهل السنة المعروفين:

«وإن وقعت فى موضع حصى الجمرة، وإن لم تبلغ الرأس أجزأ» (٢).

ومن البين أن المراد بـ «الرأس»: رأس الحصى، أى أعلاه.

٣- يقول محبى الدين النوى من فقهاء العامة فى كتاب «روضة الطالبين»:

«ولا يشترط كون الرامى خارج الجمرة، فلو وقف فى الطرف ورمى إلى الطرف الآخر جاز» (٣).

١- ١ كتاب الأم ٢: ٢١٣، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ.

٢- ٢ المدونة الكبرى ١: ٣٢٥، دار الفكر ١٤١١ هـ.

٣- ٣ روضة الطالبين ٣: ١١٥، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ.

ص: ٣٨

وهذا التعبير يدلّ بوضوح على أنّ الجمره هى الدائره التى يُرمى فيها الحصى، ولا يرى من اللّازم أن يقف المرء خارج هذه الدائره، بل يجزيه أن يقف فى طرف من الدائره ويرمى الحصاء إلى الطرف الآخر.

٤- ويقول النّوى أيضاً فى كتابه الآخر «المجموع»:

«والمراد (من الجمره) مجتمع الحصى فى موضعه المعروف، وهو الذى كان فى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله... ولو نُحى من موضعه الشرعى، ورمى إلى «نفس الأرض» أجزاً؛ لأنّه رمى فى موضع الرمى. هذا الذى ذكرته هو المشهور، وهو الثواب» (١).
إنّ هذه العبارات تصرّح تصرّيحاً جلياً أنّ الجمره هى هذه القطعه من الأرض، حتّى أنّها تدعى الشهرة وتقول: إنّها هى التى كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥- يقول شهاب الدّين أحمد بن إدريس، وهو فقيه آخر من فقهاء العامّة:

«فإنّ رمى بحصاء... وقعت دون الجمره وتدحرجت إليها، أجزاً» (٢).

٦- جاء فى كتاب «عمده القارى فى شرح صحيح البخارى»:

«والجمره اسم لمجتمع الحصى، سُميت بذلك لاجتماع الناس بها» (٣).

وفى هذا الكلام تصرّح كذلك بأنّ الجمره هى موضع تجمّع الحصى.

٧- وورد فى كتاب «الفقه على المذاهب الأربعه»:

«الحنابلّه قالوا: ولو رمى حصاء، ووقعت خارج المرمى، ثمّ تدحرجت حتّى سقطت فيه أجزأته، وكذا إنّ رماها فوقعت على ثوب إنسان فسقطت فى المرمى» (٤).

١- ١ المجموع ٨: ١٧٥، مكتبة الإرشاد، جدّه.

٢- ٢ الذخيره ٣: ٢٧٦.

٣- ٣ عمده القارى فى شرح صحيح البخارى ١٠: ٩.

٤- ٤ الفقه على المذاهب الأربعه ١: ٦٦٧.

ص: ٣٩

عبارات فريق من فقهاء الشيعة فى معنى الجمره

١- يقول السيد أبو المكارم بن زهره فى كتاب «الغنية»:

«وإذا رمى حصاءً، فوقع فى محمل، أو على ظهر بعير، ثم سقطت على الأرض أجزأت... كل ذلك بدليل الإجماع المشار إليه» (١).

٢- يقول العلامة الحلى فى كتاب «منتهى المطلب»:

«إذا رمى بحصاء فوق على الأرض، ثم مرّت على سِنِّهَا (٢)، أو أصابت شيئاً صلباً كالمحمل وشبهه، ثم وقعت فى المرمى بعد ذلك

أجزأه؛ لأنّ وقوعها فى المرمى بفعله ورميه» (٣).

يومئى هذا التعبير إلى أنّ موضع الرمي كان منخفضاً قليلاً، فإذا ما وقعت قربه حصاءً وتدرجت حتى سقطت فيه كان مجزياً. وهذا دليل

على أنّه لم يكن فى هذا الموضع عمود بعنوان «رمى».

٣- جاء فى كتاب فقه الرضا:

«فإنّ رميت ووقعت فى محمل، وانحدرت منه إلى الأرض أجزأ عنك». وفى ذيله عن بعض النسخ: «وإنّ أصابت إنساناً أو جملًا، ثم

وقعت على الأرض أجزأه» (٤).

وسواء أكان فقه الرضا مجموعة روايات أم كتاباً فقهياً لأحد القدماء، (والواقع أنّ قرائن كثيرة فى فقه الرضا تشير إلى أنّ هذا الكتاب

كتاب فقهى لأحد كبار قدمائنا) فإنّ العبارة السابقة شاهد على مدّعانا أنّ الجمرات لم تكن

١- ١ الغنية، قسم الفروع، ص ١٨٩.

٢- ٢ السّنن على وزن السّنن بمعنى الطريق. و «امض على سننك» يعنى امض فى طريقك، وعلى هذا يكون معنى الجملة: وقعت

الحصاء على الأرض ومضت فى طريقها وسقطت فى الجمره.

٣- ٣ منتهى المطلب ٢: ٧٣١، الطبعة القديمة.

٤- ٤ مستدرک الوسائل، ج ١٠، أبواب رمى جمره العقبة، باب ٦، حديث ١.

ص: ٤٠

أعمدة، بل كانت ذلك الجزء من الأرض.

٤- يقول العلامة فى «التذكرة»:

«ولو رمى بحصاة، فوقعت على الأرض، ثم مرّت على سنّها أو أصابت شيئاً ضيّباً كالمحمل وشبهه، ثم وقعت فى المرمى بعد ذلك أجزأه؛ لأنّ وقوعها فى المرمى بفعله ورميه... وأما لو وقعت الحصاة على ثوب إنسان فنفضها، فوقعت فى المرمى، فإنّه لا يجزئه» (١).

لقد وردت فى هذه العبارات تعبيرات مختلفة، بعضها صريح (مثل: وقعت على الأرض) وبعضها ظاهرة فى المدعى (مثل: وقعت فى المرمى)، وهى تدلّ على أنّ المرمى هو الموضع من الأرض.

٥- يقول الشيخ الجليل الطوسى فى كتابه القيم «المبسوط»:

«فإن وقعت على مكان أعلى من الجمره وتدرجت إليها أجزأه» (٢).

٦- يقول يحيى بن سعيد الحلّى فى كتاب «الجامع للشرائع»:

«واجعل الجمار على يمينك، ولا تقف على الجمره» (٣).

إذا كانت الجمره العمود الخاصّ، فلا معنى للوقوف عليه؛ ذلك أنّ أحداً لا يقف على العمود. وهذا يدلّ على أنّ الجمره هى الموضع من الأرض، الذى يتجمّع فيه الحصى، والذى يوقّف خارجه للرمى لا عليه.

٧- وصاحب الجواهر ممّن عُنوا بمعنى الجمره، فأورد احتمالات عديدة. ويدلّ كلامه فى آخر البحث على إجزاء رمى الحصى فى موضع الجمرات، يقول:

«ثم المراد من الجمره البناء المخصوص، أو موضعه إن لم يكن، كما فى كشف اللثام. وسمّى بذلك لرميه بالحجارة الصغار المسماة بالجمار، أو من الجمره بمعنى

١- ١ التذكرة ٨: ٢٢١.

٢- ٢ المبسوط ١: ٣٦٩ و ٣٧٠.

٣- ٣ الجامع للشرائع: ٢١٠.

ص: ٤١

اجتماع القبيلة لاجتماع الحصاة عندها... وفى الدروس: أنّها اسم لموضع الرمي، وهو البناء أو موضعه ممّا يجتمع من الحصى. وقيل: هى مجتمع الحصى لا السائل منه. وصرّح على بن بابويه بأنّه الأرض، ولا يخفى عليك ما فيه من الإجمال. وفى المدارك- بعد حكاية ذلك عنه- قال: «وينبغى القطع باعتبار إصابة البناء مع وجوده؛ لأنّه المعروف الآن من لفظ الجمره، ولعدم تيقن الخروج من العهد بدونه، أمّا مع زواله فالظاهر الاكتفاء بإصابة موضعه». وإليه يرجع ما سمعته من الدروس وكشف اللثام، إلّا أنّه لا تقييد فى الأوّل بالزوال، ولعلّه الوجه لاستبعاد توقّف الصدق عليه» (١).

من كلام صاحب الجواهر هذا، يمكن استخلاص نقطتين:

الاولى: أنّه نفسه يميل إلى إجزاء كلّ من إصابة الأعمدة والأرض. وهذا يتوافق ومقصودنا من كفاية رمى الحصى فى النُقرة المحيطة بالعمود.

الثانية: يُفهم ممّا أورده عن صاحب المدارك أنّه يتمسّك لإصابة الحصى العمود بشيئين، أحدهما: أصل الاشتغال والاحتياط، والآخر أنّ المعروف من لفظ الجمره فى عصره هو العمود، ولكنّ كلا الدليلين غير مُقنع، ذلك أنّ وجود الأعمدة فى عصره، لا يعنى وجودها فى عصر المعصومين عليهم السلام، وتقتضى قاعدة الاحتياط هنا إصابة العمود، ووقوع الحصاة فى موضع اجتماع الحصى. وبناءً على هذا لا يجزئ أن يصيب كثير من الحصى العمود ثمّ يتزلّق خارجاً، وهذا يؤلّد مشكله كبيره أُخرى للحجّاج فى مراعاة أن يصيب الحجرُ الموضعين، إضافةً إلى أنّ الرجوع إلى أصل الاحتياط إنّما يكون إذا لم يكن لدينا دليل على وجوب الرمي فى مجتمع الحصى، فى حين لدينا على هذا دليل كافٍ؛ ولا دليل لدينا على أنّ المراد من

ص: ٤٢

رمى الجمرات هو الأعمدة، بل إن الشواهد تبين بوضوح أن الأعمدة لم يكن لها فى العصور السابقة من وجود، ولم يكن إلّا هذا الموضع الذى تجتمع فيه الحصى.

*** إن هذه الفتاوى التى أوردنا نماذج متعدّدة منها إنّما تنادى بأعلى صوتها قائلة:

إنّ الجمره لم تكن على شكل عمود، بل كانت هذه النُقَره هى التى يُرمى فيها الحصى.

ويلاحظ فى كلام مشاهير فقهاء العامية والخاصة وفره تعابير مثل «على الجمره» و «فى الجمره» و «فى المرمى» ممّا يطول نقله. وفى هذه التعابير ما يؤيد تأييداً جلياً أنّ الجمره لم تكن بمعنى العمود، كما صار فى العصور المتأخّره، بل إنّها هذه القطعه من الأرض التى يُرمى فيها الحصى، ذلك أنّ تعبير «فى الجمره» أو «على الجمره» إنّما يناسب قطعهُ الأرض هذه، لا الأعمده (فلاحظ).

تذكرتان لازمتان

١- يبدو أنّ بناء العمود الحاضر لم يكن له وجود مطلقاً فى زمان قدماء الأصحاب؛ فإنّ عبارة «المبسوط» (١) تدلّ بوضوح على عدم وجوده. وما لدينا من كلام يحيى بن سعيد الحلّى فى «الجامع للشرائع» يشهد أيضاً لهذا المعنى بجلاء، فإنّه يقول: «ولا تقف على الجمره» (٢).

ومن المتيقّن أن لو كانت الجمره عموداً، لكان الوقوف عليه أمراً مضحكاً، بل إنّ المراد أن لا تقف على طرف النُقَره أو على مجتمع الحصى؛ ذلك أنّ بعض الفقهاء يزّون أنّه يمكن الوقوف فى طرف منها ورمى الطرف الآخر، لكنّ بعضهم يزّون هذا غير جائز.

١-١ المبسوط ١: ٣٦٩-٣٧٠.

٢-٢ الجامع للشرائع: ٢١٠.

ص: ٤٣

ويستفاد من كلام صاحب «المدارك» أيضاً أنه لم يكن يعتقد اعتقاداً قطعياً بوجود الأعمدة فى الأزمنة السابقة، فإنه يقول: «وينبغى القطع باعتبار إصابة البناء مع وجوده، لأنه المعروف الآن من لفظ الجمرة، ولعدم تيقن الخروج من العهد بدونه، أما مع زواله فالظاهر الاكتفاء بإصابة موضعه» (١) ولعله أول من أفتى بهذه الفتوى.

وفى كلام بعض فقهاء السنّة أو الزيدية (أى المتأخرين منهم) إشارة كذلك إلى وجود العمود فى زمانهم. منهم الإمام أحمد المرتضى من فقهاء الزيدية فى القرن التاسع، الذى أشارت عبارة له إلى وجود العمود فى زمانه، لكنّ الطريف أنه يصرح بأنّ بعض الفقهاء قالوا: لا يجزئ رمى الأعمدة بالحجر، ويجب أن يصيب موضع الجمرة (مجتمع الحصى). وهذه عبارته:

«فإنّ قصّد إصابة البناء فليل لا يجزئ؛ لأنه لم يقصد المرمى. والمرمى هو القرار لا البناء المنسوب» (٢).

أجل، إنّنا كلّما بحثنا فى كلام فقهاء الشيعة والسنّة تأكّد وصولنا إلى هذه النتيجة، وهى أنّ موضع الرمي هو قطعة الأرض، وإنّما بُنى العمود بعدئذٍ ليكون علامة.

٢- من اللّازم الالتفات إلى هذه النقطة أيضاً، وهى أنّ طائفة من متأخري الفقهاء يعدّون رمى الموضع مجزئاً، منهم الشهيد الأوّل فى كتاب الدروس، حيث يقول:

«والجمرة اسم لموضع الرمي، وهو البناء أو موضعه ممّا يستجمع من الحصى.

١- ١ المدارك ٨: ٩.

٢- ٢ شرح الأزهاري ٢: ١٢٢.

ص: ٤٤

وقيل: هى مجتمع الحصى لا السائل منه. وصرح على بن بابويه بأنه الأرض» (١).

ومنهم الفاضل الاصفهاني فى كشف اللثام حيث يقول فى تفسير «الجمرة»:

«هى الميل المبنى، أو موضعه» (٢).

ويقول الشهيد الثانى كذلك فى شرح اللمعة لدى تعريفه الجمرة:

«وهى البناء المخصوص أو موضعه وما حوله مما يجتمع من الحصى، كذا عرّفه المصنّف فى الدروس، وقيل: هى مجمع الحصى...

وقيل: هى الأرض» (٣).

وقد قرأنا فى الأبحاث السابقة ما ورد فى آخر كلام صاحب الجواهر أنّ هذا الفقيه الماهر كان يميل إلى إجزاء إصابته كلّ من الاثنين

(الموضع والبناء) (٤).

الجمرات فى كتب اللغويين

ذكرت النصوص اللغوية المعروفة المشهورة أربعة معانٍ للجمرة:

١- الجمرة فى الأصل بمعنى اجتماع القبيلة، وسميت الجمرات بهذا؛ لأنها موضع اجتماع الحصى.

٢- الجمرة بمعنى الحصاة، وقيل للجمرات جمرات؛ لأنها موضع الحصى.

٣- الجمرة من «الجمار» بمعنى «سرعة الابتعاد»؛ لأنّ آدم عليه السلام لمّا وجد إبليس فى هذا الموضع رماه بحجر، فأسرع الشيطان

بالابتعاد.

٤- الجمرة بمعنى القطعة الملتهبة من النار (وربما هى إشارة إلى القطع الصغيرة التى تنقذ أحيانا من بين شعله النار شبيهة

بالحصيات).

ونضع الآن أمام القراء الأعزّاء طرفاً من كلام اللغويين:

أ- نقرأ فى «المصباح المنير» للفيومى المتوفى سنة ٧٧٠ هـ:

١- ١ الدروس ١: ٤٢٨، الطبعة الجديدة.

٢- ٢ كشف اللثام ٦: ١١٤.

٣- ٣ شرح اللمعة.

٤- ٤ مصدر سابق.

ص: ٤٥

«كل شيء جمعته فقد جمرته. ومنه الجمره، وهي مجتمع الحصى بمنى؛ فكل كومه من الحصى جمره، والجمع جمرات».

ب- يقول الطريحي (المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ) في «مجمع البحرين»:

«الجمرات مجتمع الحصى بمنى؛ فكل كومه من الحصى جمره، والجمع جمرات، وجمرات منى ثلاث».

ج- يقول ابن منظور (المتوفى سنة ٧١١ هـ) في «لسان العرب»:

«والجمرة اجتماع القبيلة الواحدة... ومن هذا قيل لمواضع الجمار التي ترمى بمنى: جمرات؛ لأن كل مجمع حصى منها جمره، وهي ثلاث جمرات».

د- يقول ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٠٦ هـ) في «النهاية»:

«الجمار هي الأحجار الصغار، ومنه سميت جمار الحج للحصى التي يرمى بها».

وأما موضع الجمار بمنى فسمى جمره لأنها ترمى بالجمار. وقيل: لأنها مجمع الحصى التي يرمى بها».

هـ- يقول الزبيدي (المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ) في «تاج العروس في شرح القاموس»:

«وجمار المناسك وجمراتها: الحصيات التي يرمى بها في مكة... وموضع الجمار بمنى سمي جمره لأنها ترمى بالجمار، وقيل: لأنها مجمع الحصى».

*** يستفاد من مجمل الكلام السابق، ومن عبارات طائفة أخرى من اللغويين أن الجمرات إنما سميت الجمرات؛ لأنها موضع اجتماع الحصى، أو لاجتماع الجمار فيها.

ولم يعتبروا الجمره بمعنى العمود كما رأينا، بل بمعنى الأرض التي يجتمع فيها الحصى.

وهذه العبارات والكلمات - إضافة إلى دلالتها على أن العمود لم يكن مبيتاً في عصور كثير منهم - تدل على أن مجتمع الحصى هو الوجه في تسمية الجمرات وفي جذرها اللغوي.

ص: ٤٦

ومن اللّازم هنا التذكير أنّ «الجمرات» يقيناً ليست من الألفاظ التى لها حقيقة شرعية أو متشّرع، وعلى هذا ينبغى الرجوع فى فهم معناها إلى كتب اللغة، وأنّ إطلاقها على المواضع الثلاثة، إنّما هو من قبيل إطلاق الكلّى على الفرد، ثم صارت هذه الكلمة بالتدريج علماً لهذه المواضع.

متى بُنيت هذه الأعمدة؟

إنّه سؤال مهمّ قلّما أُجيب عنه، وربّما لم يمكن العثور على جواب دقيق عنه.

ولكنّ القرائن الكثيرة، التى تستفاد من كلمات فقهاء الشيعة والسنة، وكذلك من كلام اللغويين، تشير إلى أنّ هذه الأعمدة لم تكن موجودة فى عصر رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام وقدماء الأصحاب، ثم وُجدت فى العصور التالية. ويحتمل احتمالاً قوياً أنّ بناءها من أجل أن تكون علامة على هذا الموضع، ثم تصوّر بالتدريج أنّ الأعمدة هى التى تُرمى، وراح هذا تصوّر يقوى بمرور الزمان.

وقد جاء فى كلمات كثير من الفقهاء - كما رأينا فى البحوث المتقدمة - أنّ الرمي يجب أن يكون للأرض، وفى العصور المتأخّرة، قال بعضهم بالتخيير بين رمى العمود ورمى الأرض، حتّى وصل الأمر ببعضهم أن جعل رمى العمود هو المتعيّن!

شهادة الروايات

لقد وردت روايات روى الجمرات فى كتاب «وسائل الشيعة» على قسمين:

الأول: فى أبواب «رمى جمرة العقبة»، إذ ذُكرت فى ضمن سبعة عشر باباً روايات وفيرة حول أحكام الجمرات، ولكن لا نجد فى أىّ منها تفسيراً وتوضيحاً للجمرة، وهل هى العمود، أم مجتمع الحصى؟

ثمّ ذُكرت من جديد أحاديث أخرى كثيرة بعد أبواب الذبح والتقشير، تحت عنوان «أبواب العود إلى منى ورمى الجمار...» تتحدّث فى ضمن سبعة أبواب عن رمى الجمرات الثلاث بعنوان أعمال اليوم الحادى عشر والثانى عشر من ذى الحجة، ولا نجد فى أىّ من هذه الروايات أيضاً كلاماً حول تفسير الجمرات.

ص: ٤٧

ولكن الدراسة الدقيقة لمجموع هذه الأبواب الأربعة والعشرين قد بينت أن فى روايات متعددة منها إشارات ذات دلالة على ما ذهبنا إليه من كون الجمرة هى موضع الحصى.

لاحظوا هذه الروايات السبع:

١- نقرأ فى حديث معتبر عن معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إِنْ رَمَيْتَ بِحَصَاٍ فَوَقَعْتَ فِي مَحْمِلٍ فَأَعِدْ مَكَانَهَا، وَإِنْ أَصَابَتْ إِنْسَانًا أَوْ جَمَلًا ثُمَّ وَقَعْتَ عَلَى الْجِمَارِ أَجْزَأُكَ» (١).

وتعبير «على الجمار» يشير إلى أن الجمرة هى قطعة الأرض التى تقع فيها الحصيات. ولنتذكر هنا أن كثيراً من أرباب اللغة قد فسّروا «الجمار» بصغار الأحجار.

منهم ابن الأثير فى «النهاية» حيث يقول: «الجمار هى الأحجار الصغار».

ويقول الفيومى فى «المصباح المنير»: «والجمار هى الحجارة».

ويقول ابن منظور فى «لسان العرب»: «الجمرات والجمار: الحصيات التى ترمى بها فى مكة».

وبناءً على هذا، فإن وقوع الحجر على الجمار يعنى وقوعه على الحصى، وهذا مُجَزَّ طبق الروايات.

إضافةً إلى هذا أن الحجر الذى يقع على بدن الإنسان، أو على جمل ليست له فى رجوعه القوة الكافية، لأن تجعله يصيب الأعمدة (على فرض وجودها)، وأكثر ما يمكن أنه يقع على الحصى.

٢- نقرأ فى حديث البزنطى (أحمد بن محمد بن أبى نصر) عن أبى الحسن (على بن موسى الرضا عليه السلام):

١- ١ الوسائل، ج ١٠، أبواب رمى جمره العقبة، باب ٦، حديث ١.

ص: ٤٨

«وَجَعَلَهُنَّ عَلَى يَمِينِكَ كُلُّهُنَّ، وَلَا تَزِمَ عَلَى الْجَمْرَةِ» (١).

وهذا الحديث يدلّ دلالةً بيّنة على أنّ الجمرّة هي موضع الحصى، ذلك أنّ بعضهم يقف على جانب منه ويرمى الجانب الآخر. والإمام عليه السلام ينهى عن هذا العمل، وإلّا فإنّ أحداً لا يقف على العمود عند رمى الجمرّة.

وقد مرّ بنا هذا المعنى أيضاً لدى ذكر كلام فقهاء العائّة في البحث السابق، حيث يقول بعضهم: لا يجوز الوقوف على الجمرّة.

٣- نقرأ في حديث معتبر آخر، عن معاوية بن عمّار، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«خُذْ حَصَى الْجِمَارِ ثُمَّ اثْنِ الْجَمْرَةَ الْقُصُوى الَّتِي عِنْدَ الْعَقْبَةِ فَارْمِهَا مِنْ قِبَلِ وَجْهِهَا، وَلَا تَزِمِهَا مِنْ أَعْلَاهَا» (٢).

يدلّ هذا التعبير وتعايير الفقهاء على أنّ جمرّة العقبة قطعة أرض أحد جانبيها أعلى من الآخر، وبعبارة أخرى أنّ أحد جانبيها واد، وجانبيها الآخر تله. وقد أمر أن يُرمى من جانب الوادى الذى هو فى الواقع مستدبر لمكّة لا من جانب التله (لأنّه يستفاد من روايات أخرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد فعل ذلك).

وإذا كانت الجمرّة بمعنى العمود فإنّ جملة «وَلَا تَزِمِهَا مِنْ أَعْلَاهَا» تكون بلا معنى؛ لأنّ أحداً لا يصعد إلى أعلى العمود للرمى.

٤- جاء فى كتاب فقه الرضا عليه السلام:

«وإن رَمَيْتَ وَدَفَعْتَ فى مَحْمِلٍ وَانْحَدَرَتْ مِنْهُ إِلَى الْأَرْضِ أَجْزَأْتُ عَنْكَ».

وفى نسخة أخرى: «إِنْ أَصَابَ إِنْسَانًا ثُمَّ أَوْ جَمَلًا ثُمَّ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ أَجْزَأُهُ» (٣).

١- ١ الوسائل، ج ١٠، أبواب رمى جمرّة العقبة، باب ١٠، حديث ٣.

٢- ٢ الوسائل، ج ١٠، أبواب رمى جمرّة العقبة، باب ٣، حديث ١.

٣- ٣ المستدرک، ج ١٠، أبواب رمى جمرّة العقبة، باب ٦، حديث ١. وفى المصدر: وإن رميت ودفعت.

ص: ٤٩

ومن الواضح جلياً أنّ المراد بهذه العبارة التدرج والوقوع فى أرض موضع الرمى، وعلى هذا لا يبدو موجّهاً إشكال صاحب الجواهر حين قال: «والحديث مبهم».

٥- جاء فى حديث آخر فى فقه الرضا حول كيفيّة رمى الجمره:

«وترمى من قبل وجهها، ولا ترميها من أعلاها...» (١).

إذا كانت الجمره بمعنى العمود، فلا- معنى لأن يصعد عليه أحد ثم يرميه، إنّما مفهومه- بقرينه قوله: «ترمى من قبل وجهها ولا ترميها من أعلاها»- هو أنّ هذه القطعه من الأرض كانت- كما قلنا- فى مُنحدر، ويستحب أن ترمى من جانبها الأسفل، لا من جانبها الأعلى، كما نُقل عن فعل النبى صلى الله عليه و آله.

سؤال: إذا قيل: ربّما كان المراد لا ترم أعلى العمود وارم أسفله.. فماذا تقولون؟

نقول فى الجواب:

أولاً: إذا كان هو المراد، فإنّ العبارة ينبغى أن تكون: «ولا ترم أعلاها» وليس «ولا ترم من أعلاها» (فلاحظ).

ثانياً: أنّ المقابلة بين «ترمى من قبل وجهها» و «ولا ترميها من أعلاها» دليل واضح على أنّ المراد تلك القطعه من الأرض، التى هى منخفضة من جانب ومرتفعه من جانب آخر، أى: ارم من الجانب المنخفض (الوادى)، لا من الجانب المرتفع. وسواء أكان فقه الرضا حديثاً أم فتوى، فإنّه شاهدٌ حسن على هذا المدعى.

٦- وفى كتاب «دعائم الإسلام» حديث عن الإمام الصادق عليه السلام شبيه بهذا المعنى، قال: وهذا التعبير يشير أيضاً إلى أنّ الجمره هى قطعه الأرض، التى أحد جانبيها أكثر ارتفاعاً. وفى هذه الروايه نهى عن الرمى من هذا الجانب، وإلا فإنّ

ص: ٥٠

أحدًا لا يقف على العمود.

٧- فى سنن البيهقى عن عبدالله بن يزيد أنه قال: كنت مع عبدالله بن مسعود، فأتى جمرة العقبة فاستبطن الوادى فرماها من بطن الوادى، فقلت له:

«الناس يرمونها من فوقها»، فقال: هذا- والذى لا إله غيره- مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة (١). يعنى أن النبى صلى الله عليه وآله رماها من أسفلها، وما وقف فى أعلى الجمرة.

وثمة حديث ربما يُظن أنه يشير إلى وجود عمود للجمرات:

«عن أبى عَسَانٍ حُمَيْد بن مسعود، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رمى الجمار على غير طهور، قال: الجمار عندنا مثل الصفا والمروة: حيطان إن طُفَّت بينهما على غير طهور لم يضرَّك، والطهر أحبُّ إلى، فلا تدعه وأنت قادرٌ عليه» (٢).

فقد استفاد بعض الفقهاء المتأخرين من أن الحيطان (جمع حائط بمعنى الجدار) تشير إلى وجود جدار هناك، وهذا الجدار من المحتمل أنه أعمدة الجمرات.

ولكن هذا الاستدلال قابل للمناقشة من عدة جهات، لأنه:

أولاً: سند الحديث ضعيف، فإن حميد بن مسعود من المجاهيل، وبناءً على هذا، فإن هذا الحديث- وهو خبر واحد ضعيف- لا يمكن أن يُثبت شيئاً، فيما كانت الروايات السابقة متظافرة، إضافةً إلى أن بينها حديثاً صحيحاً ومعتبراً أيضاً.

ثانياً: إذا لم يكن هذا الحديث- من حيث الدلالة أيضاً- لا يدل على خلاف مطلوبهم، فإنه ليس على وفق مطلوبهم؛ لسببين:

١- إن «حيطان» جمع «حائط» بمعنى جدار، يحوط شيئاً ما. وهذه الكلمة مشتقة من مادة «حوط» و «إحاطة»، ومن يقال للبستان المحاط بجدار: حائط.

يقول ابن منظور فى «لسان العرب»: «والحائط: الجدار، لأنه يحوط ما فيه،

١- ١ السنن الكبرى للبيهقى ٥: ١٢٩.

٢- ٢ الوسائل، ج ١٠، أبواب رمى جمرة العقبة، باب ٢، حديث ٥.

ص: ٥١

والجمع حيطان».

واللافت أن المعنى الأصلي ل «حوط» حياطة الشيء وحفظه، ويقال للجدران التى حول الشيء حائط؛ لأنه يحوطه ويحفظه.

وعلى هذا لا معنى لأن يسمى عمود شبيه بعمود الجمرات الحالى حائطاً.

وإذا كان ثمة حائط فهو جدار شبيه الجدار الحالى لنقرة الجمرات، الذى بُنى حول قطعة من الأرض مخصوصه، وليس له من ارتباط بالعمود (فلاحظ).

٢- إن النسبة بالصفاء والمروة يعطى هنا معنى خاصياً، وذلك أن الصفا والمروة جبلان أحدهما أعلى قليلاً من الآخر، وليس حولهما حيطان. ولو كان ثمة حائط، فما وجه ارتباطه بمسألة الوضوء حتى قال: إنهما (الصفاء والمروة والجمرات) حيطان فلا حاجة إلى طهور؟ تصورنا أن المراد من الحديث الآنف الذكر أن الصفا والمروة ساحة عادية مثل الجمرات، ليس لها حكم الكعبة والمسجد الحرام حيث يجب الوضوء للطواف، ويستحب لدخول المسجد.

وبناءً على هذا لا دلالة فى الحديث المذكور على وجود عمود فى الجمرات، إذا لم يدل على خلاف ذلك. إضافة إلى هذا، فإن هذا الحديث - كما قلنا سابقاً - حديث ضعيف لا يُثبت شيئاً.

*** نتيجة البحث الروائى

على الرغم من أن كل الروايات، التى ذكرناها فيما سبق، لم يرد فيها كلام عن ماهية «الجمرة»، لكن يمكن حصول الاطمئنان - من خلال تعابيرها - إلى أنه لم يكن فى هذه القطعة من الأرض المحددة فى منى خلال عصر النبى صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام، غير موضع اجتماع الحصى، واستمر الوضع أيضاً على هذه الحال فى زمان الفقهاء القدامى من الفريقين.

ص: ٥٢

وبعبارة أخرى: لم يكن فى منى عمود بعنوان الجمره تُرمى بالحجر، بل إنَّ الحجيج كانوا يرمون هذا الموضع المبنى الآن حول الجمرات بشكل حوض صغير بالحجر.

ملاحظة

يستفاد من التواريخ المعروفة، مثل تاريخ «مروج الذهب للمسعودى» و «الكامل لابن الأثير» أنَّهم كانوا فى الجاهلية يرمون قبر بعض الأفراد المنبوذين الخونة.

يقول المسعودى فى مروج الذهب: عندما سار أبرهه بأصحاب الفيل إلى مكه لإخرا ب الكعبة... فعَدَل إلى الطائف، فبعثت معه ثقيف بأبى رُغال؛ ليدله على الطريق السهل إلى مكه، فهلك أبو رغال فى الطريق بموضع يقال له المَعَمَس بين الطائف ومكه، فَرُجِم قبره بعد ذلك، والعرب تتمثل بذلك. وفى ذلك يقول جرير ابن الخطفى فى الفرزدق:

إذا مات الفرزدقَ فارْجُمُوهُ كما تَرْمُونَ قبرَ أبى رُغالِ

ويقول هذا المؤرخ فى روايه أخرى: وقيل: إنَّ أبا رُغال وَجَّهه صالح النبى على صدقات الأموال، فخالف أمره وأساء السيره، فوثب عليه ثقيف - وهو قس بن منبه - فقتله قتله شنيعه... وفى ذلك يقول مسكين الدارمى:

وارْجُمُ قبره فى كلِّ عامٍ كرجمِ الناسِ قبرَ أبى رُغالِ (١)

ومن المحتمل أنَّهما اثنان، كان أحدهما فى زمن أبرهه والآخر فى زمن النبى صالح عليه السلام.

ص: ٥٣

وينقل ابن الأثير فى «الكامل» قصّة أبرهه وأبى رغال، فيقول بعد ذكر موته فى «المُعَمَّس»:

«فَرَجَمَتِ الْعَرَبُ قَبْرَهُ، فَهُوَ الْقَبْرُ الَّذِى يُرْجَمُ» (١).

وجاء فى سفينة البحار (مادة: لَهَب) عند ذكر قصّة أبى لهب، لما مات أبو لهب بقى جسده ثلاثة أيام حتّى أنتن فى بيته، ثم دفنوه بأعلى مكّة (فى طريق العمرة) وقذفوا عليه الحجارة حتّى واروه، وبعد انتشار الإسلام كان قبره يُرمى بالحجر. يُستفاد من هذه العبارات أنّ العرب قبل الإسلام وبعده كانوا يرمون قبور المنبوذين، ولعلّه قد اخذ من رمى الجمرات. ولم يُذكر فى هذه التواريخ أنّهم قد اتخذوا أعمدة لهذه القبور يرمونها، ولو كان للجمرات عمود فى ذلك الزمان، لكان المناسب أن يكون تقليد العرب على هذه الصورة. ولا نريد أن نطرح هذا المطلب بعنوان دليل، بل إنّهُ يُعدّ مؤيداً وحسب.

النتيجة النهائية للبحث

من مجموع ما سبق يمكن استخلاص هذه النتيجة:

- ١- لا- دليل، فى نظر الفقه الإسلامى - شيعياً و سنيّاً - على لزوم إصابة الحصى الأعمدة، بل إنّ أجزاء رمى الأعمدة فيما لو لم تقع الحصيات فى الدائرة التى تحفّ بالأعمدة، محلّ تأمل (فلا حظ). والمسلم أجزاء رمى الحصى فى الدائرة المحيطة بالأعمدة.
- ٢- بناءً على ما تقدّم لا ينبغى للحجاج المحترمين أن يشقّوا على أنفسهم متلقّين مخاطر شتّى فى رمى الأعمدة، بل يمكن بسهولة ويُسر رمى الحصيات السبع الصغار فى الدائرة المحيطة بالعمود، ثم يغادرون المكان على الفور فاسحين المجال

ص: ٥٤

أمام الآخرين.

٣- إذا أصابت الحصاة العمود ووقعت عند أسفله أجزاً، لكن لا لزوم لتحمل هذه المشقة.

٤- متى كان الرمي من الطابق الأعلى وقُذفت الحصاة فى الحوض الصغير الموجود فى الطابق الأعلى أجزاً؛ لأنّ هذه الأحواض الصغيرة العليا قد بُنيت بشكل قمع تنزل منه الحصيات إلى الأحواض السفلى.

٥- جدير بالباحثين الإسلاميين أن يدرسوا هذه المسألة. ومتى اتفق علماء الشيعة الأعلام وكبار أهل السنة على هذه المسألة بعد البحث، فإنه ستحلّ إن شاء الله إحدى مشكلات الحجّ الكبيرة التى تسبّب ازدحاماً متزايداً، وتؤدّى فى أحيانٍ كثيرة إلى هلاك أو جرح عدد كبير من الحجاج الأعزّاء، وفى الوقت نفسه سيكون عملهم هذا موافقاً لأعمال رسول الله وأئمّة الهدى عليهم السلام.

ص: ٥٥

تعريف بكتاب: الحرم المكي... (١)

تعريف بكتاب: الحرم المكي... (١)

تعريف بكتاب: الحرم المكي... (١)

تأليف: أ. د. عبد الملك بن دهيش

تقديم وتعريف: محسن الأسدي

هناك حيث ظلت بلاد الحجاز، مكة والمدينة وما بينهما وما حولهما، منبع الإسلام، تلك الرسالة السماوية العظيمة التي اختارها الله تعالى مصدر نور يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ... وأرضاً صالحةً لدعوة وجهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وآله الطيبين وصحبه المنتجبين والشهداء والصالحين ...

ولها أن تفتخر بكل هذا وتسمو به على غيرها من بلدان الأرض.

ظلت هذه الأرض المباركة مصدر الخير والعطاء، مهذاً لكل هذا ولكثير من العلماء والفقهاء والمؤرخين والأدباء والشعراء.. الذين أثروا بما تفضلت به جهودهم من أعمالٍ جليّة ومواقف كبيرة، تراثنا الإسلامي ومكتباتنا في شتى صنوف المعرفة فقهاً وتفسيراً وتاريخاً وآداباً.. وما زالت هذه الأرض الولود ترفدنا بين حين وآخر بعالم زاهد ومؤرخ جليل واستاذ خبير وأديب بارع، تزهو بمحاضراتهم ومؤلفاتهم مجامعنا العلمية ومحافلنا الثقافية ومنتدياتنا الأدبية...

ومؤرخنا الباحث الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش واحد من

ص: ٥٦

ذلك الجمع الطيب، ومن الذين اتصفت بشخصياتهم بأجمل ما يتحلّى به الباحث العلمي، وهو الإنصاف واحترام الآخر وعدم التحامل على مخالفه فيما يؤمن به وفيما يطرحه من أفكار، فتراه يستمع إلى آرائهم، فيسلم للصحيح منها، ويناقش غيره بكلّ سعة صدر وحسن خلق... كلّ ذلك لمسناه في عدد من المؤرخين في بلد الحرمين الشريفين، وعبر حوارات تتسم بالموادّة وبالبحث عن الحقيقة أينما وجدها الإنسان التقطها، جرت بينهم وبين آخرين من مذاهب أخرى.

وقد التحق الدكتور بن دهيش بأخلاقه ودقته العلمية بركب المؤرخين المنصفين، الذين خدموا التراث خدمة علمية مخلصّة تستحقّ الوقوف عندها، والاستنارة بما حوته، والاستفادة ممّا توفّرت عليه.

ونحن إذ نقف عند هذا المحقق الباحث ومؤلفاته نقدّم خدمه وإن كانت متواضعة لتراثنا بذكر علم من أعلامه المعاصرين، الذين تمتّعت حياتهم الشخصية بسيرة طيبة، وحياتهم العلمية الخصبة والغنية بمنهج علمي رائع، فبوقتنا هذه نكشف للقارئ الكريم والمتتبع الجاد أهمّ خصلة في هذا الرجل تنفع كثيراً كلّ من أراد أن يكون منصفاً دقيقاً في علاجه للمشاكل وفي مناقشاته للأحداث وفي سرده للوقائع ودراستها؛ ليعطى بعد ذلك حكمه فيها بلا تحيز ولا تطرف..

فإنصافه ومنهجه العلمي ودقته العالية هو الخصلة الرائعة فيما يؤلّف ويكتب وفي دراساته وتحقيقاته، فقد كان يتمتّع بنفس علمي وعلمي فقط بعيداً عن الضغائن التي كثيراً ما اتصفت بها أقلام آخرين، فكانوا من الذين ابتعدوا عن الأمانة العلمية في تقديمهم وفي إجاباتهم عمّا يطرح عليهم من أسئلة، ولم يكتف بعضهم بهذا القدر ويقف عنده، بل راح يلوذ بشتائم واتّهامات للآخرين ممّن هم على غير مذهبه، ما لها من حجّة ولا دليل.

ص: ٥٧

أما الدكتور عبد الملك، فمع أنه كان مكثراً في أعماله ونتاجاته، لكنّها لم تكن على حساب أمانته العلمية ودقّتها... ولم تزلّ به قدم، ولم يتحامل على الآخر، وليس في هذا المجال فقط. بل كان مخلصاً أيضاً فيما تولّاه من مناصب إدارية وعلمية أتاح له خدمة أهدافه وآماله، التي هي الأخرى تنصبّ في خدمة ديننا الإسلامي الحنيف وتراثنا القيم.

ومعالم شخصيته بدت لا- من خلال ما كتبه فقط، بل من خلال مواقفه الرصينة، أيضاً، فتراه- مثلاً- مع أنه حنبلي المذهب بل من علمائه، إلّا أنّ بحثه عن الحقيقة يشكّل في حياته مراده الأوّل وهدفه الأسمى من أيّ لسان صدرت ومن أيّ جهة انبثقت، بعيداً عن التحامل والتعصّب الأعمى.

وهذا ما جعله ينصف الآخرين من مذاهب أخرى، ويدافع ويدرأ عنهم ما يثيره الآخرون من شبّهات واتّهامات، فتجده- بعد درس وتحقيق- ينأى عن الأفكار الفاسدة والأقلام الحاقدة، وهذا هو شأن الباحث المنصف، والأخلاقية العالية، التي يجب أن يتمتّع بها كلّ من يريد أن يحترم فكره وعقله وقلمه.

فتركت مواقفه هذه وجهوده العلمية وأنشطته الأخرى بصمات واضحة نتلمّس من خلالها منهجاً علمياً دقيقاً تحلّت به هذه الأنشطة وتلك الخدمات، ومن يريد معرفة الرجل، فليرجع وليحتكم إلى ما تفضّلت به يده في كلّ الموارد التي توفّر عليها بوعى وبصيرة. وختاماً وقبل أن نتحدّث عن نسب الرجل واسرته، وأنشطته وجهوده العلمية، وما توفّرت المكتبة الإسلامية عليه من مؤلّفاته وآثاره حتّى غدت زاهية بما خطّته أنامله، وما أفاءه علينا من معرفة جمّة وعلم غزير.

ألخصّ قولي فيه- فقد عرفته من خلال كتبه، ومما سمعته عنه- أنّ هذا الرجل عرف في الأوساط العلمية وأوساط المؤرّخين بحذاقته، وبدماثة

ص: ٥٨

الخلق، وسعة الصدر، وحبّ للرأى الآخر، وتقبله للنقد، وبعده عن الطائفية والعصبية «دعوها فإنّها منتنة» هكذا عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله حينما كان يرّبي أصحابه، ويحذّرهم من العادات الجاهلية وقذاراتها..

لهذا نرى الرجل فى لقاءاته على كثرتها منفتحاً على الآخرين، يسمع لهم، ويجيبهم، بعيداً عن التوتر والتعالى.. إنّ ما يتمتّع به الدكتور بن دهيش من صفات جعلت منه رجلاً يقبل عليه الآخرون بكلّ شوق وحبّ واحترام، كما راح يقدم كلّ ما عنده من معرفة وعطاء لا يبخل بشيء منّ الله به عليه.. حقّاً أنّها زكاه العلم، وما أعظمها من فضيلة أن يتّصف بها طلبه العلم والمعرفة! وقد هيأت هذه الخصال العلمية والأخلاقية لأن يدرج اسمه مع كبار المؤرّخين والمؤلّفين، خاصّة الذين حظيت أقلامهم بشرف الكتابة عن الحرم المكيّ وتحقيق بعض ما ألف بخصوصه.

ابن دهيش نسباً واسرةً

وجدير بنا ونحن نقرأ هذا الأثر القيم أن نعرض على مؤلّفه، لنلقى نظرة عليه أسرةً وعلماً وأنشطةً.

إذن تعالوا لنقرأ معاً ما ذكر عن أسرته موطناً ونشأة؛ قديماً وحديثاً وعن مؤلّفاته وأنشطته والوظائف التى تقلّدها. فهو: معالى الدكتور عبد الملك ابن عبد الله بن عمر بن دهيش، من مواليد مدينة حائل، التى تقع فى شمال المملكة العربية السعودية. فقد كان موطن هذه الاسرة قديماً يقع بجبلى أجا وسلمى، ويعرفان الآن ب (حائل)، وقد انتقل مؤسسها عبد الله الشمرى إلى منطقة سدير سنة ١٤٢٠هـ.

وفى هذه السنة عمرت بلدة المجمعّة المعروفة، عمّرها عبد الله الشمرى،

ص: ٥٩

من آل وبيار من عبدة، من شمّر، وكان عبدالله المذكور من المقرّبين عند حسين بن مدلج بن حسين الوائلي - رئيس بلدة التويم، فلما مات حسين، قدم عبدالله الشمري المذكور على ابنه إبراهيم بن حسين في بلدة حرمة (١)، فطلب منه قطعة من الأرض، لينزلها ويغرسها هو وأولاده، فأشار أولاد إبراهيم على أبيهم أن يجعله أعلى الوادي، لئلا يحول بينهم وبين سعة الفلاة والمرعى، فأعطاه موضع بلد المجمع، وصار كلما حضر أحد من بني وائل، وطلب من إبراهيم ابن حسين ومن أولاده النزول عندهم، أمروه أن ينزل عند عبدالله الشمري، طلباً للسعة، وخوفاً من التضيق عليهم في منزل وحرث وفلاة (٢).

وقد ذكر محمد العثمان القاضي في روضة الناظر: أن عبدالله الشمري كان أمير المجمع وقاضيها والتفّ إليه من الحاضرة والبوادي من حولها حتى أصبحت عاصمته سدير (٣).

ونقل الشيخ حمد الجاسر عن بن لعبون في تاريخه كلامه عن نسب آل مدلج (٤).

١-١ عمرها إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي سنة ٧٧٠ تقريباً، وذلك أن إبراهيم بن حسين المذكور انتقل من التويم إلى موضع بلد حرمة، وهي مياه وآثار منازل، قد تعطلت من منازل بني عايد من بني سعيد، فعمرها وغرسها هو وبنوه، ونزل عنده كثير من قرابته وأتباعه.

انظر: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ هـ إلى ١٣٤٠ هـ لإبراهيم بن عيسى ص ٣١.

٢-٢ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ هـ إلى ١٣٤٠ هـ لإبراهيم بن عيسى، ص ٣٢-٣٣، وانظر: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد بن عثمان قاضي عيزة: ١/ ١٩٨.

٣-٣ المصدر نفسه ١: ١٩٨.

٤-٤ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة لحمد الجاسر ١: ٤٢٦.

ص: ٦٠

وذكر ابن بسام (١): أنَّ عبد الله الشمرى من ويبار أحد بطون طى (٢) من عبدة من شمر، وأولاده ثلاثة هم: سيف، ودهيش، وحمد (٣).

ودهيش له عدّة أولاد دبّ الخلاف بينهم وبين بنى عمّهم سيف منذ سنة ٩١٤ هـ وتحول إلى معارك هدرت فيها الدماء من الطرفين من أجل رئاسة بلدة المجمعّة.

وكان أهل حرمة قد وعدوا آل دهيش النصر، فيما بادر جماعة من أهل المجمعّة وأصلحوا بينهم (٤).

ومع هذا ظلّ الخلاف والصلح يتناوبان بينهما حتّى ارتحل آل دهيش إلى مرات، التى تبعد حوالى ١٤٥ كم فى الشمال الغربى لمدينة الرياض فى منطقة الوشم، ومرات هذه مدينة قديمة سكنت قبل الإسلام ولا تزال مسكونة منذ ذلك الحين، وهى بلدة امرئ القيس (٥)، بعد أن لم يجد آل دهيش بداً من الرحيل من المجمعّة وحرمة إلى مكان يجدون فيه الطمأنينة والاستقرار، وقد ملكوا عدّة عقارات بمرات وذلك فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى، ولهم حائط باسم (حويط دهيش) على يمين المتّجه شرقاً، ولا يزال قائماً حتّى الآن، وبقي أفراد هذه الاسرة فى هذه المدينة يعملون بالتجارة حتى سنة ١٢٣٦ هـ، فساعدوا عبد الله بن حمد الجبرى، الذى تأمر على بلدة مرات فى زمن تركى بن عبد الله بن محمّد بن سعود، مؤسس

١- ١ تحفة المشتاق فى أخبار نجد والحجاز والعراق لعبد الله بن محمّد البسام ٢: ٧ / ٧١-٧٢.

٢- ٢ انظر المنتخب: ٨٥، ومعجم قبائل العرب ٢: ٦٦٨، وجمهرة أنساب الأسر: ٨٨٧، ومعجم قبائل المملكة العربية السعودية، وكلّها للشيخ حمد الجاسر: ٨٦٦.

٣- ٣ انظر: جمهرة أنساب الأسر لحمد الجاسر ١: ٤٢٧ نقلًا عن تاريخ ابن لعبون.

٤- ٤ تحفة المشتاق ٣ / ٥ / ١٩.

٥- ٥ انظر: المنتخب للمغيرى: ٢٤٥، ٣٩٣.

ص: ٦١

الدولة السعودية الثانية (١).

وبعد أن قامت الدولة السعودية الثانية، وخلال الفترة الثانية من حكم فيصل بن تركي الذي عيّن دخيل الله بن دهيش أميراً على بلدة مرات سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م تقريباً. فاستمرّ دخيل الله أميراً لهذه البلدة طوال فترة حكم فيصل بن تركي وحتى وفاته في عام ١٢٨٢ هـ. فرحل عنها سنة ١٢٨٣ مع أسرته إلى الأحساء وبقي فيها يعمل بالتجارة.

ولما ضمت الأحساء إلى السعودية على يد الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٣٣١ أصبح عمر بن عبد الله بن دخيل الله بن دهيش وهو جدّ الدكتور عبد الملك صاحب هذا الكتاب، من المقرّبين لأمير الأحساء عبد الله بن جلوي، لفراسته وذكائه، وهو لم ينجب سوى والد الدكتور عبد الملك، فضيلة الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش، وقد تولّى عدّة مناصب في سلك القضاء، تولّى آخرها وهو رئاسة المحاكم الشرعية بمكة المكرمة بناءً على الأمر الملكي بتاريخ ١٧ / ٩ / ١٣٧١ هـ.

وكان لفضيلته الكثير من المؤلفات والمحققات بلغت أكثر من عشرين كتاباً، وله مكتبة عامرة تضمّ كثيراً من المطبوعات والمخطوطات، ما زالت بحوزة ابنه فضيلة الدكتور عبد الملك بعد أن توسّعت بفضل ما ضمّه الدكتور إليها ممّا لديه من كتب ومخطوطات.

مؤهلاته العلمية

لفضيلة المؤلف مؤهلات ذاتية أكسبته بدورها مؤهلات علمية، فبعد أن تلقّى تعليمه الابتدائي بالأحساء، ثمّ في الخبر، فالمدرسة الرحمانية بمكة المكرمة، أنهى الدراسة المتوسطة والثانوية في المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة.

ص: ٦٢

حصل شيخنا المؤلف على شهادة الماجستير عن تحقيقه لكتاب (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه) لمحمد بن إسحاق الفاكهي. ونال بعدها الدكتوراه عن اطروحة، وهي كتابه هذا الذي بين أيدينا. فيما نال درجة الاستاذية في اطروحته الأخرى، وكانت بعنوان (مصطلحات الفقه الحنبلي). أساتذته:

- والده فضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن دهيش.

- فضيلة الشيخ العلامة عبد الله خياط.

- فضيلة الشيخ العلامة يحيى أمان - مساعد رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة.

- فضيلة الشيخ العلامة حسن مشاط - القاضي بالمحكمة الكبرى بمكة المكرمة، والمدرس بالمسجد الحرام.

- فضيلة الشيخ أحمد علي أسد الله - مدير كلية الشريعة.

- فضيلة الشيخ العلامة علي الهندي - المدرس بكلية الشريعة بمكة المكرمة، والمدرس بالمسجد الحرام.

الإجازات العلمية:

- حصل على إجازة في السيرة النبوية وغيرها من الكتب العلمية من الشيخ / أبو الحسن علي الحسن الندوي.

- حصل على إجازة في رواية أحاديث الصحيحين والسنن الأربع، ومسند الإمام أحمد، وسنن الإمام البيهقي، وسنن الدارقطني، ومسند أبو داود الطيالسي من الشيخ / سيد صبحي البدرى السامرائي.

- حصل على شهادة تقديرية لأعماله في الفكر الإسلامي ودراساته الأصيلة عن البلد الحرام من سوق الفسقاط للشعر والنقد بمصر.

ص: ٦٣

- حصل على الزمالة الفخرية لعام ١٩٩٥ م لرابطة الأدب الحديث من الرئيس محمد حسنى مبارك بمصر.
 - حصل على إجازة فى رواية الحديث وعلومه من الشيخ عبدالله ابن الصديق من المغرب.
 - حصل على إجازة فى الحديث وعلومه من الشيخ محمد بن ياسين الفادانى من علماء الحرم المكى.
 - حصل على شهادة تقدير من الملك خالد بن عبد العزيز فى عام ١٤٠١ هـ على دوره فى نشر العلم وإنارة الفكر النافع المفيد.
- نشاطه العلمى:

- ١- حَقَّق كتاب «أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه» للفاكهى فى ستّة مجلّلات وطبع طبعتين.
 - ٢- صَنَّف بحثاً بعنوان «الحرم المكى الشريف والأعلام المحيطة به»، ويعدّ هذا أوّل دراسة تاريخية وميدانية فى هذا المجال.
 - ٣- حَقَّق كتاب «جامع المسانيد والسنن الهادى لأقوم سنن» للإمام ابن كثير فى اثنى عشر مجلّداً.
 - ٤- حَقَّق كتاب «شرح الزركشى على مختصر الخرقى» فى أربعة مجلّلات.
 - ٥- حَقَّق كتاب «معونه أولى النهى - شرح المنتهى» لابن النجار الفتوحى الحنبلى، فى ١٣ مجلّد.
- والمجلّد ال ١٣ خاصّ بمعجم الألفاظ الفقهية.
- ٦- حَقَّق كتاب «الأحاديث المختارة» للمقدسى فى ثلاثة عشر مجلّداً، وطبع ثلاث مرّات.
 - ٧- حَقَّق كتاب «المتجر الرابع فى ثواب العمل الصالح» للدمياطى وطبع إحدى عشرة طبعه.

ص: ٦٤

٨- علق على كتاب «وظائف شهر رمضان» لابن رجب الحنبلي.

٩- حقق كتاب: «إرشاد أولى النهى لدقائق المنتهى» للشيخ منصور بن إدریس البهوتي الحنبلي (ت ١٠٥١ هـ) وهو حاشية على متن المنتهى قبل أن يشرحه، ويقع في مجلدين.

١٠- حقق كتاب: «الممتع في شرح المقنع» للشيخ زين الدين أبي البركات المنجي بن عثمان بن أسعد بن المنجي التنوخي المصري الدمشقي الحنبلي (٦٣١-٦٩٥ هـ) في ستة مجلدات.

١١- صنف كتاباً عن المشاعر المقدسة بمكة المكرمة اسمه حدود وأحكام المشاعر المقدسة (منى - عرفات - مزدلفة) يبين فيه حدودها وأحكامها.

١٢- صنف كتاباً سماه مصطلحات الفقه الحنبلي، اعتمد فيه على علماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم، ويقع في مجلد واحد.

١٣- حقق كتاب الواضح في شرح مختصر الخرقى لنور الدين عبد الرحمن بن عمرو أبي القاسم بن علي بن عثمان الضير (ت ٦٨٤ هـ) في خمسة مجلدات.

١٤- حقق كتاب المستوعب لنصير الدين السامري الحنبلي في ثلاثة مجلدات.

١٥- حقق مسند أبي هريرة للإمام ابن كثير الدمشقي في مجلدين.

١٦- صنف بحثاً عن تعلم البنات في مجلد واحد.

١٧- له العديد من المقالات العلمية المنشورة في الصحف والمجلات العلمية المتخصصة.

-١٨

THE HOLY SHRIFE OF MAKKA THE BOUBDARY
MA RKSSURROUBDING IT :A HISTORICAL
FIDLD STUDY

ص: ٦٥

وهو ترجمته لكتابه «الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به».

١٩- له العديد من الدراسات والتحقيقات تحت الإعداد.

٢٠- جملة ما صدر له حتى تاريخه (٧٩) تسعة وسبعون مجلداً.

٢١- أصدر على نفقته كتاب التاريخ القويم لمكة والحرم الكريم، في ثلاثة مجلدات في (٦ أجزاء) بعد أن صحّحه وقدم له.

وللدكتور أنشطة أخرى كثيرة عبر الوظائف المتعددة التي تقلدها في بلده، في القضاء والتعليم والتربية والإدارة، وعبر المؤتمرات والندوات واللجان، التي كان له دور بارز فيها.

*** تمهيد:

إنّ ممّا لا يختلف فيه اثنان أنّ الحديث أو الكتابة أو البحث عن الحرمين المباركين، الحرم المكي، الحرم المدني، له من جلال الشأن وعلوّ القدر ما لا يضاهيه شيء أبداً، خاصّة إذا كان الباحث ممّن يرجو الله واليوم الآخر، فيدفعه هذا الاهتمام الدقيق بهما، وتقضى كلّ شؤونهما، وما يتضمّنه من تاريخ طويل ضارب في عمق التاريخ، وما يستوحيه الإنسان من خلال تواجده فيهما من مفاهيم إيمانية وأخرى أخلاقية وسياسية واجتماعية...

ويستحضر تلك المواقف الجليلة لأولئك الأفاضل، الذين قدّموا كلّ غالٍ في سبيل المحافظة عليهما ورعايتهما وإيصالهما للآتي من الأجيال..

ولئن كان الحرم المكي قد تظافرت عليه جهود أنبياء ثلاثة (إبراهيم وإسماعيل ومن ثمّ رسول الله صلى الله عليه وآله) حتّى صار بالصورة، التي أرادتها السماء مباركاً وهدياً للعالمين وقيماً للناس وحرماً آمناً يُجَبى إليه ثمرات كلّ شيءٍ وليكون مكاناً لعبادة الله تعالى ولله على الناس حج البيت... ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام

ص: ٦٦

مَعْلُومَاتٍ... و..

فإنَّ الحرم المدني كان مديناً لرسول الله صلى الله عليه وآله فقط وفقط، الذي ما إن وطأت قدماه المباركتان تراب يثرب، وما إن ضمَّ ترابها جسده الشريف حتَّى صارت المدينة حراماً آمناً بعد مكَّة في المنزلَّة، تشتاق إليها - كمكَّة - الأرواح وتهفو إليها الأفتدَّة، ويتسابق إلى زيارتها جيل بعد جيل منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فلا نرى حاجاً لمكَّة أو معتمراً إلَّا وقد أكمل حجَّه أو عمرته بزيارة المدينة المنورة حيث المرقد الطاهر المبارك لرسول الله صلى الله عليه وآله، وحيث المراقد المباركة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وللشهداء والصحابه رضوان الله عليهم، وحيث المعالم المباركة وآثار الرسالة الخالدة...

*** والكتاب الذي بين أيدينا واحد من تلك البحوث والمؤلَّفات، إنَّه «الحرم المكي الشريف والاعلام المحيطة به»، وهو دراسة ميدانية، تاريخية، فقهية، كانت أطروحةً نال بها المؤلَّف شهادة الدكتوراه، كتاب قيم جدًّا، ومهم، لا يستغنى عنه أى باحث أو متتبع للحرم المكي تاريخياً وفقهياً..

فأهميته الكبيرة وقيمه العلمية العالية يكتسبها هذا الكتاب من كونه دراسة خارج المكاتب المتعارفة للكتابة والتأليف، فهو أى المؤلَّف لا يكتفى بأن ينزوى هنا أو هناك في زاوية من زوايا مكتبته أو مكتبة أخرى يراجع كتاباً أو يتصفح مصدراً، ليتَّخذ مدركاً لرأى رآه، أو قولٍ ذكره، أو شيء آخر لا بدَّ له من توثيقه، وإلَّا كان كلاماً أو شيئاً لا يتَّصف بالعلمية والدقَّة.. فهو إضافة إلى هذا الذي تعارف عليه الكتاب والمؤلَّفون والمحقِّقون... راح يتسلَّق تلَّة أو جبلاً ويهبط وادياً.. يستقبله قوم، ويتركه آخرون، يستضيفونه تارةً، وقد يبخلون عليه أخرى، يأمنون به مرَّةً، ليحذروه

ص: ٦٧

أخرى.. أسئلته التي يحملها في ذهنه، قد تتعبهم إجاباتها، وقد لا يحيطون إلّا بشيء يسير لا يغنى ولا يسمن، إن لم يكن يجهلونها..
فصحيح هم من أهل هذه المنطقة، إلّا أنّهم ليسوا بالضرورة يحيطون بعلم عنها أو بإثارة منها.. فيقبض على ما ينفعه..
إنّها دراسة ميدانية، مصادرها مواضع منبّهة هناك بعيداً لا تصلها إلّا بشقّ الأنفس، وأخرى أبعد منها، الوصول إليها أمر يحتاج إلى صبر
ومصابرة، بل ومرابطة تكلف الباحث جهوداً كبيرة وآلاماً كثيرة، والعجيب في الأمر أنّ هذا الرجل الصالح الصابر المثابر الدؤوب، لم
يتهيّب ذلك، ولم ينكل عن مهمّته التي عاشها حليماً سنين طويلة، وهاهى الآن أمامه واقعاً وإن كان مرّاً، إلّا أنّه سترك له بضاعة كبيرة،
وثماراً يانعة، ونتائج جميلة، يزول بسببها كلّ ألم ومعاناة، بل وينسى عثرات وصعاباً وإن كانت عظيماً، مقابل ما جناه من ثمار وما
حصل عليه من منافع..

*** قصّة الكتاب

بداية طيّبة، وطموح عظيم، ومنهجية عالية، هذا ما وجدناه فيما كتبه الدكتور بن دهب من مقدّمة امتازت بجمالها وجاذبيّتها وهي
ترسم، إضافة إلى منهجية بحثه وطريقته تحقيقه، آماله، ومعاناته التي لم تعقه عن عمله المنشود، بل راحت تدفعه هي الأخرى إلى مزيد
من البحث والتدقيق.

لقد حملت مقدّمة كتابه هذا أمله الذي تاقته نفسه إليه، بل وهّمه الذي رافقه لأكثر من عقدين: «ونفسى تتوق لمعرفة مواضع الحرم
المكي الشريف وذلك أنّه - وما زال الكلام للدكتور المؤلّف - كان لى شرف المشاركة في بعض اللجان المكلفة بهذا الأمر بصحبة
والدى فضيلة الشيخ عبد الله عمر بن دهب رحمه الله عندما كان رئيساً لمحاكم مكّة المكرمة، حيث

ص: ٦٨

حوماً فوق بعض مواضع حدود الحرم بطائرة عمودية (هيلكوبتر) فرغت يومها لهذا الغرض، وبعدها بسنوات كنت قد أشرفت على وضع أحد العلامات الدالة على موضع الحد، على أحد الطرق الرئيسيّة المؤدية إلى البلد الحرام.

ابن دهيش يخطو الخطوة الأولى

ثم راح يواصل حديثه، الذي يبين فيه بداية مشروعه هذا حيث يقول:

«وبعد أن ابتعدت عن المشاغل الرئيسيّة، ومنها سلك القضاء، تاقّت نفسي للاطلاع على ما كتب عن تاريخ البلد الحرام، في القديم وفي الحديث، ويسّر الله لي الوقوف على صورة من مخطوطة كتاب: «أخبار مكّة في قديم الدهر وحديثه» للإمام محمّد بن إسحاق الفاكهي المكي، المتوفى في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري».

وبعد أن تمّ له تحقيق كتاب الفاكهي هذا، يقول: «عاد الشوق يحدوني من جديد لمعرفة مواضع حدود الحرم المكي الشريف، والوقوف عليها، واشتدّت رغبتى في ذلك، وأخذ الحماس لهذا الأمر يزداد يوماً بعد يوم، كلّما تعمّقت في دراسة المباحث الجغرافية، التي ذكرها الفاكهي في كتابه».

لقد كان الدكتور بن دهيش منهجياً في تحقيقه لكتاب الفاكهي حيث لم يدع موضعاً ذكره الفاكهي وعرفه، إلّا وقف عليه ووصفه وصوّره حتّى لا يدع شيئاً إلّا وذكّره عنه، وإن كان اسماً جديداً له.

ولم يتوقّف في عمله هذا عن سؤال أهل الخبرة فهم مصدر من مصادره، التي اعتنى بها في تحقيقه لكتاب الفاكهي، وفي كتابه الذي بين أيدينا، فيقول: «فلقد اتّصلت بأكثر من رجل ممن لهم خبرة في مواضع مكّة ورجالها ووهادها وأعلامها وشعابها، ومنهم خبراء عملوا في هيئة النظر في محكمة مكّة، تنتدبهم محاكم مكّة لفصّ المنازعات، وتثبيت الحدود

ص: ٦٩

والحقوق والممتلكات في المواضع المحيطة بمكة المكرمة... وخلاصة القول: إن هؤلاء أعلم بالمواضع التاريخية والأثرية في مكة، لا بل أعلم أهلها بأسماء جبالها، وريعانها وأوديتها وشعابها وآبارها وغير ذلك، وأعلم من عرفت بمواضع حدود الحرم المكي الشريف... واختبرت أحدهم في أكثر من أمر، فوجدته من الصدق والورع والتحرى.

و كنت أديم النظر في كتاب: «أخبار مكة» للأزرقي، وفي كتاب الفاسي:

«شفاء الغرام» و «العقد الثمين» ومصادر أخرى. وكلما سمعت بكتاب يتحدث عن البلد الحرام إلفاقتنيته وقرأته...».

ويواصل حديثه قائلاً: «و كنت ألتهم لمعرفة ما يتعلق بالتاريخ المكي في الكتب المخطوطة بخاصة، فاجتمع لدي في هذا الحقل الشيء الكثير؛ نظراً لاهتمامي الشديد في هذا الجانب من المعرفة.

ثم شرعت في تحقيق ما في بطون الكتب المخطوطة أو المطبوعة، وسألت واستفسرت من العلماء والخبراء، ودرست الخرائط الجغرافية والتاريخية، ثم قمت بمسح عملي لتلك المواضع وغيرها».

*** وقبل الخوض في الكتاب المذكور، أوجعني ما عثرت عليه من أخطاء نحوية وإملائية.. ما كان ينبغي أن تقع خاصة وهو يصدر تأليفاً وطباعة من بلد هو موطن القرآن واللغة وآدابها، آمل أن يُراجع الكتاب جيداً قبل طبعته الأخرى.

وهذه الملاحظة تجرى أيضاً على الكتيب، الذي اعتمدته في ترجمته حياة المؤلف، وقدفات المؤلف أن يذكر فيه تاريخ ولادة الدكتور عبدالملك.

وأرجو ألا أكون في هذا ممن قيل فيهم:

فإن رأوا هفوة طاروا بها فرحاً منى وما علموا من صالح دفنوا

إن أول ما يراه القارئ لهذا الكتاب مقدمة راح قلمه الجميل، يصور همّاً عاشه عقدين أو أكثر، تتوق خلاله نفسه، لا لدنيا فارغة، بل لمعرفة أمر آخر، يترك له ذكراً طيباً في الدنيا، وأجراً كبيراً في الآخرة، إنه توق جميل وأمل كبير، وعمل مشروع تباركه السماء، إنه بحث في أقدس مكان عرفته الدنيا، وفي أعظم بقعة باركتها السماء، وفي موضع أراد الله أن يعبد فيه، وفي وادٍ وصفته السماء بأقصر عبارة وأوضح بيان وأدق تعبير، إلا أنه يحمل معاني عظيمة إنه وادٍ غير ذي زرع. راح إبراهيم عليه السلام، عبر جهادٍ مرير، ومعاناة شاقة يؤسس لمشروع سماوي كريم.

وتذكرني معاناة الدكتور دهيش، وما قاساه في مهمته هذه من آلام وعقبات، على قلتها، بتلك التي عاناها ذلك الشيخ العظيم المبارك نبي الله إبراهيم، وقد اصطحب معه زوجته وابنه إسماعيل ومتاعه، وظل يغد السير على هدى من الله تعالى، ويقطع الجبال والوديان والصحارى والفلوات حتى وصل إلى وادٍ مجذب مقفر تحيطه الجبال وتحف به التلال.

وهو المكان الذي أمره الله تعالى بأن يلقي به بذور رسالة السماء إلى أهل الأرض، ويودع في ذلك الوادي فلذة كبده، وأهله وأعز ما عنده في وقت ما أحوجهم إليهم!.. وكم هو عظيم وخطير أن يترك الزوج زوجته والأب ابنه في مثل ذلك المكان المخيف، وفي مثل تلك الظروف الصعبة والأحوال القاسية.. لكنها الطاعة المطلقة لله والانقياد التام له.. فكانت حقاً بذوراً مباركة مورقة ذات بهجة، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، في عصره وفيما تلت من عصور، فغدت كلها عصوراً نابضة بآيات الإيمان، زاخرة بمعالم الخير والعطاء، شاخصة بالعز والشموخ، فقد راح هذا الوادي - الذي كان مقفراً في جوف تلك الصحراء النائية - راح يضيح بحياء تدب في كل مظاهر دنياه، وتضفي عليها السلامة والطمأنينة والأمان.

ص: ٧١

بين يدي كتاب

الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به

دراسة تاريخية وميدانية

بحث وإعداد: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

مكة المكرمة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة

استعراض سريع لمحتوياته

يتضمن الكتاب المذكور محتويات تمددت على مساحة خمسمائة وثلاث وثلاثين صفحة، توفرت - إضافةً إلى مواضيع الكتاب الرئيسية - على هوامش لإرجاعاته، وشرح المؤلف في بعضها كل ما يصادفه من مفردات ومصطلحات تحتاج إلى التوضيح، مع بعض التراجم، وملحق خرائط، فيه اثنتان وأربعون خارطة للجبال، وآخر للصور ويشتمل على أربع وستين صورة ملونة، تبين الأعلام، وبعضها توضح تحرك المؤلف وجولاته على مواقع حدود الحرم، وانتقاله من جبل إلى جبل وهو يبحث عن الأعلام المثبتة هنا وهناك بين الجبال وصخورها،

كما أن هناك صورة فوتغرافية لخطاب أرسله المؤلف إلى بعض المعامل العالمية المتخصصة في تحليل الآثار القديمة لمعرفة تأريخها.

ويضم الكتاب فهرس متعدد:

أولاً: فهرس الآيات.

ثانياً: فهرس أطراف الحديث والآثار مع ذكر الراوى.

ثالثاً: فهرس الأعلام مرتب حسب الحروف الهجائية.

رابعاً: فهرس القبائل والامم.

ص: ٧٢

خامساً: فهرس المواضع مرتّب حسب الحروف الهجائية.

سادساً: فهرس المصادر والمراجع وهما قسمان:

أ- المصادر المخطوطة والوثائق، وفيه اثنان وعشرون مصدراً.

ب- المصادر المطبوعة، وفيه اثنان وتسعون مصدراً.

سابعاً: فهرس الموضوعات.

أمّا هذا الفهرس فيحتوي على ثلاثة أبواب، تتضمّن فصولاً، وكلّ فصل يشتمل على مباحث متعدّدة.

وفيه:

المقدمة: التي ذكر فيها ما كان يأمله في تحقيق هذه الدراسة، وأسبابها، والمصادر التي اعتمد عليها..

خطّة البحث: وتقوم على البحث العلمي الميداني، أي هي عبارة عن رحلة علمية تبحث عن أعلام مندثرة، لاكتشافها وتعيينها...

الباب الأوّل، وعنوانه:

تاريخ أعلام الحرم المكي الشريف

وجهود المؤرّخين المكيين في ضبط حدوده

وفيه فصلان:

الفصل الأوّل: تاريخ أعلام الحرم المكي الشريف، ويبدأ من الصفحة ٣٥ وينتهي بالصفحة ٩٤.

الفصل الثاني: جهود المؤرّخين المكيين في ضبط مواضع حدود الحرم الشريف، ويتضمّن مواضع تتمدّد على الصفحات ٩٧-١٢٦.

الباب الثاني، وعنوانه:

مواضع حدود الحرم المكي الشريف

وفيه أربعة فصول، في أعداد الأعلام ومواضعها في الجبال والشتات

ص: ٧٣

والوديان. تتمدد بحوثها على الصفحات ١٣٣-٣٤٥.

يحتوي الفصل الأول، وعنوانه: أعلام الحد الشرقي، على ستة عشر مبحثاً من الصفحة ١٣٣-١٦٠.
 فيما يشتمل الفصل الثاني، وعنوانه: أعلام الحد الشمالي، على اثنين وعشرين مبحثاً من الصفحة ١٦٥-٢٥٦.
 أما الفصل الثالث وعنوانه: أعلام الحد الغربي، فيتضمن خمسة مباحث من الصفحة ٢٦١-٢٨٤.
 والفصل الرابع، وعنوانه: أعلام الحد الجنوبي، فيشتمل على أربعة عشر مبحثاً من الصفحة ٢٨٩-٣٤٥.
 أما الباب الأخير، وهو الباب الثالث، فقد عنوانه المؤلف ب (الخاتمة والنتائج).

خطه العمل:

وأنا أقرأ هذا الكتاب، رأيت أن لا بد لي من ذكر خطه العمل، التي اتبعتها الدكتور في إنجاز مشروعه القيم هذا، وهي تلخص بما يلي:
 فقد كان يسجل ما يراه من أعلام على أوراق خاضية، ويبدأ برسم مخطط للجبل من بدايته، وكلما صعد أو مر بقمة جبل أثبتتها على الرسم، وإذا ما مر بشعب وهو ما انفرج بين جبلين، يميناً كان هذا الشعب أو يساراً، أثبتته على الرسم، ولا ينتهي من الرسم إلا وقد انتهى الجبل، مستفيداً في عمله هذا من الرسم التخطيطي، فيذكر المسافة بين علم وآخر ووصف كل علم ومعالمه وحجمه واتجاهه.
 وإن كانت عليه نورة يذكرها، كما يذكر حجارته المنحوتة والمرموزة وانخفاضه وارتفاعه... فيقدم بهذا صورة متكاملة لكل علم وما يتعلق به، ثم يذكر كيفية الارتباط بين هذا الجبل والآخر وارتباط الحد بينهما والأعلام؛ لكي تترابط مواضع الحد ارتباطاً يمنع الشك والاضطراب عند القارئ، ويذكر أيضاً عدد هذه الأعلام ووصفاً عاماً لحدود الجبل وأبعاده وحتى لون حجارته...

ص: ٧٤

وبعد انتهائه من عمله الميداني هذا، يعود إلى مكتبه، ليرتب جميع ما كتبه حتى اسم الجبل وضبط لفظه، إن وجد له اسماً قديماً، وما يعثر عليه من معلومات حوله في المصادر القديمة، ويذكر ما عليه من أعلام... ثم يتحقق من صحته مواضع تلك الأعلام، مستعيناً بالمصادر القديمة وبالعلماء والخبراء، قبل أن يبيض ما رسمه وما خطه مراعيًا الرموز والقياسات المثبتة في الخرائط الجوية المعتمدة لمكة المكرمة.

فهو إذن يقوم برسم خريطة عامة، معتمداً على خرائط جوية للجبال، التي يمر عليها الخط، الذي رسمه كحد لأعلام الحرم المكي، ثم يستخلص من هذه الخارطة العامة خرائط مكبرة لكل جبل، أو ثنية أو مدخل لمكة المكرمة، ومواضع الأعلام على تلك الخرائط، فتأتي الخرائط منضبطة، وقد التزم بعمله هذا بالقواعد الأصولية لفن الخرائط، ذاكرًا محيط الشكل المنحرف أو المتعرج وارتفاعات قمم الجبال والخطوط البيانية الأخرى...

ولم يكتف بذلك بل استعان بمكتب هندسي لمساعدته في تنزيل الأعلام على هذه الخرائط الجوية، فكان عمله عملاً علمياً موفقاً مستعملاً في مقاساته المتر الطولي، أما المسافات بين الجبال، فغالباً ما كان يقيسها بالسيارة.

وعند انتهائه من مهمته هذه، وجد أن الصور التي التقطها فاقت (٢٠٠٠) صورة، فراح ينتخب منها ما هو أجود وأصلح وأدل، فوضعه في بحثه هذا. كما أن ما تجمع بين يديه من أعلام الحرم المصورة قد بلغت (٦٤) صورة، هذه هي خطته، التي سار عليها في وصف الأعلام ومواضعها.

*** فبعد رحلة الشيخ الدكتور ابن دهبش وتجوّاله الطويل، حول حدود الحرم المكي، وبعد تلخيصنا لخطّة العمل والأبحاث التي ذكرنا عناوينها في استعراضنا المختصر هذا، وهي أبحاث ميدانية قيّمة جدّاً، وسجلت منافع هي الأخرى ذات قيمة علمية وبدرجة عالية، لا أبالغ إذا قلت: إنها.. وبحسب ما تيسر لي من

ص: ٧٥

الاطلاع - نادرة وفاردة في بابها وفيما توصّلت إليه من نتائج، وفيما تركته من آثار كبيرة في دائرتنا المعرفية عن الحدود الجغرافية للحرم، قد لا نجد لها بهذه المنهجية والترتيب والدقة عند كلّ من كتب حول الحرم المكي قديماً وحديثاً، ولا غرابة إن قلت: إنّها تعبّر عن منهج جديد، وطريقه مبتكرة في هذه الدراسات والبحوث، يستحقّ صاحبها منا الشكر والتقدير والإجلال؛ لما بذله من جهود علمية وفكرية، وأخرى متاعب نفسية وبدنية، لا يعلم بقدرها إلّا الله تعالى، والراسخون في دائرة مثل هذه الدراسات خاصّة الميدانية منها. حتّى اضطرّته لأن يعلن صراحة: «فمن يقرأ هذه الدراسة بعين الإنصاف، يعرف مقدار الجهد البدني والنفسى والفكرى، الذى بُذل فيها» ثمّ إنّ يعقّب، بعيداً عن الغرور العلمى، ودرءاً للتفاخر والتكاثر والعجب الذى يقتل صاحبه.. فتراه يعيد الفضل فى كلّ ذلك إلى البارى تعالى ولأجل قبوله ورضاه، فيقول: «والفضل كلّ لله سبحانه وتعالى، ومنه نرجو القبول، وجزيل الثواب».

ونحن بدورنا نقراء: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ونسأله تعالى أن يجعله ذخراً له: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ.

فبعد كلّ هذا التطواف والتجوال، يصل الشيخ إلى اللابديّة التى يصرّح بها بقوله: «لابدّ من تقييد ما خرجت به هذه الدراسة من نتائج واقتراحات».

ثمّ راح يسجّل أهمّ هذه النتائج، التى تمخّضت عنها دراسته، إضافةً إلى الاستنتاجات والتنبيهات، التى نثرها شيخنا الجليل هنا وهناك فى ثنايا بحوثه، لا تغيب عن القارئ الكريم.

القراءة:

بعد هذا التعريف المختصر للكتاب، تبدأ قراءتنا لأبواب الكتاب فصولاً وبحوثاً، مبتدئينها بالأهمّ الذى تحوم الدراسة حوله وهو ما ذكره الدكتور فى مقدّمة كتابه ص ١١: «وكان لابدّ أن أستعرض الحدود، كما ذكرها لى بعض من

ص: ٧٦

سألته عن حدود الحرم، فقال أكثرهم: إنَّ الحدود:

أ) الحدَّ الشرقي: (قُزْن) في منتصف (وادي عُزْنَة)، ثم (جبل عارض)، ثم (قرن العابدية)، ثم (جبل نَمْرَة)، ثم (جبل الخَطْم)، ثم (جبل الستار)، ثم (شرفة أسلع)، ثم (عارض الحصن)، ثم (جبل المقطع)، على (ثنية خَلْ)، ثم (ستار لحيان).

ب) الحدَّ الشمالي: (ثنية النقواء)، ثم (جبال حمر) بعد هذه الثنية حتى تصل إلى (شرفة بشم)، ولم تُسمَّ (الجبال الحمر) باسم، وبعد (شرفة بشم) (جبل نعمان)، ثم (التنعيم)، ثم جبل (نعيم)، ثم (ريح رَحَا) ثم (ريح المصانيع)، ثم (ريح العُمير)، ثم (ريح المُريد)، ثم (الأعشاش).

ج) الحدَّ الغربي: جبل (أظلم)، ثم الجبال الصغيرة التي عند رأسه، حتى يوازي (أم هشيم).

د) الحدَّ الجنوبي: (أم هشيم)، ثم (الدومة الحمراء)، ثم (جبل بُشيم)، ثم (جبل لين)، ثم (جبل الستار) - جبل ستار لحيان - ثم (جبل الغربان)، ثم (ثنية المستوفرة)، ثم (البيان)، ثم (جبل غراب)، ثم (مهجرة)، ثم (صيفة). انظر الصفحة ١٢-١٣.

كل هذه كانت مشمولةً لتتبعه ودراسته الميدانية، فرأى في رحلته هذه (٩٣٤) علماً، تحيط بالحرم المكي، كانت ماثلة هنا وهناك على الجبال، انهدم ثلثها أو أكثر، وقد تناولها المؤلف بالبحث في الباب الثاني من كتابه هذا موضعاً وعدداً وصوراً وخرائط.

ونحن نشاركه عجبه، الذي استولى عليه من صبر أولئك الأجداد، على تحمّل المشاق والصعاب، وهم يحملون على ظهورهم الماء والنورة أو الصخر، ويتسلّقون تلك الجبال التي ترتفع أكثر من (٥٠٠ م) عن سطح البحر، وانحدارها الشديد، ليصلوا إلى قممها، لكي يضعوا علماً، فعثر على أعلام كانت ماثلة هناك بالصخر المنقور المنحوت، وبالنورة البيضاء، فكيف استطاعوا أن يوصلوا الماء

ص: ٧٧

الكثير للبناء، والنورة الكثيرة إلى هذه القمم الوعرة الصخرية المرتفعة، وهي قليلة الشجر، منعدمة الماء، شاهقة الارتفاع، ملتبهة الحرارة؟! وقفة إعجاب وإكبار!

نعم، لقد استوقفتني عبارة في الصفحة ٩ من كتابه هذا، وهو يذكر ما عاناه من صعوبات عمله، وما لاقاه من أتعاب طيلة رحلته التي كان عمرها تسعة أشهر، وكيف تنسيه ذلك فرحة حصوله على مراده، فيقول بعد أن يجد الفاكهي يصرح بمواضع هي من حدود الحرم، جبال وئنايا وأراض منبسطة، وغير ذلك، وأن هناك أعلاماً على هذه المواضع: «فكنت أذهب بشغف ولهفة إليها، وأتسلق الجبال، وكم تكون فرحتي غامرةً وشديدةً عندما أجد تلك الأعلام التي ذكرها الفاكهي، وكم تكون فرحتي أشد وأكثر عندما أجد على هذه الأعلام آثار النورة البيضاء (١) القديمة. ولقد كانت هذه الفرحة تنسيني التعب والمشقة في تسلق العالي من الجبال، وتنسيني ما يدخل في قدمي من أشواك، وما يسيل منها من دماء».

وعبارته الأخرى وهو يصف تطوافه في هذا الوادي وجباله...

«عند ذلك قررت إكمال معرفة هذه الأعلام والوقوف عليها جميعاً، مهما كلفني ذلك من جهد ومشقة، وهذا يعني السير حول مكة المكرمة ليس بالسيارة وعلى أرض منبسطة سهلة، وإنما على جبال مرتفعة، قد يصل ارتفاع بعضها إلى أكثر من (٢٥٠٠) فوق سطح البحر، بعضها لا يؤمن من تسلقها من وجود الأفاعي والهوام والوحوش، ويخشى أن تزل القدم، فأقع في وادٍ عاقبته وخيمة لا قدر الله، وهذا يعني أيضاً أن أسير على قدمي الساعات تلو الساعات على أرض جبلية وعرة

١- ١ أي الجير الأبيض، ويستعمل في البناء قديماً والذي يسمونه الآن «الجص» أو «كبريتات الكالسيوم»، وقد طلبت، والكلام للدكتور المؤلف، من مركز الأبحاث بالمتحف الرئيسي بفرانكفورت بألمانيا تحليل عينه من الأحجار الجيرية المذكورة لمعرفة تاريخ عمارتها، فوردني الجواب المرفق صورته في ملحق الصور، ومضمونه أنه ليس من السهل تحديد عصر هذه العينات الجيرية.

ص: ٧٨

يابسة، لا يُرى فيها ماء ولا خضرة...».

لقد استوقفتني هذه الصعوبات الكبيرة والخطيرة التي يذكرها الدكتور، طويلاً، فرحت هناك أنظر بعيداً بعيداً في عمق التاريخ، وأستحضر ما أراه وكأنه أمامي، إنَّه ذلك الشيخ الكبير القادم من بعيد بأهله، يقطع الفيافي والوديان والجبال وصخورها، لقد احتواه العراء الواسع هذا، وسرحت عيناه فيما يحيطه، وقد توزعت نظراته هنا وهناك، يرمى السماء ببعضها مبتهلاً وداعياً، فيما يحنو ببعضها الآخر على ولده الوحيد يومذاك، وزوجته المطيعة الأمانة، التي اختارتها السماء لوظيفة.. هي الاخرى ظلت عيونها تارةً تحلق بعيداً..

جبال صخورها وعرة.. وديان جدباء.. فيافي قاحلة.. صحارى ملتهبة.. إذن ماذا يريد منّا هذا الشيخ الكبير؟!

فراحت عيونها تحلق تارةً بعيداً وقد يصيبها الدوار ممّا ترى.. وتارةً أخرى تحمق في وجه نبي الله دون أن ترى علامة أو تسمع كلمة لعلها تهدئ روعها وتطمئن بها نفسها.. وثالثه نحو رضيعها فتدرف دموعها خوفاً عليه، والذي اختارته السماء لدور آخر لا يقلّ عظمتها عن دور أبيه وأمه.. ثم تعود من نظراتها هذه نحو السماء، لتستنزل بعبراتها وبرقتها المعروفة وعواطفها الجياشة رحمة السماء.

ظلّ الثلاثة هكذا ما إن يجتازوا هضبة إلّا لينحدروا في أخرى، وما إن يعبروا وادياً جدياً، حتّى يهبطوا آخر أكثر منه جفافاً وجدباً.. في أرض نائية لا زرع فيها ولا ظلال.. حتّى هبطوا البطحاء، إنّها بطحاء مكّة، حيث محطّ رحالهم بوادٍ غير ذي زرع هناك تركهم إبراهيم؛ ليعود من حيث أتى، مع زاد يسير وماء قليل، ولكن عند بيتك المحرم.

تذكرني كلمات الشيخ الدكتور بهذه المرأة العظيمة، وهي ترى نفسها وحيدة في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع، إلى أين أنت ذاهب يا إبراهيم؟

ص: ٧٩

ولمن تتركنا في هذا الوادي الموحش المقفر؟

إن كان لي ذنب، فما ذنب الرضيع؟

وراحت تستعطفه، فأبان لها وقد رق قلبه، وهو قلب رقيق رحيم، ودمعت عيناه... الله الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان وهو يكفيكم.

فتجيبه: إذن «لن يضيعنا الله».

رحلة عظيمة من أجل هدف عظيم، رحلة شاقّة مريرة محفوفة بالمخاطر من أجل مبادئ سامية ومفاهيم عظيمة..

فمكثت هاجر ترعى وليدها، وتأكل ممّا تركه إبراهيم عليه السلام حتّى نفذ ماؤها وقلّ زادها وجفّ ثدياها، فتعالى صراخ طفلها، وهنا بدأت رحلة أخرى أقسى وأمرّ.

حيث بدأ العطش يأخذ أثره ويحزّ في كبدها وكبد رضيعها، الذي راح يلوك بلسانه يبحث عن قطرة ماء في فضاء فمه المتيسّس، فاندفعت هنا وهناك تعلقو صخرة وتهبط أخرى، وعاشت في دوامة بين سرايين، وقد تمثّل لها على الصفا والمروة ما حسبه ماءً، وهي لا تعلم بأنّ جهدها الشاقّ هذا سيكون يوماً منسكاً عظيماً من مناسك أرادها الله لعبادته، فراح الملايين بأجيالهم التي لا تحصى يسعون بينهما، فرحم الله حبر الامة ابن عباس، وقد رأى قوماً يطوفون بين الصفا والمروة أو يسعون بينهما، فقال: هذا ما أورثتكم امكم أمّ إسماعيل. إذن فهي وقفه إعجاب وإكبار للثلاثة الذين خلدوا لنا هذا فخلدوا!

*** الباب الأول: تأريخ أعلام الحرم المكي الشريف، وجهود المؤرّخين المكيين في ضبط حدوده.

وفيه فصول:

الفصل الأول: تاريخ أعلام الحرم المكي الشريف، وقد تناول المؤلف في هذا الفصل، وتحت عنوان فرعي: «اختيار الحرم على سائر الأرض».

ص: ٨٠

تناول موقع مكة المكرمة، وأنها تقع ضمن سهل تهامة الساحلي الممتد على طول ساحل البحر الأحمر من أقصى شماله عند خليج العقبة إلى نهايته الجنوبية عند باب المندب، وفي منطقة تحيط بها التلال القاحلة الجرداء والصخور والجبال المتشابكة والأودية الجرانيتية، على دائرة العرض ٢٥ / ٢١ شمالاً، وخط طول ٤٩ / ٣٩ شرقاً، وترتفع عن سطح البحر بحوالي ٣٦٠ متراً، وأن مكة المكرمة تشكل مركز الأرض، وتعتبر منتصف العالم، مما يجعلها جديرة بأن تكون مركزاً لدعوة تعم العالم، مستعيناً بما توصل إليه أحد الباحثين المسلمين وهو الدكتور حسين كمال الدين في بحثه القيم المنشور في مجلة البحوث الإسلامية لسنة ١٣٩٥ ص ٢٨٩ وعنوانه: إسقاط الكرة الأرضية بالنسبة لمكة المكرمة، وقد أعد هذا الباحث خريطة للكرة الأرضية يحدد من خلالها اتجاهات القبلة وإن بعد المسلمون عن الكعبة.

ثم تحدث عن عظمتها وحرمتها وآداب الدخول إليها، وعن منع المنكر والظلم والأذى فيها ذكراً آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال جمع من الصحابة والمفسرين والمؤرخين.

وتحت عنوان فرعي: «متى حرمت مكة المكرمة؟!» يصل المؤلف - وانطلاقاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية - إلى أنها حرمت يوم خلق السماوات والأرض، فعن ابن عباس، قال النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة: «... فإن هذا بلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض...» ذاهباً إلى أن الحكمة في تحريمها التزام ما يثبت لمكة وحرمتها من أحكام.

«المسجد الحرام هو الحرم كله» وتحت هذا العنوان ذكر المؤلف أن المسجد الحرام ذكر في القرآن في مواضع عدة، وقد استدلل ببعضها أن المسجد الحرام هو الحرم كله بحدوده، والكتاب هذا بصدد التعريف بها، ومن هذه الآيات: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ... وأن المسجد المذكور يطلق على

ص: ٨١

جميع الحرم، وبآية الأخرى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ... وقد نزلت والرسول نائم في بيته، فالمسجد هنا يعنى مكة..

وتحت عنوان فرعى: «المواقيت ودوائر الحرم» ذكر المؤلف أن الكعبة تحيط بها دوائر ثلاث، وراح المؤلف يعددها، دائرة المسجد، دائرة الحرم، دائرة المواقيت.

فالمسجد: هو حرم المسجد مهما وسع أو زيد فيه من الزيادات.

والحرم: هو ما أحاطت به أعلام الحرم، وهو موضوع بحث هذا الكتاب.

والمواقيت: مواضع حدّها الشارع وهى ذو الحليفة، والجحفة، وذات عرق، وقرن المنازل، ويللم.

وهناك عنوان فرعى «سبب تحريم الحرم» ذكر المؤلف تحته روايات متعدّدة فى سبب تحريمه وكيف حرّم، فذكر أربعة أسباب وخامسها ما ذكره محبّ الطبرى فى القرى لقاصد أم القرى: ٦٥٢ من الوجوه الأربعة فى ذلك.

أمّا فى «خصائص الحرم المكى وأحكامه» فقد ذكر تحت هذا العنوان الفرعى خصائص مكة المكرمة وما يوجب الاستيطان والاستقرار والاطمئنان فيها، من خلال آيات قرآنية وأحاديث نبوية، منها: إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَمِنْهَا: وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ..

والأجر والثواب على ما يؤدّيه الإنسان من أعمال سواء أكانت أعمالاً عبادية أم غيرها من أعمال البر والخير، فيتضاعف الأجر فيها، وتتضاعف السيئة كما عند بعض العلماء.

ثم بعد هذا كله ينتقل المؤلف إلى بداية موضوعه الرئيسى فى هذا الكتاب إلى «تجديد أعلام الحرم المحيطة به» مبتدئاً عنوانه هذا بعنوان فرعى وهو:

أول من وضع أعلام الحرم، وبدءاً يقول: لا شك أن معرفة حدود الحرم من أهم ما ينبغى أن يعتنى به، فإنه يتعلّق به أحكام كثيرة، وقد اعتنى بذلك

ص: ٨٢

الأنبياء عليهم السلام، والصحابه والتابعون وأئمة المسلمين وفقهاء الإسلام.

فعن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث يوم الفتح - وهو السنة الثامنة من الهجرة - بتميم بن أسد الخزاعي، فجدد أنصاب الحرم.

وأن إبراهيم وضع هذه الأنصاب يريه إياها جبريل.

وفي تفسير الآية: أَرْنَا مَنَاسِكَنَا (١)

وهو قول إبراهيم عليه السلام، نزل إليه جبريل فذهب به، فأراه المناسك، ووقفه على حدود الحرم، فكان إبراهيم يرضم الحجارة، ويحشي عليها التراب، وكان جبريل يقفه على الحدود (٢)، فأول من نصب هذه الأعلام هو إبراهيم عليه السلام بدلالة جبريل.

وهذه العلامات مبنية في جوانب الحرم الأربعة، وما زالت موجودة وتجدد في كل عصر عند حدوث تلف فيها. ويطلق عليها العلماء (أنصاب الحرم) أي حدود الحرم من عموم جهاته، كانت رضوماً كما سميت بالأحاديث، ثم بنيت بعد ذلك.

وقد مرت هذه الأعلام بعد إبراهيم وإلى أن جدها رسول الله صلى الله عليه وآله بعمليات تجديد متعددة لها.

وراح المؤلف يذكر هؤلاء الذين جددوها مبتدئاً ذلك بإسماعيل عليه السلام، وعدنان ابن أدد، وقصى بن كلاب، ثم قريش أثناء البعثة، ثم بعد ذلك تجديد النبي صلى الله عليه وآله لأعلام الحرم.

فيقول: «لم يكن باستطاعة النبي صلى الله عليه وآله أن يجدد أعلام الحرم قبل الهجرة، حيث لم يكن يملك سلطة يومذاك، لكنه ما كادت أقدامه تصل إلى مكة فاتحاً عام (٨ هـ) حتى أرسل من يقوم بهذه المهمة العظيمة».

وذكر المؤلف في هذا الخصوص أخباراً تبين أسماء من أرسلهم النبي صلى الله عليه وآله بهذه

١-١ البقرة: ١٢٨.

٢-٢ انظر في هذا الطبقات الكبرى لابن سعد ٤: ٢٩٥، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١: ١٨٥، ومصنف عبد الرزاق ٥: ٢٥، وأخبار مكة للأزرقي ٢: ١٢٨، ١٢٩.

ص: ٨٣

الوظيفة فقد كلف تميم بن أسد، والأسود بن خلف، أمر بهذا مع عظيم مشاغله وخطورة الأعداء، علماً بأنه لم يبق في مكة - على أصح الروايات كما يقول المؤلف - إلا عشرة أيام، وراح يذكر مسؤولياته الجسام وأعماله الجليلة التي عليه إنجازها في هذه الأيام المحدودة، ومع هذا لم ينس تجديد أعلام الحرم، فكم هي مهمة إذن؟!

ولهذا نالت اهتماماً كبيراً من لدن الصحابة والخلفاء والأمراء، بدءاً بتجديدها من قبل الخليفة الثاني ومروراً بتجديد الخليفة الثالث حتى قامت هيئة في زمن عثمان بن عفان مهمتها تجديد الحرم وأعلامه كل عام.

إلا أن المصادر - كما يقول المؤلف - سكنت عن التجديد في أيام علي رضي الله عنه وأيام خلافته إنما قضاهما في معالجة ما جد من الأحداث، ثم إنه أقام في الكوفة، وربما أنها لا تحتاج إلى تجديد لقرب العهد في تجديدها.

ثم راح المؤلف يذكر الذين قاموا بعملية التجديد من معاوية وعبد الملك بن مروان، فالمهدي العباسي، وفي زمن هذا الأخير اقتصر التجديد لأعلام رؤوس الجبال، أو توقف، أو أن المؤرخين سكتوا عن ذلك، لكنهم لم يسكتوا عن تجديد أعلام الطرق المؤدية إلى مكة، ولو رأوا شيئاً أو سمعوا شيئاً لكتبوه، فيما كان التجديد في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وما بعده حتى المهدي العباسي يشمل جميع أعلام الحرم من جميع جوانبه، سواء التي كانت على رؤوس الجبال، أو التي تقع على الطرق الرئيسية المؤدية إلى مكة.

أمّا بقيّة خلفاء بني أمية أو بني العباس غير المذكورين أعلاه، لم يعرف عنهم أنهم جدّدوا أعلام الحرم، ولم يعرف عن خلفاء هذا العصر أي بعد المهدي العباسي إصلاحات في أعلام الحرم، اللهم إلّا في عهد الراضي.

أمّا الدليل الذي ساقه المؤلف على توقف تجديد أعلام الحرم على رؤوس الجبال، فيقول: ودليلي على ما أقول: إنني سرتُ حول الحرم باحثاً عن الأعلام، التي على رؤوس الجبال، فرأيت (٩٣٢ علماً) بعضها متساقط، ما عدا علمين

ص: ٨٤

أحدهما مبنى والآخر مرضوم رضماً جيداً، ثم إن بعض الأعلام منذ سقوطها لم تحرّك حجارته، وهذا يدل على توقّف تجديد أعلام الحرم، التي فوق رؤوس الجبال، منذ عهد المهدي العباسي، أي منذ ما يزيد على اثني عشر قرناً من الزمان. ثم يخلص المؤلف إلى أن أعلام الحرم الدائرة به قد جددت عشر مرّات.

بدءاً بتجديد إسماعيل عليه السلام ومروراً بتجديد عدنان أدد وقصى بن كلاب وقريش أثناء البعثة، ثم تجديد النبي صلى الله عليه وآله، فتجديد عمر بن الخطاب، وعثمان، وانتهاءً بتجديد معاوية وعبد الملك فالمهدي العباسي.

*** هذا بالنسبة إلى ما يتعلّق بالأعلام المحيطة بالحرم إحاطة السوار بالمعصم كما يعبر المؤلف عنها.

وأما بالنسبة للنوع الثاني من هذه الأعلام وهي الواقعة في مداخل مكّة المكرّمة، فلا يزال التجديد والتحديث يتعاهدها من زمن إلى زمن حتّى وقتنا الحاضر، والمداخل المذكورة هي:

من طريق المدينة: ثلاثة أميال عند بيوت السقيا، ويقال لها: بيوت نِفار، وهي دون التنعيم.

من طريق اليمن: سبعة أميال عند إضاءة لئين.

من طريق العراق: سبعة أميال على ثنية خلّ، وهو جبل بالمقطع.

من طريق الطائف: من بطن نمره، فذلك أحد عشر ميلاً عند طرف عرفه.

من طريق الجعرانة: تسعة أميال في شعب عبدالله بن خالد.

من طريق جدّه: عشرة أميال عند منقطع الأعشاش.

وهذه الأعلام جددت سبع مرّات من قبل كلّ من:

الراضي العباسي، من جهة التنعيم سنّه ٣٢٥ هـ.

المظفر صاحب أربل، من جهة عرضة سنّه ٦١٦ هـ.

ص: ٨٥

المظفر صاحب اليمن، من جهة عرفة سنة ٦٨٣ هـ.

قايتباي، من جهة عرفة سنة ٨٧٤ هـ.

السلطان أحمد خان الأول العثماني، من جهة عرفة، وأعلام التنعيم، وأعلام الحرم التي في طريق يلملم سنة ١٠٢٣ هـ.

رمم الشريف زيد بن محسن حدود الحرم سنة ١٠٧٣ هـ.

السلطان الغازي عبد الحميد خان العثماني أعلام التنعيم سنة ١٢٦٢ هـ.

أعلام الحرم في طريق التنعيم سنة ١٢٦٢ هـ.

أعلام الحرم في طريق جدّه سنة ١٢٦٣ هـ.

نكتفي بهذا آملين مواصلة تعريفنا بهذا الكتاب وقراءته في العدد القادم من مجلّتنا ميقات الحجّ إن شاء الله تعالى.

منهج الرشاد لمن أراد السداد (٣)

ص: ٨٦

منهج الرشاد لمن أراد السداد (٣)

رسالة كاشف الغطاء إلى عبدالعزيز آل سعود

تحقيق: د. جودت القزويني

المقصد الثامن: في الشفاعة

الشفاعة- في الحقيقة- قسّم من الدّعاء والرجاء، وليس من خواصّ الأنبياء والأوصياء، وليس لأحد على الله قبول شفاعته، وإنّما ذلك من ألطفه ومننه، ولا شفاعة إلّا بإذنه ورضاه، والأخبار فيها متواترة.

روى محمّد بن عمرو بن العاص، عن النّبىّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: من سأل الله لى الوسيلة، حلّت عليه الشفاعة، رواه مسلم (١).

وعن جابر عن النّبىّ صلى الله عليه وآله: من سمع الأذان ودعا بكذا، حلّت له شفاعة يوم القيامة، رواه البخارى (٢).

١- ١ صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب ١١؛ سنن أبى داود كتاب الصلاة، باب ٢٦؛ سنن الترمذى كتاب المناقب، باب ١؛ سنن النسائى كتاب الأذان، باب ٣٧؛ مسند أحمد بن حنبل الباب الثانى، الباب ١٦٨.

٢- ٢ البخارى كتاب الأذان، باب ٨؛ وصحيح مسلم كتاب الصلاة، باب ١١؛ وسنن أبى داود كتاب الصلاة، باب ٣٦.

ص: ٨٧

وعن عبدالله بن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يُشركون بالله شيئاً، إلّا شفّعهم الله فيه، رواه مسلم (١).

وعن عائشة (رض)، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما من ميت تصلى عليه أمة من الناس يبلغون مائة، كلّهم يشفعون له إلّا شفّعوا فيه، رواه مسلم (٢).

وعن جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أُعطي خمساً... (وعدّ منها الشفاعة) (٣).

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله: أنا أول شافع وأول مشفع في يوم القيامة ولا فخر (٤).

وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله: أنا أول شافع وأول مشفع. ونحوه عن أنس (٥)، وأبي بن كعب (٦).

وعن جبير بن مطعم، عن عثمان بن عفان، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: يُشفّع يوم القيامة ثلاثة (وعدّ منهم الأنبياء).

وعن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وآله أن الشفاعة على مراتب الناس في القابلية (٧).

وعن عبدالله بن مالك عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه أتاني آت من ربّي، فخيّرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنّة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة.

١- ١ صحيح مسلم كتاب الجنائز، باب ١٩ من صلى عليه أربعون شفّعوا فيه، حديث ٥٩.

٢- ٢ المصدر نفسه كتاب الجنائز، باب ١٨، حديث ٥٨.

٣- ٣ المصدر نفسه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ٥، حديث ٣.

٤- ٤ المصدر نفسه كتاب الفضائل، باب ٢، تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله على جميع الخلق، حديث ٢٢٧٨.

٥- ٥ المصدر نفسه كتاب الإيمان، باب ٣٣٠.

٦- ٦ سنن الدارمي المقدمة، الباب ٨.

٧- ٧ سنن ابن ماجه ٢: ١٤٤٣.

ص: ٨٨

وعن عبدالله بن أبي الجذعاء، عن النبي صلى الله عليه وآله: أنه يدخل الجنة بشفاعته رجل (١) من أمّتي أكثر من بني تميم، رواه الترمذي والدارمي (٢).

وعن أنس قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل، قلت: فأين أطلبك؟ قال: أولاً على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك، قال: عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه المواضع، رواه الترمذي (٣).
وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله أن الله يقول بعد فراغ الشافعين من الشفاعات: شُفِّعَ الملائكة، وشُفِّعَ النبيون، وشُفِّعَ المؤمنون، ولم يبقَ إلّا أرحم الراحمين (٤).

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه يحبس المؤمنون يوم القيامة، فيقولون لو استشفعنا، فيأتون (آدم)، فيعتذر بخطيئته، ثم (إبراهيم) فيعتذر بثلاث كذبات كذبهن، ثم (موسى) فيعتذر بقتل النفس، ثم (عيسى)، فيقول: لست هناك، فيقول الله تعالى بعد أن أسجد له: اشفع تشفع... (الخبر وهو طويل) (٥).

وعن النبي صلى الله عليه وآله أن ملكاً غَضِبَ عليه، فأُهِبَطَ من السماء، فجاء إلى إدريس فقال له: اشفع لي عند ربك، فدعا له، فأذن له في الصعود. وفيه دلالة على الشفاعات في الدنيا. وستجىء في باب زيارة القبور أخبار كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ»

١- ١ في المطبوع: «بشفاعتي رجال».

٢- ٢ الترمذي ٤: ٥٤١.

٣- ٣ المصدر نفسه باب صفة القيامة ٤: ٥٣٧.

٤- ٤ المصدر نفسه ٤: ٥٤١.

٥- ٥ المصدر نفسه ٤: ٥٣٧.

ص: ٨٩

زارني كنت له شفيعاً» (١).

وبيان الحال: أن (الشفاعة) إن كانت من قبيل الدعاء، فيرجع طلبها إلى التماس الدعاء من الأنبياء والأولياء، فتكون عبارة عن دعاء مخصوص لنجاة الغير، أو قضاء حاجته في أمور الدنيا والآخرة، فلا كلام ولا بحث في جواز طلبها من كل أحد، فهي كما لو سألت إخوانك الدعاء. ويؤيد ذلك أنه لما سئل إدريس عليه السلام الشفاعة دعا.

ولا فرق بين الأحياء والأموات، فإننا سنبين - إن شاء الله - تواتر الأخبار في أن الأموات يسمعون وينطقون، لكن الناس لا يسمعون كلامهم. فالشفاعة بهذا المعنى لا غضاضة في طلبها، إذ لسنا في ذلك بمنزلة من قالوا لا طاقة لنا بعبادة الله، ونحن نعبد الأصنام، وهم يوصلوننا إلى الله.

وإن أريد بالشفاعة منصب أعطاه الله لنبيه صلى الله عليه وآله وأوليائه، فيدفعون بالأذن العام عن الناس، بمعنى أن الله أذن إذنًا عامًا لنبيه صلى الله عليه وآله في إنقاذ بعض أهل العذاب من العذاب يوم يقوم الحساب، فهذا المعنى تكون مخصوصة في الآخرة. ولا ريب أن المستشفع بالنبي صلى الله عليه وآله، والأولياء في دار الدنيا، يريد المعنى الأول.

فليت شعري ما الذي يُنكر من طلب الشفاعة، أمن جهة خطاب الموتى فذلك لا يوجب كفراً ولا إشراكاً، لو كان خطأ، فكيف لو كان صواباً، أو من جهة إسناد الأمر إلى غير الله سبحانه، وهذا أعجب من السابق، فإن الداعي والساعي في حاجة أحد إلى مولاه لا يرتفع عن درجة العبودية، ولا سيما إذا لم يحدث شيئاً إلّا عن إذنه؟!

ص: ٩٠

ومن البديهة (١) أنّ العبيد والخدام القائمين بشرائط العبودية والخدمة مع الأذن يُشَفَّعُونَ عند مواليهم في قضاء حوائج الناس، ولا يخرجهم ذلك عن العبودية والخدمة، بل هذا نوع من العبودية.

وفى أحاديث الشفاعة ما يدلّ على عموم الشفاعة في دفع المضار الدنيوية والأخروية.

وقد نقل عن الصحابة بطرق معتبرة أنّ الصحابة كانوا يلجأون إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله، ويندبونه في الاستسقاء ورفع الشدائد والأغراض الدنيوية.

روى البيهقي بطريق صحيح عن مالك الدارخازن عمر رضى الله عنه أنّه أصاب الناس قحط، فذهب رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله استسق لأمّتك فقد هلكوا، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله في المنام، فقال له: قل لعمر: قد سقوا (٢).

وقد روى أنّ من رأى النبي صلى الله عليه وآله في نومه فكأنّما رآه في يقظته؛ لأنّ الشيطان لا يتمثّل به (٣).

وروى البيهقي بطريق صحيح أنّ رجلاً في أيام عمر رضى الله عنه جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا محمد استسق لأمّتك (٤).

وروى الطبراني وابن المقري أنّهم كانوا جوعاً، فجاؤوا إلى قبر النبي، فقالوا: يا رسول الله الجوع، فاشبعوا.

والغرض أنّ ذلك ظاهر بين الصحابة والسلف، ولا يتناكرونه أبداً، وحيث كان لا يزيد على سؤال الدعاء، وتوضيح في البحث الآتي أنّ الأنبياء والأولياء أحياء، لا يبقى كلام أصلاً.

١- ١ في النسخة المطبوعة: «الأمور البديهة».

٢- ٢ البيهقي ٣: ٣٤٤.

٣- ٣ صحيح مسلم كتاب الرؤيا، باب ١، حديث ١١.

٤- ٤ البيهقي ٣: ٣٥٠.

ص: ٩١

الخاتمة

وأما الخاتمة، فتشتمل على أبواب:

الباب الأول

في حياة الأموات بعد موتهم

وفيه فصول:

الفصل الأول: في حياة النبي صلى الله عليه وآله بعد موته

وأنته يسمع الكلام ويردّ الجواب كما في حياته، غير أنّ الله حبس سمع الناس إلّا قليلاً من الخواص، ولا بُعد في ذلك بعد الإقرار بعموم قدرة الجبار، فإنّ من أودع تلك النطفة روح الإنسان، قادر أن يودعها في أيّ محلّ كان.

ولا ينافي ذلك إطلاق اسم الموت عليه، وأنّ الحياة إنّما هي وقت البعث؛ لأنّ المراد أنّ عود تلك الأجسام على الحال السابق والكيفيّة السابقة، إنّما يكون في ذلك الوقت، وأنّ ظهور ذلك للناظرين، إنّما يكون في ذلك الحين، ولا بدّ أن تتلقّى ما ورد عن النبي الكريم بأشدّ القبول والتسليم.

روى عن أمّ سلمة (رض)، قالت: رأيت النبي صلى الله عليه وآله والتراب على شيبته، فسأته، فقال: شهدت قتل الحسين عليه السلام. وعن ابن عباس أنّه رأى النبي صلى الله عليه وآله في المنام، وفي يده قارورة، فقلت: وما هذه؟ فقال: هذا دم الحسين عليه السلام (١). وقال المبارزي: نبينا حيّ بعد وفاته.

ص: ٩٢

وقال شيخ الشافعي (١): نبينا حي بعد وفاته، فإنه يستبشر بطاعات أمته، ويحزن من معاصيهم، وتبلغه صلاة من يصلي عليه. وعن علي عليه السلام أن أعرايا جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله استغفر لي، فنودي من داخل القبر ثلاث مرّات: قد غفر الله لك (٢). وروى أبو داود في مسنده، عن أبي هريرة، مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: ما من أحدٍ يسلم عليّ إلّا ردّ الله روحه حتّى أردّ عليه. وذكره ابن قدامة من رواية أحمد أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض، يبلغونني من امتي السلام. فعلى هذا لا فرق بين السلام من قرب، أو بُعد. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من صلى عليّ عند قبري سمعته (٣). وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من صلى عليّ عند قبري، وكلّ الله به ملكاً يبلغني (٤). وروى ابن أوس مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أكثرُوا عليّ من الصلاة يوم الجمعة، فإنّ صلاتكم معروضةً عليّ، قالوا: أو كيف تعرض عليك وأنت رميم؟! فقال: إنّ الله حرّم على الأرض لحوم الأنبياء (٥). وهذا يعمّ الأنبياء (صلى الله عليهم). وروى الحافظ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: علمي بعد مماتي كعلمي في حياتي (٦).

١-١ عبد القاهر بن طاهر البغدادي الأسفراييني، ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان واستقرّ في نيسابور، ومات في أسفرائين. له مؤلفات كثيرة.

٢-٢ كنز العمال ١: ٥٠٦.

٣-٣ المصدر نفسه ١: ٤٨٨، الباب السادس في الصلاة عليه وعلى آله، حديث ٢١٩٧.

٤-٤ المصدر نفسه، حديث ٢١٩٦.

٥-٥ المصدر نفسه ١: الباب السادس، حديث ٢١٤١.

٦-٦ المصدر نفسه ١: الباب السادس، حديث ٢٢٤٢.

ص: ٩٣

وعن النبي صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ وَكُلَّ مَلَكٍ يُسْمَعُنِي أَقْوَالَ الْخَلَائِقِ، يَقُومُ عَلَى قَبْرِى، فَلَا يُصَلِّي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ (فلان) بن (فلان) يُصَلِّي عَلَيْكَ، صَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ (١).
والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى، وفيها دلالة على أنه صلى الله عليه وآله يُخَاطَبُ في مماته كما يُخَاطَبُ في حياته، بل يظهر من بعض الروايات (٢) أن كلامه يسمعه بعض الخواص.

أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة، عن سعيد بن المسيب، قال: لَقَدْ كُنْتُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَمَا يَأْتِي وَقْتُ صَلَاةٍ إِلَّا سَمِعْتُ الْأَذَانَ مِنَ الْقَبْرِ.

وأخرج ابن سعد في الطبقات، عن سعيد بن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة، فإذا جاء الصبح سمع أذاناً من القبر الشريف (٣).

وأخرج زبير بن بكار (٤) في أخبار المدينة، عن سعيد بن المسيب، قال: لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ مِنْ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَيَّامَ الْحَرَّةِ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ.

وأخرج الدارمي في مسنده، عن مروان، عن سعيد بن عبد العزيز أنه كان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمته يخرج من القبر (٥).
الفصل الثاني: في حياة سائر الشهداء والأنبياء

قد سبق أن الأرض لا تأكل لحومهم.

قال البيهقي في كتاب الاعتقاد (٦): إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ بَعْدَمَا قُبِضُوا رُذِّتْ إِلَيْهِمْ

١- ١ صحيح مسلم كتاب المساجد، باب ٥٧؛ ومسنَد أحمد بن حنبل، الكتاب الخامس.

٢- ٢ في النسخة المطبوعة: الأخبار.

٣- ٣ الطبقات الكبرى ٥: ١٣٢.

٤- ٤ الزبير بن بكار، من أهل المدينة، توفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م عن ٨٤ عاماً. له مؤلفات في الأنساب والتاريخ.

٥- ٥ سنن الدارمي ١: ٥٦.

٦- ٦ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للحافظ البيهقي الشافعي، طبع في بيروت سنة ١٩٨٨ م.

ص: ٩٤

أرواحهم، فهم أحياء كالشهداء.

وقال القرطبي في التذكرة (١): الموت ليس عدماً محضاً، يدلّ على ذلك أنّ الشهداء أحياء، فالأنبياء أولى، وقد صحّ أنّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء.

وقال الاستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي شيخ الشافعي: إنّ الأنبياء لا تبلى أجسادهم، ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، وقد التقى نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله مع إبراهيم، وموسى بن عمران.

وعن أنس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه مرّ بقتلى بدر فكلمهم، فقال له أصحابه: كيف تُكلّم أجساداً لا أرواح فيها؟! فقال: لستم أسمع منهم لكنهم لا يتكلمون.

وعن قتيبة وأبي الفضل، عن ابن عباس أنّ الحواريين قالوا لعيسى: أحى لنا يحيى بن زكريا، حتّى ننظر إلى وجهه، فخرج معهم وأحياء، وإذا نصف شعر رأسه أبيض، وقد كان أسود فسألوه، فقال: لمّا نوديت زعمت أنّها القيامة، فقال عيسى: أتريد أن أسأل الله أن يرّدك إلى الدّنيا؟ فقال: إنّ مرارة الموت لم تخرج من حلقي بعد.

وعن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه مرّ بإبراهيم يُصلّي، وبموسى يُصلّي. وفي حديث المعراج أنّه مرّ بكثير من الأنبياء يصلّون.

وقال الحافظ شيخ السنّة أبو بكر البيهقي في الاعتقاد: أنّ الأنبياء تُردّ إليهم أرواحهم بعدما يقبضون، فهم أحياء عند ربّهم كالشهداء، وقد رأى النبيّ صلى الله عليه وآله جماعة منهم، وصلّوا خلفه، وقد أخبر هو عن ذلك، وخبره صدق، أنّ صلاتنا تُعرض عليه، وأنّ الأرض لا تأكل من لحمه.

١ - ١ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لشمس الدّين محمّد بن أحمد القرطبي المتوفّى سنة ٦٧١ هـ، وهو مطبوع بالقاهرة سنة ١٩٨١ م ضمن جزأين.

ص: ٩٥

وعن الشيخ عفيف الدين أنَّ الأولياء من جملة خصائصهم رؤيا الأنبياء.
 وقال الشيخ تقى الدين السبكي: إنَّ حياة الأنبياء والشهداء فى القبور كحياتهم فى الدنيا، ويدلُّ عليه صلاة موسى وجماعته من الأنبياء ليلة الإسراء مع النبىِّ صلى الله عليه وآله.
 وروى الثقات عن أنس مرفوعاً، عن النبىِّ صلى الله عليه وآله: أنَّ الأنبياء أحياء فى قبورهم.
 وعن النبىِّ صلى الله عليه وآله أنه قال: مررتُ بقبر موسى بن عمران فرأيتُهُ يُصَلِّي (١).
 وقال الله تعالى فى حقِّ مَنْ قُتِلُوا فى سبيل الله: أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون (٢).
 إلى غير ذلك من الأخبار.

الفصل الثالث: فى حياة سائر الموتى

روى ابن عباس مرفوعاً عن النبىِّ صلى الله عليه وآله أنه قال: ما من أحدٍ يمّر بقبر أخيه المؤمن فيسلم عليه، إلَّا عرفه، وردَّ عليه السلام.
 وفى رواية: ما من أحدٍ يمّر بقبر رجلٍ يعرفه، إلَّا عرفه، وردَّ عليه السلام (٣).
 ونقل أبو عبد الله البخارى أنَّ الشهداء وسائر المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلم عليهم، عرفوه وردّوا عليه السلام.
 وروى الثعلبى فى تفسيره، وابن المغازلى الواسطى فى المناقب: أنَّ النبىِّ صلى الله عليه وآله، وأصحابه لما حملهم البساط، وصلّوا إلى موضع أهل (الكهف)، فقال: سلّموا عليهم، فسلمّوا عليهم، ولم يردّوا، فسلمّ النبىُّ صلى الله عليه وآله عليهم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله (٤).

١-١ تُراجع هذه الأحاديث فى كنز العمال، الفصل الثالث فى زيارة القبور، المجلد الخامس.

٢-٢ القرآن الكريم: ١٦٩/٣ سورة آل عمران.

٣-٣ كنز العمال ١: ٦٤٦.

٤-٤ ابن المغازلى، مناقب على بن أبى طالب: ٢.

ص: ٩٦

وأخرج الشيخ ابن حياره في كتاب (الوصايا)، عن قيس، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: من لم يوص، لم يؤذن له في الكلام مع الموتى، قيل: يارسول الله الموتى يتكلمون؟ فقال: نعم ويتزاوون.

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه رأى جعفرًا يطير في الجنة.

ونقل أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي أن عيسى لما دفن مريم، قال: السلام عليك يا أمّاه، فأجابته من جوف القبر: وعليك السلام حبيبي، وقرّة عيني، فقال لها: كيف وجدت طعم الموت؟ فقالت: والذي بعثك بالحق ما ذهب مرارة الموت من خلقي، ولا خشونته من لساني.

وروى الحاكم عن سالم بن أبي حفصة قال: توفي أخ لي، فوضعت في القبر، وسويت عليه التراب، ثم وضعت أذني على لحيته، فسمعت قائلاً يقول له: مَنْ رَبُّكَ، فسمعت أخى يقول بصوتٍ ضعيف: ربّي الله، فقال له: وما دينك؟ فسمعت أخى يقول بصوتٍ ضعيف: ديني الإسلام، فسمعت يقول له: وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فسمعت يقول بصوتٍ ضعيف: محمد نبيّ، فسمعت يقول له: نَمَ نَوْمَ العروس، وسمعت المَلَك الآخر يقول له: أبشر برّوح وريحان، وربّ غير غضبان (١).

وفي الأخبار، عن عمر بن الخطاب أنه قال: ما من ميت يموت، يوضع على سريره، فيخطى ثلاث خطوات، إلّا ويُنَادى بنداءٍ يسمعه ما شاء الله من الخلائق من الثقلين، فيقول: يا إخوانه، يا خدامه، يا حملة نعشاه، لا تغرنكم الدنيا كما غرتني، ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بي، خلّفت ما جمعت لورثتي، ولم يحملوا من خطيئتي شيئاً، والديان يحاسبني، وأنتم تشيعون جنازتي، ثم تدعونني في لحدى. وزيد في آخر: ثم تسلّمونني إلى منكرٍ ونكير، واندامتاه،

ص: ٩٧

واندامتاه، واندامتاه (١).

وعن الفقيه الزاهد إسماعيل بن الحسن، عن عمر بن الخطاب أنه دخل المقابر، فنادى يا أهل المقابر، الأموال قد قُسمت، والدور قد سُكنت، والأزواج قد نُكحت، فهذا خبر ما عندنا، فاخبرونا ما عندكم؟ قال: فهتف به هاتف، وهو ينادى ويقول: يا ابن الخطاب وجدنا ما عملنا ربحاً، وما خلفنا خسراناً، والجبار سألنا عن جميع ما فعلنا، ثم سكت.

وعن كعب، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لا يمرُّ أحدٌ بالمقابر إلّا ويناديه أهل القبور: يا غافلاً لو علمت بما نحن فيه لذاب لحمك وجسمك، كما يذوب الثلج في النار (٢).

وعن الضحّاك، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إنّ الموتى ينادون في كلّ يوم ثلاث مرّات من قبورهم: يا أهل الديار عجلوا عجلوا، فإنّما نحن محبوسون من أجلكم، الرحيل الرحيل، لا تحبسوا إخوانكم، خرّبوا ما بنيتم، واتركوا ما جمعتم، نورّتم البيوت، وأظلمتم القبور، وبنيتم البيوت، ونسيتم القبور، وعمّرت البيوت، وخرّبت القبور، ووسّعت البيوت، وضيقتم القبور، (وذكروا غير ذلك) (٣).

وعن أبي عبد الله محمّد بن عمر، يروى عن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما من يوم يمضى إلّا وملك يهتف: يا أهل القبور من تغبطون اليوم؟ فيقولون: نغبط أهل المساجد، يصلّون في مساجدهم، ويصومون ويصدّقون، ولا- نقدر نصلى ونصوم ونتصدّق.

وعن محمّد بن أبي عبد الله بن الفضل، عن محمّد بن كعب، قال: مرّ عيسى على قبر، فرأى فيه عذاباً شديداً، فدعا الله حتّى أحياه، فقال له عيسى: فلم تُعذب؟

١- ١ كنز العمال ١: ٥٩٦.

٢- ٢ في النسخة المطبوعة: الملح بالماء.

٣- ٣ كنز العمال ١٥: ٦٢٦.

ص: ٩٨

قال: كنت جالساً في سوق (مصر)، وقد أكلت شيئاً، فأخذتُ عُودَةً من حزمه شوكة لأُخلِّل أسناني بها، ومِتُّ منذ أربعة آلاف سنة وأنا في عذابها، ثم قال:

يا روح الله منذ أربعة آلاف سنة ومرارة الموت باقية في حلقى. فقال عيسى: اللهم يسر عليه سكرات الموت.

وعن وهب بن منبه أن عيسى عليه السلام مرَّ على نهر فيه ماء عذب، وحوله خابية (١)، كلما يوضع فيها من ذلك الماء يصير مالحاً، فقال: إلهي ما خبر هذا الماء المالح؟! فأذن الله للخابية بالكلام، فقالت: إني كنت آدمياً، فبقيت في قبري ثلاثمائة سنة، ثم جاء لَبَّانٌ، فضرب ترابي لَبَّناً، وبنيت في قصر ثلاثمائة سنة، ثم خرب القصر، فبقيت تراباً مائتي سنة، ثم جاء شخص فجعلني (حَبّاً)، ووضعني سقاية على شاطئ هذا النهر من مائة سنة وكل ما يجعل في يكون مالحاً، لما في من مرارة نزع الروح، وأنا معذب منذ متُّ، لأنني أخذتُ إبرة من جاري، وما رددتها حتى متُّ. فما أدري أن عذابي أشد أم مرارة الموت، فقال عيسى: اللهم يسر علي الموت، ونجني من عذاب القبر... (الحديث) وقد ذكرنا من مضمونه محل الحاجة.

وعن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله: أن أشد الأحوال على الميت حين يدخل (الغسل) داره ليغسله، فيخرج خواتم الشبان من أصابعهم، وينزع قميص العروس من بدنهما، ويرفع عمام المشايخ عن رؤوسهم. فعند ذلك يقول بصوت يسمع الخلائق غير الثقلين: يا غيَّال بالله عليك انزع ثيابي برفق، فأني الساعة استرحت من مخالب ملك الموت، فإذا صب عليه الماء صاح كذلك. فإذا رُفِع عن المغتسل، وشد مواضع قدميه بالكفن، يقول: بالله عليك لا تشد رأس كفني ليرى وجهي أهلي وأولادي وعروسي التي كنت أحبها، وينظر إلى وجهي أقربائي، وأحبائي وإخواني، وجيراني، ورفقائي، فإن هذه آخر رؤياي.

ص: ٩٩

فإذا خرج من الدار، نادى بالله عليكم يا حملة نعشى لا تُعجلوا بى، حتى أودّع دارى التى بنيتها، وزينتها ونقشتها بأنواع النقوش، وأهلى ومالى وأولادى، فإنّ هذا خروج لا مردّ بعده إلى يوم القيامة.

فإذا رُفعت الجنازة، نادى يا حملة نعشى بالله عليكم لا تُعجلوا بى، حتى أسمع أصوات أولادى الذين يَغوّلون خلف جنازتى، وعروسى التى تبكى علىّ، ووالدى الذى تقوّس ظهره لموتى، ووالدتى التى شدّت وسطها بالمنديل لمفارقتى، وقد نشرّت شعرها، وضربت صدرها، وتقوّس ظهرها، وابيضّت عيناها لفقدى.

فإذا صلّى على جنازته، ورُفِع من المصلّى، ورجع بعض أصدقائه، يقول:

يا إخوانه كنت أعلم أنّ الميّت ينساه الأحياء، لكن لا بهذه السرعة، رجعت قبل أن تدفونى، ونسيتمنى بهذه السرعة، وجسمى بعد بين أظهركم.

فإذا وُضِعَ فى لحدّه، وُضِعَ عليه التراب، ينادى وا ورثاه، تركتُ لكم الكثير، فلا تنسونى، تصدّقوا عنيّ على فقرائكم، ولو بكسرة خبز محترق، وعلمتكم القرآن والأدب، فلا تنسونى من الدعاء، فإنّى صرت محتاجاً، كفقرائكم على أبوابكم، ومحتاجاً إلى دعائكم، كصاحب حاجتكم إلى ساداتكم (١).

ومما يدلّ على بقاء حياتهم فى قبورهم، ما دلّ على أنّ الميّت بعدما يُسأل، يُفتح له بابٌ إلى الجنّة، إن كان من أهل الخير، أو إلى النار إن كان من أهل الشرّ، وبقاء اللذة والألم ظاهرٌ فى بقاء أثر الحياة.

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا مات أحدكم، عرض عليه مقعده بالغدوة والعشى، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ.

وعن أبى هريرة، عن النّبىّ صلى الله عليه وآله: إنّ الميّت يُسأل فى قبره عن النّبىّ صلى الله عليه وآله، فإن

١- ١ تُراجع هذه الأحاديث فى الجزء الخامس عشر من كنز العمّال فى الباب الأوّل فى ذكر الموت وفضائله، حديث ٤٢٠٩٤ حتى

حديث ٤٣٠١١ من ص ٥٤٨ حتى ص ٧٥٨.

ص: ١٠٠

أجاب بالحق قيل له: نَمَ نومة العروس، وإلّا فَتَحَ له بابٌ إلى قبره يكون معدّاً إلى يوم القيامة (١). وعن البراء بن عازب، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: يأتيه ملكان يجلسانه، ثم ذكر أنّهما يسألانه، فإن أجاب بحق، فَتَحَ له بابٌ إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، وإلّا يُفْتَحَ له بابٌ إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها. إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على أنّهم في قبورهم يتلذذون ويتألّمون، وهذا من توابع الحياة ولوازمها.

وكيف كان فقد بلغت هذه الأخبار فوق التواتر، وبعد عموم قدرة الفاعل المختار، لا بُدَّ ولا غرابة في مداليلها. وما دلّ من الكتاب والسنة على أنّ الإحياء يكون عند النفخ في (الصُور)، فقد بيّنا أنّ المراد: إمّا الحياة على النحو المعهود من تلك الأشخاص الخاصّة بعينها، أو يُراد أنّه يوم البروز والظهور على عيون الأشهاد.

وإذا تبين بهذه الأخبار المتواترة، أنّهم يسمعون ويعقلون ويعرفون مَنْ يُخاطِبُهُمْ، صَحَّ لنا أنّ نخاطبهم مخاطبة الأحياء فنلتهم دعاءهم، ونقسم عليهم بالأقسام في أنّ يكونوا شفعاء لنا في الدُّنيا وفي يوم القيامة؛ لأنّ الشفاعة أظهر فريدها أنّها دعاء خاصّ، واختصاص الخواص بها باعتبار قبولها.

فلو قال قائلٌ لنبيّ، أو وصيّ، أو عبدٍ صالح: اشفع لي، أو ادعُ لي، أو أغثنى، أو أعنّى (أي بدعائك)، أو قال: اقض لي حاجتي، أو ارزقني مالاً، وادفع الضرر عني، ونحو ذلك ولا يريد سوى التوسّط بالدعاء وسؤال الله، لم يكن عليه شيء.

وقد وقع كثيرٌ من ذلك في كلام الصحابة والتابعين، بل ربّما كان هذا التعبير أولى؛ لدلالته على قرب منزلة العبد عند مولاه واحترامه، فتكون شهادة له

ص: ١٠١

بنبوتته، وقرب منزلته.

وليس على مَنْ قال للعبد المقرَّب، أو إلى الخادم المقرَّب: اقض حاجتي، (بمعنى اسع لي في قضائها عند مولاك)، بأس، بل هو أنسب في التواضع إلى المولى.

وأما مَنْ قال مثل ذلك معتقداً أنَّ الأنبياء والأوصياء بأيديهم الأمر أصالة، يفعلون ما يشاؤون، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وإنِّي قد طفتُ بشطرٍ من بلاد المسلمين، وخالطتُ كثيراً منهم منذ سنين، فلم أرَ أحداً يعتقد أنَّ في الوجود فاعلاً مختاراً سوى الفاعل المختار العزيز الجبار تبارك وتعالى، وذلك مراد (العوام) في خطاباتهم، فضلاً عن العلماء الأعلام، إلّا أنَّهم لا يمكنهم كشف الحال، وإن كان مقصدهم ذلك على الإجمال. نسأل الله وإياكم طريق السداد والنجاه من أهوال يوم المعاد.

الباب الثاني

في الزيارات

وفيه فصلان:

الفصل الأول: في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله

روى الدارقطني في السنن وغيرها، والبيهقي، وغيرهما من طريق موسى بن هلال العبدى، عن عبد الله العمرى، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ زار قبري وجبت له شفاعتي.

وعن نافع، عن سالم، عن ابن عمر مرفوعاً، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: مَنْ جاءني زائراً ليس له حاجة إلّا زيارتي، كان حقاً عليّ أن أكون له شافعاً يوم القيامة.

وعن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله: مَنْ حجَّ وزار قبري بعد وفاتي، كان كمن زارني في حياتي.

ص: ١٠٢

وروى عن عائشة أيضاً، وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبي، قال: مَنْ زارني كنتُ له شهيداً أو شفيعاً.
وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مَنْ حَجَّ فلم يزرنِي، فقد جفاني (١).
وعن أبي هريرة مرفوعاً، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مَنْ زارني بعد موتي، فكأنما زارني حياً (٢).
وعن أنس مرفوعاً، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مَنْ زارني في المدينة، كنتُ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة (٣).
وعن أنس مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مَنْ زارني ميتاً كَمَنْ زارني حياً، وَمَنْ زار قبري وجبتْ له شفاعتي يوم القيامة.
وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مَنْ زارني في مماتي، كان كمن زارني في حياتي، وَمَنْ لم يزرنِي فقد جفاني.
وعن علي عليه السلام مرفوعاً، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مَنْ زار قبري بعد مماتي، فكأنما زارني في حياتي، وَمَنْ لم يزرنِي فقد جفاني.
وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مَنْ حَجَّ وقصدني في مسجدي، كانت له حجتان مبرورتان.
وروى ابن عساكر، عن علي عليه السلام قال: مَنْ زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، كان في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله.
وعن بكر بن عبد الله مرفوعاً، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مَنْ أتى المدينة زائراً لي، وجبت له الجنة.

١- ١ تراجع هذه الأحاديث في سنن البيهقي ٥: كتاب الحج، باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله.

٢- ٢ كنز العمال باب زيارة قبر النبي، المجلد الخامس، حديث ١٢٣٨٢.

٣- ٣ المصدر نفسه باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله المجلد ١٥، حديث ٤٢٥٨٤.

ص: ١٠٣

وعن كعب الأحبار أن عمر لمّا فتح بيت المقدس قال لى: هل لك أن تسير معى إلى المدينة تزور قبر النبى صلى الله عليه وآله؟ فذهبت معه، فلمّا دخل بدأ بالمسجد، وسلّم على النبى صلى الله عليه وآله.

وفى الموطأ عن ابن عمر كان يقف عند قبر النبى صلى الله عليه وآله فيسلّم عليه، وعلى أبى بكر، وعمر. وسئل نافع: هل كان ابن عمر يسلم على قبر النبى صلى الله عليه وآله؟ فقال: رأيتُه مائة مرّة أو أكثر يسلم على النبى صلى الله عليه وآله، وعلى أبى بكر، وعمر.

وعن ابن عمر: أن سنّة السلام من قبل القبلة. ونقل الدارقطنى، عن على عليه السلام أنه دخل المسجد فسلم على القبر. وروى عن آل الخطّاب، وعن بعض الحفاظ زيارة النبى صلى الله عليه وآله.

وكيف كان، فالروايات فى استحباب زيارته وشفاعته لزوّاره، داخله فى قسم المتواتر، وعمل الصحابة والتابعين وأهل البيت أجمعين على ذلك.

قال عياض: زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله سنّة، أجمع عليها المسلمون. وروى غيره إجماع المسلمين قولاً وفعلًا على استحباب زيارته، وصرّح بعضها (١) أن شد الرحال إليها لا مانع منه. وفيما دلّ على استحباب التعظيم، وأن حرمة الأموات كحرمة الأحياء، كفاية.

الفصل الثانى: فى زيارة باقى القبور

قد مرّ فى الأخبار الماضية زيارة الصحابة قبرى الشيخين.

وروى بريدة عن النبى صلى الله عليه وآله: إننى نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها (٢).

١- ١ فى النسخة المطبوعة: وصرّح بعضهم.

٢- ٢ صحيح مسلم كتاب الجنائز، المجلد الثانى، باب ٣٦، حديث ١٠٦؛ وسنن ابن ماجه باب ما جاء فى زيارة القبور، باب ٤٧، حديث ١٥٧١.

ص: ١٠٤

ولعل السرّ - والله أعلم - أنّه في مبدأ الإسلام كانت زيارة القبور وتذكّار الموتى والقتلى، باعثاً على الجبن عن الجهاد، حتّى إذا قوى الإسلام أمرهم بها.

ونحو ذلك في خبر آخر.

وعن أبي هريرة، أنّ النّبىّ صلى الله عليه وآله زار قبر أمّه، ولم يستغفر لها، قال: أمرتُ بالزيارة، ونهيتُ عن الاستغفار، فزوروا القبور، فإنّها تذكّر الموت (١).

وعن بريده أنّ النّبىّ صلى الله عليه وآله كان إذا خرج إلى المقابر، قال: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين»، رواه مسلم (٢).

وعن عائشة أنّ النّبىّ صلى الله عليه وآله كان يخرج إلى البقيع آخر الليل، فيقول: السلام عليكم... (الخبر)، رواه مسلم (٣).

وكيف كان، فالأخبار متظافرة على زيارة القبور، ولا حاجة لنقل جميعها.

وفيما ورد من أنّ حرمة المسلم ميتاً كحرمة حيّاً دلالة على ذلك، وزيارة النّبىّ صلى الله عليه وآله، والصحابة لقبور الشهداء أوضح من الشمس في رابعة النهار.

الباب الثالث: في التبرّك بالقبور ونحوها

اختلف العلماء من أهل السنّة والجماعة في جواز التبرّك بالقبور، فمنهم: من أجازه على كراهة.

قال النووي: لا يجوز أن يُطاف بقبر النّبىّ صلى الله عليه وآله، ويكره إصاق البطن والظهر به. قال: ويكره مسّه باليد وتقيله، بل الأدب أن يبعد عنه، كما لو حضر في حياته.

وكلامه ظاهرٌ في أنّ المسّ أبعد من التعظيم، وشبهه العبوديّة.

وذكر ابن عساكر في (تُحْفِهِ)، عن ابن عمر أنّه كان يكره مسّ قبر النّبىّ صلى الله عليه وآله.

ويظهر من بعضهم ندبه واستحبابه.

١-١ صحيح مسلم كتاب الجنائز، باب استئذان النّبىّ صلى الله عليه وآله ربّه في زيارة قبر أمّه، حديث ١٠٨.

٢-٢ المصدر نفسه كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور، حديث ١٠٤.

٣-٣ المصدر نفسه كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور، حديث ١٠٢.

ص: ١٠٥

نقل عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب العلل والسؤالات، قال: سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، يتبرك بمسه وتقيله، ويفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب الله تعالى، فقال: لا بأس به.

وعن إسماعيل أن ابن المنكدر (١) يصيبه الصمات، فكان يقوم ويضع خده على قبر النبي صلى الله عليه وآله، فعوتب في ذلك، فقال: يستشفى بقبر النبي صلى الله عليه وآله. والاستشفاء أعظم من التبرك.

ونقل عن ابن أبي الضيف، والمحبة الطبري، جواز تقبيل قبور الصالحين، وظاهره الندب.

وفي رواية عن ابن حنبل أنني لا أعرف التمسح بالقبر، أما المنبر فنعم، لما روى أن ابن عمر كان يفعله.

ونقل عن مالك التبرك بالمنبر.

وروى عن يحيى بن سعيد شيخ مالك أنه حينما أراد الخروج إلى العراق، جاء إلى المنبر، وتمسح به.

وقال السبكي: منع التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه. واستدل بما رواه يحيى بن الحسن، عن عمر بن خالد، عن أبي نباتة، عن كثير بن يزيد، عن المطلب ابن عبد الله، قال: أقبل مروان بن الحكم، فإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته وقال: ما تصنع؟! فقال: إنني لم آت الحجر ولا اللبن، إنما جئت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وذكر رواية أحمد، قال: وكان الرجل أبا أيوب الأنصاري.

ونقل هذه الرواية أحمد، وزاد فيها: أنه قال: سمعت رسول الله يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله.

وعن أبي الدرداء أن بلالاً رأى النبي صلى الله عليه وآله في المنام، فقال له: ما هذه الجفوة يا

١- ١ محمد بن المنكدر القرشي التيمي أحد الأئمة التابعين، توفي سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م.

ص: ١٠٦

بلال، أما لك أن تزورني؟ فانتبه حزيناً خائفاً، فركب راحلته، وقصد المدينة، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله فجعل يبكي عنده، ويمرغ وجهه عليه، إلى أن ذكر حضور الحسين وبكاء أهل المدينة، وأذان بلال، قال: فما رُئي أكثر باكياً ولا باكياً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك اليوم.

وذكر ابن حمله أن (بلالاً) وضع خديه على القبر، وأن ابن عمر كان يضع يده اليمنى عليه.

ونقل عن مالك، والزعفراني تحريمه، وهو الظاهر من كلام أنس بن مالك، حيث قال: ما كنا نعرفه.

وكيف كان، كيف يدعى المس والتبرك عبادة مع أنه أبعد عن التعظيم؟! وقضية الدم على عبادة يعوق ويغوث ونسر، ليس من جهة التبرك، كما نص عليه المفسرون (١)، حيث قالوا: تبركت الآباء فانتهى الأمر إلى عبادة الأبناء، فوقع الدم على الأبناء.

وتحقيق الحال: أن التقبيل على أنحاء:

منها: تقبيل المحبة؛ لأن من أحب شخصاً أحب مكانه، وثيابه، وداره، ومزاره، فلا يكون تقبيل الأعتاب، والجدران، والأبواب إلّا كتقبيل بعض ثياب الأحباب، فهو من قبيل قوله:

أمر على الديار ديار (ليلي) أقبل ذا الجدار ولا الجدارا

وما حُب الديار شغفن قلبي ولكن حُب من سكن الديارا

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن تقبيل اليد، فنهى عن ذلك، إلّا في تقبيل يد الزوجة للشهوة، ويد الولد للمحبة.

ص: ١٠٧

وعن علي عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد فتح خيبر: لولا أن تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت اليوم فيك مقالماً، لا- تمر على ملا- من المسلمين إلّا أخذوا تراب رجليك، وفضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك أنك متي وأنا منك (١).

وروى عن علي عليه السلام أنه قال: قدم علينا أعرابي، بعد دفن النبي صلى الله عليه وآله بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على القبر، وحثاً من ترابه على رأسه.

وعلى كل حال، فالذي يظهر بعد تحقيق النظر أن التقييل للمحبة من قبيل تقييل الوالد لولده (٢)، والأرحام بعضهم لبعض فلو قبل بعضهم جدران بعض، أو ثياب بعض، أو مكان بعض، حباً وإرادة، لا تعظيماً ولا عبادة، فليس فيه بأس.

وأما قصد التعظيم والإكرام، فليس فيه خروج عن ملّة الإسلام، قصارى ما هناك أنه عدّه بعض العلماء من الآثام، فليس على الفاعل عن دليل في الردّ عليه من سبيل. وأما من فعل مشرعاً فهو عاصٍ لربه، حتى يتوب عن ذنبه.

ولقد نقل عن بعض أمراء دار السلام بغداد أنه وشى بعض الوشاة على جماعة أنهم يُقبلون أعتاب الأولياء، فقال: سبحان الله في كل يوم يقبلون جلد الميتة «يعنى الفروءة التي هو لا بسها»، ولا يقبلون أعتاب أبواب الأولياء.

وعلى أيّ تقدير، فالغرض إنّما هو نفى (التكفير). ونسبة فعل هؤلاء إلى فعل عبدة الأصنام خروج عن الإنصاف في هذا المقام؛ لأنّ الداهيين إلى الجواز منّا إنّما أخذوا عن الدليل، لا لمجرد الاختراع والابتداع، فإن اشتبهوا عُذروا وأُجروا.

فمن قبل الحجر الأسود، والركن اليماني، أو باقى الأركان، أو مسّها، أو لزم المستجار، فقد تبرّك بتلك الأحجار؛ لأنّها بأمرٍ من العزيز الجبار، ولو أخطأ

١- ١ نهج البلاغة ٢: ٤٤٩.

٢- ٢ فى النسخة المطبوعة: «الوالدة لولدها».

ص: ١٠٨

الأمر، كان مثاباً.

ومن طاف بين (المروتين)، عملاً بالكتاب وسنة سيد الثقلين، لم يكن عليه مؤاخذه في البين.

وطوائف المسلمين بأجمعهم لا يتبرك منهم أحدٌ بقبر أو غيره، إلّا بزعم أنّه مأمورٌ من الله، ومن تبرك قاصداً للعبادة، فهو خارجٌ عن ربة المسلمين.

ومن البين المعلوم أنّه لو أمر (المولى) عبده بالتبرك بشيأ عبده المقرب، أو مكانه، أو قبره، فامتثل، كان مطيعاً لمولاه، لا للعبد الذي قرّبه وأدناه.

فأقسمتُ عليك بمن جمع بيننا في كلمة الإسلام، وألف بين قلوبنا في هذه الأيام، أن تنفرد عن الأصحاب إذا ورد عليك (الكتاب)، وترى نفسك كأنك الآن خلقت من تراب، وتبذل الجهد في تمييز الخطأ من الصواب، فإنّه -والله (١)- لا حاجة بنا إلّا إليه، ولا اعتماد لنا إلّا عليه.

وليس لنا مع الأنبياء والأولياء قرابة نسب، ولا لهم علينا ما نخاف منه الطلب، وإنما عظمناهم لأمر الله، وأخذنا بأقوالهم عملاً بقول رسول الله، وما أبرئ نفسي إنّ النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربي.

وكشف الحال على وجه يدفع ما قيل أو يقال: إنّ التواضع والتبرك والإكرام والاحترام لما هو مُعظم عند الملك العلّام من تعظيم الله، كما أنّ قرآنه وبيته، ومساجده لا تتسابها إليه، احتراماً له تبارك وتعالى. فمن عظم عيسى ومريم وعزير لعبوديتهم، وقرب منزلتهم، فهو معظم لله.

كما أنّ من عظم بيت السلطان وعبده وغلّمانه وأتباعه من حيث التبعية، يكون معظماً للسلطان. وأما من (وجدّها) قابلةً للتعظيم، وأهلاً له من حيث ذاتها لأجل العبودية والتبعية، وإن كان غرضه التقريب زلفى، إنّما يكون معظماً لها، لا للسلطان.

ص: ١٠٩

وإني منذ ثلاثين حجة أنظر في حال طوائف المسلمين، محققهم ومبطلهم، فلم أجد أحداً يعظم كتاباً، أو نبياً، أو مكاناً، أو عبداً صالحاً من غير قصد قربة من الله، أو انتسابه إليه، فقد ظهر أن هذا كله من باب طاعة الله وتعظيمه.

وأما عبدة الأصنام والعباد الصالحين، فإنما أرادوا عبادتهم حق العباد، كأن يصلوا لهم، ويصوموا، ويكون ذلك لاستحقاقهم بربوبيتهم في أنفسهم، أو للتقريب زلفى، فهي عبادة حقيقته على الوجهين.

وعلى كل من الاحتمالين على أنني ذكرت مكرراً أنهم عاندوا الرسل، وكذبوهم، واستهزؤا بهم، وقالوا أيضاً: لا طاقة لنا بعبادة الله، وإنما نعبد الأصنام لأن عبادتهم مقدورة لنا، وهم يقربونا إلى الله زلفى، ولقد نقلت رواية مشتملة على ذلك المعنى في مقام آخر، فالفرق بين الأمرين أوضح مما يرى رأى العين.

فبحق من شق لك السمع والبصر، وسلطك على طوائف من الأعراب والحضر، أن توجه ذهنك الوقاد، وفكرك النقاد، صافياً عن ملاحظة العصبية والعناد، وتجعل مناظرتنا كأنها حين حلولنا في المقابر، وانصرافنا عن مرارة الدنيا، طالين للنعيم الفاخر، وحضورنا يوم فصل القضاء بين يدى جبار الأرض والسما، وكأن الملائكة بيننا شهود، وقد حضرنا فى اليوم الموعود، وقد فارقتنا الأموال والأولاد، وانقطعنا إلى رب العباد.

اللهم اجمع بيننا بالحق، واعصمنا عن الميل إلى رضا الخلق.

الباب الرابع: فى بناء قبور الأنبياء والأولياء وتعميرها وتعليه بنائها وتشيد أركانها

لا يخفى على من أمعن النظر، وتتبع الآثار والسير، أن الأزمنة مختلفة الأحوال بالنسبة إلى جميع الأقوال والأفعال، فرب شئ كان فى قديم الزمان فى أعلى مراتب الاستحسان، فانعكس وصار أدنى ما يكون أو كان.

وحيث إن الشارع حكيم، وبالعباد رحيم، يراعى أحوالهم، ففى مبدأ

ص: ١١٠

الإسلام لما كان المعاش ضيقاً، والأسعار متصاعدة في المآكل والملابس، حافظ النبي صلى الله عليه وآله، والصحابه في أيامهم على المآكل الجشبه، والملابس الخشنه أو الخلقه؛ لئلا تنكسر قلوب الفقراء، ولتطيب نفوسهم، فإنهم إذا رأوا سيد الجميع لابساً رثّ اللباس، وآكلًا أدنى المأكول، استقرت نفوسهم، واطمئت قلوبهم، وارتفعت كدورتهم.

ثم لما توسّعت أحوال الناس، وقوى الإسلام، ورخصت الأسعار، استعمل الأكثر من الخلفاء أحسن الملبوس، وأكلوا أطيب المأكول، وهذا التعليل مستفاد من الأخبار أيضاً.

ولذلك نقول في أمر بناء (المساجد) و (الحضرات)، فإنهم كانوا لا يرفعون البناء، ولا يزينون الدور، لما بهم من القصور، فإذا كانت بيوت الله، وبيوت أنبيائه لم يرفع بناؤها طابت نفوس الفقراء، واطمئت قلوبهم.

وأما في مثل هذه الأيام ونحوها، حيث ارتفع بناء الدور، فلا وجه لجعل بيوت الله أخفض منها، ومن يرضى بتعليه بيوت الخلق على بيوت الخالق مع أن في تعليتها تعظيماً لشعائر الله، وهي البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

و (القباب) منها؛ لأنها جعلت للعبادة، وليس في بناء القباب تجديد قبر، لأن القبر باقٍ على حاله لم يجدد، وإنما وضع أساس القبة بعيداً عنه، ليكون فيها علامة على (المزار) الذي ندب إلى زيارته العزيز الجبار، ولتكون ظلالاً للزائرين، فلا تدخل في باب التجديد أصلاً، وكذا صندوق الخشب، فإنه أجنبي عن القبر لا دخل له به.

وعلى كل حال، فأصل وضع البناء لهذه المقاصد الجليلة ليس بأس أصلاً، ولو تركت العلامات ما أمكن التوصل إلى زيارة أكثر الأموات لاندراست آثارهم، فوضع هذا للتمكن من إدراك فضيلة زيارة القبور، وكلما كان الشاهد أحكم، كانت دلالتة على المشعر أدوم.

ص: ١١١

وَأَمَّا قَضِيَّةُ (الزينة) فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ أَشَارُوا عَلَى عُمَرَ أَنْ يَأْخُذَ زِينَةَ الْكَعْبَةِ لِيَقْوَى بِهَا جِيُوشُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْأَمْوَالَ قَسَمَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَكَانَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْحَلِيَّ مَوْجُودَةً وَلَمْ يَقْسَمْهَا، فَلَا تَخَالَفْ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْلَاكَ افْتَضَحْنَا»، وَأَبْقَى الْحَلِيَّ عَلَى حَالِهَا. وَالْأَصْلُ فِي بِنَاءِ (القباب) وَتَعْمِيرِهَا، مَا رَوَاهُ الْبَنَانِيُّ (وَاعِظُ أَهْلِ الْحِجَازِ) عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لَهُ:

وَاللَّهُ لَتَقْتُلَنَّ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ، وَتَدْفَنَ بِهَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِمَنْ زَارَ قَبُورَنَا وَعَمَّرَهَا وَتَعَاهَدَهَا؟ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا الْحَسَنِ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ قَبْرَكَ وَقَبْرَ وَلَدِكَ بَقَاعًا مِنْ بَقَاعِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ قُلُوبَ نَجَبَاءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَصَفْوَةٍ مِنْ عِبَادِهِ تَحُنُّ إِلَيْكُمْ، وَيَعْمُرُونَ قَبُورَكُمْ، وَيَكْثُرُونَ زِيَارَتَهَا، تَقَرَّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَوَدَّةً مِنْهُمْ لِرَسُولِهِ.

يَا عَلِيُّ مَنْ عَمَّرَ قَبُورَكُمْ وَتَعَاهَدَهَا، فَكَأَنَّمَا أَعَانَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَى بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَنْ زَارَ قَبُورَكُمْ عَدَلَ ذَلِكَ ثَوَابَ سَبْعِينَ حَجَّةً بَعْدَ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ، وَخَرَجَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

وَنُقِلَ نَحْوُ ذَلِكَ أَيْضًا فِي حَدِيثَيْنِ مَعْتَبَرَيْنِ: نَقَلَ أَحَدُهُمَا الْوَزِيرُ السَّعِيدُ بَسْنَدًا، وَثَانِيَهُمَا بَسْنَدٌ آخَرُ غَيْرُ ذَلِكَ السَّنَدِ، وَرَوَاهُ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْفَضْلِ.

فَبَعْدَ دَلَالَةِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ عَلَى تَعْمِيرِ (القباب)، وَاسْتِمْرَارِ طَرِيقَةِ الْأَصْحَابِ، مَعَ أَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي الْمَوَاضِعِ الْمَعْدَّةِ لِلطَّاعَاتِ، كَالْمَسَاجِدِ، وَالْمَدَارِسِ، وَالرَّبَاطَاتِ، مَعَ أَنَّ فِيهَا تَعْظِيمًا لَشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَإِرْغَامًا لِمُنْكَرَى دِينِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَّا أَنَّ الْحُكْمَ وَالْمَصَالِحَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ، وَذَكَرْنَا اعْتِضَادَ ذَلِكَ بِالرَّوَايَاتِ، لَمْ يَبْقَ بَحْثٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ. وَعَلَى تَقْدِيرِ ثُبُوتِ الْخَطَأِ فِي هَذَا الْبَابِ، لَا يَلْزَمُ عَلَى الْمُخْطِئِ تَكْفِيرٌ

ص: ١١٢

ولا عصيان، بل ربّما يُثاب، لأنّ الخالي من التقصير وإن اتّصف بالقصور معذور كلّ العذر، بل هو مأجور. فيا أخي لا- تعارض المسلمين فيما هم عليه إن لم تركز إلى ما ركنوا إليه، واحملهم على المحامل الحسان، فإنّا هكذا أمرنا بحمل الاخوان، وفقنا الله وإياكم، وهدانا وهداكم، والله وليّ التوفيق.

وحيث انتهى ما أردنا ذكره، وأحبينا رسمه وسطره، على غايه من السرعة والاستعجال، وعدم التمكن لاستيفاء كثير ممّا يناسب هذا المجال، والاستقصاء لما في كتب الأخبار والاستدلال، أحببنا أن نضيف إلى ذلك:

كشفُ الجواب: عَمَّا تَضَمَّنَهُ ذلك الكتاب من الإنكار على أكثر المسلمين في جميع الأقطار (١).

أقول: إن أريد بدعوة غير الله والاستغاثة إسناد الأمر إلى المخلوق على أنّه الفاعل المختار الذي تنتهي إليه المنافع والمضارّ، فذلك من أقوال الكفار، والمسلمون بجملتهم براء من هذه المقالة ومن قائلها، وما أظنّ أنّ أحداً ممّن في بلاد المسلمين يرى هذا الرأي، ولا سمعناه من أحد إلى يومنا هذا.

وإن أريد أنّ المدعو والمستغاث به له اختيار وتصرف في أمر الله تعالى، فيحكم على الله، فهذا أشدّ كفراً من الأوّل.

وإن أريد دعاؤه والاستغاثة به للدعاء والشفاعة، أو من التصرف في العبارة، كما تقول: يا رحمة الله، يا بيت الله، يا عبد الله، ولا تريد إلّانداء الله ودعاءه، واستغاثته، فهذا من أعظم الطاعات، وفيه محافظة على الآداب من كلّ الجهات.

١-١ ورد في النسخة المطبوعة: والله الملهم للسداد والصواب، فنقول: أمّا ما ذكرت من الإنكار على كثير من الناس الاستغاثة بغير الله ودعوة غير الله.

ص: ١١٣

وكون الدُّعاء عبادة إنما يجرى في قسم منه، وهو الطلب من الخالق المدبّر الذي جلّ شأنه عن الأشباه والنظائر. ولو جعلت كلّ دعاء عبادة، للزم أنّ دعاء (زيد) لإصلاح بعض الأمور، أو دفع بعض المحذور، وطلب الأفعال، كلّها من قبيل الكفر. فالسؤال، والأزواج، والعبيد، والخُدّام في طلب المآكل والملابس مربوبون، ومقابلوهم أرباب، فيكون ذلك مكفراً، وإن أقررت بالتخصيص خصصناه بما ذكرناه.

وبيّانه: أنّ لفظ «الدُّعاء» لا يُراد به المعنى اللغوي، وإلّا لكفر جميع الخلق، فالمراد دعاء العبوديّة والمربوبيّة، كمن دعا الأصنام أو الصالحين، مع اعتقاد ربوبيّتهم، وقصد عبوديتهم، مكتفين بها عن عبادة الله، أو مشركين أولئك مع الله لقصد وصول النفع إليهم منهم، وليقرّبوا إلى الله زلفى.

وأما ما ذكرته من (النذر لغير الله تعالى) و (الذبح لغير الله)، وهذا أيضاً إن أريد أنّهم يذبحون مُهلّين باسم غير الله، أو يندرون تعبداً لغير الله. فذلك لم يصدر من أحد من المسلمين، وكلّ من فعل ذلك، فهم منه براء، سواء كان ذلك عبادة لغير الله، أو كان لأجل أن يقرب إلى الله.

وأما لو كان من باب إهداء ثواب المذبح والمنحور والمنذور إلى أولياء الله وعباده الصالحين، فهو من أعظم الطاعات، وأفضل القربات، وقد بيّنا ذلك في بعض المقامات.

قولك: إنّ ذلك حقيقة دين المشركين أعداء رسل ربّ العالمين، كقوم نوح وعاد وثمود، وقوم إبراهيم، فأخبر الله عنهم بذلك في كتابه المبين، حيث يقول وهو أصدق القائلين: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ (١) فأخبر الله أنّهم ما عبدوهم إلّا ليقربوهم إلى الله زلفى، وقال

ص: ١١٤

سبحانه وتعالى: مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى (١).

فتأمل كيف أخبر الله سبحانه عنهم أنهم ما قصدوا بعبادتهم غير الله إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ والشفاعة عنده، وإلَّا فهم مُقَرَّبُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَدْبِرُ لِأَمْرِ هَذَا الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، كما أخبر الله عنهم أنهم أَقْرَبُوا بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢).
أقول: إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ صَوَابٍ نَوْرًا، إِنَّ عَبْدَهُ غَيْرَ اللَّهِ قَدْ اتَّخَذُوا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ مَعَ اللَّهِ وَجَعَلُوا لَهُمْ أُنْدَادًا وَأَمْثَالًا لِلَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٣)

، وَقَالَ: فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا (٤)

، وَقَالَ: وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ (٥)

، وَقَالَ: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ (٦)

، وَقَالَ: يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ (٧)

، وَقَالَ: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ (٨).

ثم المذممة لم تكن على اعتقاد الشفاعة، أو التقرب زلفى، بل على العبادة بهذا

١- ١ سورة الزمر ٣٩: ٣.

٢- ٢ سورة يونس ١٠: ٣١.

٣- ٣ سورة المائدة ٥: ٧٦.

٤- ٤ سورة البقرة ٢: ٢٢.

٥- ٥ سورة الأنعام ٦: ١٠٠.

٦- ٦ سورة المائدة ٥: ٧٣.

٧- ٧ سورة المائدة ٥: ١١٦.

٨- ٨ سورة الأنعام ٦: ١٩.

ص: ١١٥

القصد، والمراد بالعبادة أعمال خاصّة كما بيّناه.

وقولك: «إنّ ذلك حقيقة دين المشركين، كقوم نوح وعاد وثمود» كيف ذلك، وقد أخبر الله عنهم بقوله: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، إِلَى قَوْلِهِ: فَزِدُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ (١)

. وأخبر عن قوم (عاد) أنّهم قالوا لهود: وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ (٢)

، وعن قوم صالح أنّهم قالوا له: أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا (٣)

، وعن قوم شعيب أنّهم قالوا له: أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا (٤)

، وعن قوم إبراهيم أنّهم كذبوا الرّسل؟

فهؤلاء الطوائف بصريح القرآن كذبوا الرّسل، وردّوا قولهم، وعاندوهم، فلو كانوا مقرّبين؛ لكانوا كفّاراً لكفر العناد ككفر إبليس. فيا أخى أقسمت عليك بمنّ خلّقنا من تراب، ثمّ أودعنا الأصلاب أن تترك الجدال، وتتأمل في حقيقة الحال، كيف تُشَبِّه أعمال المسلمين بأعمال عبدة الأصنام وغيرها مع أنّهم أنكروا نبوّة الأنبياء، وردّوا عليهم بعد أن أمروهم، ولم يسمعوا لهم قولاً، ولا قبلوا لهم فعلاً؟!

ثمّ إنّهم عبدوا طواغيتهم بالعبادة الحقيقيّة؛ لاعتقاد أنّ لهم تصرّفاً في الأكوان، أو في إرضاء الملك الدّيان، وإلّا لم يذمّهم الرحمن، ولا أنكر عليهم كلّ فعل كان.

ثمّ تعلّلوا بأنّ لا- نقدر على عبادة الله سبحانه، فنعبدهم ونكتفى بعبادتهم وهم يقربونا، كما أوردنا بذلك بعض الروايات في بعض المقامات.

وعلى كلّ حال، لا يتأمل مسلم في أنّ العبادة الحقيقيّة من الصلاة والصيام

١- ١ سورة إبراهيم ١٤: ٩.

٢- ٢ سورة هود ١١: ٥٣.

٣- ٣ سورة هود ١١: ٦٢.

٤- ٤ سورة هود ١١: ٧٨.

ص: ١١٦

وغيرهما لا- تكون لغير الله، فإن كان التصدق عن الأولياء والذبح لهم والنذر لهم عبادة، فنحن عبيد آبائنا وأمهاتنا وأمواتنا الذين نتصدق عنهم، أو ننذر لهم، ونذبح لهم.

وإن كان طلب الدعاء منهم ونذبتهم على الدعاء والشفاعة كفراً، فعلى الإسلام السلام، فإنه ليس في الوجود أحد لا يلتمس الدعاء من إخوانه، أو يستغيث بهم في طلب نجاته، وإن دعاء المؤمن للمؤمن أسرع للإجابة؛ لأنه دعاء بلسان لم يعص به. فإما أخى، المقاصد متفاوتة، وإنما الأعمال بالتيات ولكل امرئ ما نوى (١)، فرب كلمة ظاهرها الإسلام، تصير بالتيه كلمة كفر، وبالعكس.

وأما قولك: فإن الذى يفعل عندنا فى مشهد على رضى الله عنه من دعوة، واستغاثة، ورجاء، وخوف، وخشية. إنه ليس بعبادة، فإنهم ما قصدوا بدعوتهم (علياً) وغيره إلا ليشفع لهم عند الله.

فإن قلت: أولئك يدعون الأصنام، ونحن لا ندعو إلا الصالحين.

قلنا: وكذلك المشركون منهم يدعون الصالحين ويعبدونهم مع الله، كعيسى ومريم والملائكة.

فإن قلت: إن الدعوة لا تسمى عبادة.

قلنا: بل هى عبادة وأى عبادة، فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: الدعاء هو العبادة. ويلى قوله تعالى: اذعوني أستجب لكم (٢).

وأصل دين الإسلام هو إخلاص العبادة بجميع أنواعها من الذبح والدعوة، والنذر، والتوكل، والخشية، والرغبة، والإنابة، ولا يقبل الله من الأعمال إلا ما

١- ١ البخارى بدء الوحى، باب ١؛ وصحيح مسلم كتاب الأماره، باب ١٥٥؛ والنسائى كتاب الطهاره، باب ٥٩؛ وابن ماجه كتاب الزهد، باب ٢٦.

٢- ٢ سورة غافر ٤٠: ٦٠.

ص: ١١٧

اجتمع فيه شرطان:

الأول: ألا يعبد إلا الله وحده.

الثاني: ألا يعبد إلا بما شرع على لسان رسوله، كما قال الله تعالى: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١).

أقول: إن كان المدار على الصور دون الحقائق، فسجود الملائكة لآدم، وسجود يعقوب ليوسف، قاضٍ بأنهما عبدا غير الله. وإن قلت: بأن تعلق إرادة الشرع دفعت المنع. فقد أوردنا من الأخبار وكلام الصحابة ما يفيد عدم المنع، من أمثال الصور التي ذكرت. ثم بالله عليك أنصف، ما الفرق بين قول الصديق لصاحبه في السجن: اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ (٢)

وبين قولنا لرسول الله صلى الله عليه وآله: «اذكرني عند ربك»؟

ثم كيف باستغاثته ولي موسى (٣)، ولم يحكم عليه بالكفر؟! ثم كيف باستطعام موسى والخضر أهل القرية (٤)؟ ثم كيف يقول أصحاب موسى: لَنْ نَضْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ (٥)
؟ ثم ما معنى قول الأسباط ليعقوب: اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا فَقَالَ: سَوْفَ أَشْتَغِفِرُ لَكُمْ رَبِّي (٦)
!؟

وعلى كل حال، إن أريدت الحقائق في الاستغاثات والدعوات وغيرها، ففي ذلك خروج عن طريقة الإسلام، وإلا فلا بأس، وإلا للزم ألا يخرج من الكفر أحد

١- ١ سورة الكهف ١٨: ١١٠.

٢- ٢ سورة يوسف ١٢: ٤٢.

٣- ٣ إشارة إلى الآية ١٥ من سورة القصص: فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه.

٤- ٤ إشارة إلى قوله تعالى في سورة الكهف، الآية ٧٧: فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما.

٥- ٥ سورة البقرة ٢: ٦١.

٦- ٦ سورة يوسف ١٢: ٩٧.

ص: ١١٨

من العالم، ولا يمكنك والله ولا يسعك إلّا أن تقول إنّما يُراد دعاء خاصّ، واستغاثه خاصّة ونحو ذلك، فيرتفع المحذور. وأما مَنْ قصد حقيقة العبادة مع غير الله، ليتقرّب إلى الله زلفى، أو لغير ذلك، فهو خارج عن رتبة الإسلام. وما ذكرتم من أنّا نفرّق بين الصالحين وغيرهم، فمعاذ الله أن نفرّق بين مَنْ يعبد موسى أو محمّداً صلى الله عليه وآله، أو يناديهم ويدعوهم، أو يستغيث بهم أحياء وأمواتاً، ويلجأ إليهم على أنّ لهم الأمر أو ليقربوه زلفى، وبين مَنْ يعبد فرعون، وهامان، وإبليس. أين النفوس المقرونة بالأبدان التي تتغيّر من أدنى حوادث الزمان، ولا زالت مورداً للأمراض، ومحلاً للأغراض، لا تدفع شيئاً من حوادث الدهر، وليس لها في كلّ الأمور من أمر من رتبة المعبود. ومن لا يصلح لغيره الركوع والسجود، إنّما هم عبيد زادت علينا عبوديتهم، وخدام سبقت خدمتنا خدمتهم. فإن امرنا بتقريب بنائهم، أو تعظيم أبنائهم، أو التماس دعائهم، فعلنا امتثالاً لأمر ربنا، كما صنعنا ذلك في أحجار الكعبة وأركانها. وإن نهانا تركنا، إذ لا خوف إلّا من الله، ولا رجاء إلّاه. وأما قولك: إنّهُ قد ورد في الحديث عن الصادق الصدوق، قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة» (١).

وفي الحديث الثانى، قال: افترقت اليهود والنصارى عن اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الامة عن ثلاث وسبعين فرقة، كلّها فى النار إلّا واحدة.

وسئل عن الواحدة، فقال: ما أنا عليه اليوم وأصحابى (٢) (انتهى).

١- ١ سنن الترمذى ٥: حديث ٢٦٧٦؛ وسنن أبى داود ٤: حديث ٤٦٠٧، وسنن ابن ماجه ١: حديث ٤٢.

٢- ٢ كنز العمال ١: ١٠٦٠.

ص: ١١٩

أقول: اللهم إني رضىت بسنة الخلفاء الراشدين حكماً، وما عليه أصحاب محمّد متمسكاً وملتزمًا، فأحلّ ما أحلّوه، وأفعل ما فعلوه، وهذه أقوالهم وسيرتهم في هذه الرسالة أوضحتها، فلا أزيغ عنها، ولا أبعد مسافةً منها، فتتبع ما رويت من أخبارهم، وما نقلت من آثارهم، رزقني الله وإياكم حلاوة الإنصاف، وجنبنا مرارة الجدل والاعتساف.

وأما قولك: «فلا تغترّ بالكثرة وهذا الثابت عن نبيك، والله يقول: وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١)»

، وقال: إِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (٢)

. وفي الحديث: إِنْ بَعَثَ الْجَنَّةُ مِنَ الْأَلْفِ وَاحِدًا، فَأَنْتَ اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ، والمهدى من هداه الله، انتهى.

أقول: يا أخي، الوصية مشتركة بيني وبينك، فالذي علّى أَلّا تأخذني حمية الآباء والأجداد، وحبّ الطريقة المأنوسة بين العباد، بل أنظر بعين البصيرة وإخلاص السريرة.

وأما أنت فإنني أخشى عليك من حبّ الانفراد، حتّى لا تكون كبعض الآحاد، فإنّ الأصابع لم تنزل ممدودة إلى مَنْ ركب جادة غير معهودة، وقد ورد في المثل: (خالف تُعرّف).

ثمّ إنّي - والله - أخشى عليك من جهة أنك كنت خالي البال، بعيداً عن هذه المحال، فوردت عليك شبهات لم تستطع ردّها، وخيالات لم تبلغ حدّها، فكان الحال كما قال: (صادف قلباً خالياً فتمكّنا) (٣).

١- ١ سورة سبأ ٣٤: ١٣.

٢- ٢ سورة الأنعام ٦: ١١٦.

٣- ٣ إشارة إلى قول القائل:

عرفتُ هواها قبل أن أعرف الهوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكّنا

ص: ١٢٠

وأما اليوم، فليس لك عند الله عذر، فقد علمت بالأخبار، وسمعت بطريقة الخلفاء الأبرار، فأجدّ نظرك، واستعمل فكرك، واخلع عن نفسك ربة التقليد، واطلب من ربك التأييد والتسديد.

ثم ما ذكرت إنما يدلّ على أنّ الحقّ مع القليل من المكلفين لا- من المسلمين، فإنّ أكثر أهل الأرض كفّار من يهود، ونصارى، ومشركين، وجاحدين، وغيرهم، حتّى أنّ نسبة اقليم المسلمين إلى سائر الأقاليم أقلّ قليل.

فنحن نقول بأنّ من أطاع أكثر الخلق ضالّ، لأنّ أكثر الناس من أهل الكفر والضلال، وأنّ الشكور قليل، وأنّ بعث أهل الجنّة من الألف واحد، ولو استندت في هذا إلى حديث الفرق، فوحدة الفرق لا تنافي زيادة أفرادها على ألف فرقة.

والحقّ أنّه لا ملازمة بين القلّة والكثرة، وبين الحقّ والباطل، فكم من قليل هُدى إلى الصواب، وكثير حلّ عليه المؤاخذه والعقاب، وكم قد انعكس الأمر في هذا الباب، والمدار على طلب العصمة والنجاة من ربّ الأرباب، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

تمت على يد أقلّ العباد عملاً، وأكثرهم زللاً محمّد قاسم ابن شيخ محمّد بن حمزة الدلبزي في سنه ألف ومائتين وعشرة.

في رحاب آية الحجّ

ص: ١٢١

في رحاب آية الحج

محمد سليمان

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

هناك آيات قرآنية متعدّدة جاءت تخصّ الحجّ وجوباً وأحكاماً وآداباً وتاريخاً، وهي تدلّ على أهميّة هذه الفريضة ومكانتها في الإسلام وحتىّ في الديانات السابقة. كما تدلّ على فضل البيت الحرام وعظيم منزلته... ففى وجوبه آيات، وفى أحكامه آيات أخرى...

ونحن نقتصر الحديث عن آية واحدة من تلك الآيات، التي تخصّ وجوب الحجّ في بحث فقهي وتاريخي عند الفريقين، وهي:

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنَىٰ عَنِ الْعَالَمِينَ (١).

الحجّ لغّة: بفتح الحاء وكسرها وتشديد الجيم هو القصد مطلقاً، وبلوغ الفلاح كما عن الإمام الباقر عليه السلام: حجّ، بمعنى: أفلح (٢).

١- ١ آل عمران: ٩٧.

٢- ٢ انظر دائرة المعارف ١٥: ١٦، الأعلمی، طبعه طهران.

ص: ١٢٢

وهو تحقّق القدوم (١).

وطول التردّد (٢) على الديار أو الأشخاص إذ يقال: حجّ إلينا فلان أي قدم، وحجّه يحجّه حجّاً: قصّده... ورجل محجوج أي مقصود، وقد حجّ بنو فلان فلاناً: إذا أطالوا الاختلاف إليه (٣).

وقيل: الحجّ بالكسر، اسم الحجّ - المصدر - والحجّة بالكسرة، المرّة الواحدة وهو من الشواذ؛ لأنّ القياس بالفتح (٤).

إلّا أنّه لم يسمع من العرب على ما حكاه ثعلب، يدلّ على ذلك ذو الحجّة من أشهر الحجّ (٥).

إذ إنّ مصدر المرّة - حسب القواعد النحويّة - على صيغة فَعَلَه بالفتح، ومصدر الهيئته على صيغة فَعَلَه بالكسر.

الحجّ اصطلاحاً

فالحجّ في الاصطلاح الشرعي: هو قصد الكعبة المعظّمة وزيارة البيت الحرام، وأفعال وأعمال في الأزمنة المخصوصة تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى (٦).

وهناك إشارات تبين العلاقة بين الحجّ اصطلاحاً والحجّ لغّة، فقد أشار المطرزي إلى علاقة الاصطلاح بالدلالة اللغويّة الأولى، فقال: «غلب الحجّ على (قصد الكعبة) للنسك المعروف».

وقد صرح ابن منظور بهذه العلاقة إذ قال: «الحجّ قصد التوجّه إلى (البيت)

١-١ لسان العرب، لابن منظور ٢: ٢٢٦، طبعة بيروت.

٢-٢ المصدر نفسه.

٣-٣ المصدر نفسه.

٤-٤ المصدر نفسه.

٥-٥ انظر المطرزي في المغرب في ترتيب المغرب: ١٠٣ طبعة بيروت.

٦-٦ انظر دائرة المعارف للأعلمي: ٢٦٤.

ص: ١٢٣

بالأعمال المشروعة فرضاً وسنةً، تقول: حججت البيت أحجه حجاً إذا قصدته، وأصله من ذلك، ثم تعورف استعماله في القصد إلى (مكة) للنسك والحج إلى (البيت خاصة)» (١).

فيما قال الأزهرى: «الحج: قضاء (نُسك سَنَةٍ واحدة)، وبعض يكسر الحاء، فيقول: الحَجَّ والحِجَّة، وقرئ: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» (٢).

هذا وأنَّ القراءة بكسر الحاء لم تأت في القرآن الكريم، إلّا في هذه الآية كما سنرى عند التعرّض لقراءتها.

*** إعراب الآية

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنَىٰ عَنِ الْعَالَمِينَ
الواو: استئناف، والجملة بعدها مستأنفة.

للّ: جار ومجرور، خبر مقدّم.

على الناس: جار ومجرور متعلّق بما تعلّق به الخبر وهو للّ.

حجّ: مبتدأ مؤخّر مضاف والبيت مضاف إليه.

مَنْ: اسم موصول بمعنى الذى، بدل من الناس، بدل بعض من كلّ، وبدل البعض وبدل الاشتمال لابدّ في كلّ منهما من ضمير يعود على المبدل منه، نحو: أكلت الرغيف ثلثه، وسلب زيد ثوبه، وهنا الضمير غير موجود، وأُجيب عن هذا بأنّ الضمير هنا محذوف تقديره (منهم) من استطاع منهم.

وجملة استطاع صلة الموصول.

١- ١ لسان العرب ٢: ٢٢٦.

٢- ٢ المصدر نفسه.

ص: ١٢٤

إليه: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة ل (سيلاً) فلما تقدّمت عليه أعربت حالاً. والهاء في (إليه): الظاهر أوّلاً: عوده على الحجّ؛ لأنه مُحدّث عنه. والثاني: عوده على البيت. وإليه: متعلّق باستطاع.

سيلاً: مفعول به؛ لأنّ استطاع متعدّ بنفسه، قال تعالى: لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ (١). ومن: الواو عاطفة، من اسم شرط جازم، في محلّ رفع مبتدأ.

ويجوز أن تعرب مَن اسم موصول بمعنى الذي أي والذي كفر.

كفر: فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط والفاعل هو.

فإنّ: الفاء تعليل لجواب الشرط المقدر أي فلن يضّر الله، فإنّ الله عنه غنى.

والجملة بما أنّها صلة الموصول، فلا محلّ لها من الإعراب. وفعل الشرط وجوابه خبر للمبتدأ مَن.

وإنّ: الواو عاطفة، وإنّ من الحروف المشبهة بالفعل، والله اسمها، وغنى خبرها.

عن العالمين، جار ومجرور متعلقان بغنى..

المبالغات

وقد جيء في هذه الآية بمبالغات كثيرة:

منها: قوله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ.

يعنى أنّه حقّ واجب عليهم لله في زمانهم، لا ينفكّون عن أدائه، والخروج عن عهده.

ومنها: أنّه ذكر النَّاسِ ثمّ أبدل منهم مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

ص: ١٢٥

وفيه ضربان من التأكيد:

أحدهما: أنّ الإبدال تشنيّة المراد وتكرير له.

والثانى: أنّ التفصيل بعد الإجمال، والإيضاح بعد الإبهام، إيراد له فى صورتين مختلفتين (١).

ومنها: الألف واللام فى البيتِ جاءتا للعهد، لتقدّم ذكر البيت فى الآية السابقة: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِكَهْ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ.. (٢).

ومنها: أنّ (البيت) هنا علّم بالغلبة، كالثريا: نجم. فإذا قيل: «زار البيت»، فلا يتبادر الذهن إلّا إلى الكعبة شرفها الله تعالى (٣).

القراءة

قرأ أبو عمرو الناس بالإمالة.

حجّ: كما فى المصحف، بكسر الحاء، قرأها كلّ من حمزة والكسائي وحفص.

فيما قرأ كلّ من نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح الحاء.

ويقول الطبرسى: وقرأ أهل الكوفة غير أبى بكر وأبى جعفر حجّ البيت بكسر الحاء والباقون بفتحها.

وهناك من يقول: إنّ الفتح قراءة الجمهور فى جميع القرآن باستثناء كلّ من حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، فقرؤوا بالكسر.

فيما قرأ كلّ من الحسن وابن أبى إسحاق بالكسر فى جميع القرآن، أمّا نصّ المصحف ففى جميعه بالفتح إلّا هذه الآية بالكسر.

وهما لغتان بمعنى، الكسر لغّة نجد، والفتح لغّة أهل العالية، وقيل: هما لغتان لأهل الحجاز وبني أسد، فيما الفتح لغّة أهل نجد لا الكسر.

١- ١ انظر الزمخشري فى الكشاف ١: ٤٤٩.

٢- ٢ سورة آل عمران: ٩٦.

٣- ٣ انظر الدرّ المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٣: ٣٢١-٣٢٣.

ص: ١٢٦

فيما فَرَّقَ سيويوه بين القراءتين، فجعل المكسور مصدراً أو اسماً للعمل، وأما المفتوح فمصدر فقط (١).

وقت نزولها

اختلف فى وقت نزول هذه الآية وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ...، فذهب بعضهم إلى أنها نزلت فى السنة الثالثة من الهجرة الشريفة، أى بعد معركة أُحُد.

فيما ذهب آخرون إلى القول: إنها نزلت فى السنة التاسعة، عام الوفود، وهى السنة التى فرض فيها الحج.

والذى يبدو من تتبع تأريخ الحج، أنه مرَّ بمرحلتين، وأن هذه الآية كانت تشكّل الفاصل بين المرحلتين المذكورتين: فمرحلة قبل نزول هذه الآية.

والثانية بعد نزول هذه الآية.

فالمرحلة الأولى: كان الحج يؤدّى من قبل هذه الآية، استصحاباً للحنيفيّة، وإن كان لا يخلو من التقرب إلى الله تعالى، فقد كان حجّ النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين يتم وفقاً لهذا حتى ذكر أن النبي صلى الله عليه وآله حجّ مرتين وهو بمكة مع الناس، قبل الهجرة المباركة.

وأما المرحلة الثانية؛ فهى مرحلة وجوب الحجّ فى الشريعة الإسلامية، وأنه صار فرضاً من الفروض العبادية، وفرعاً من فروع الدين الجديد. حيث لا دليل يذكر على أن الحجّ كان وقوعه واجباً، إلّا بعد نزول هذه الآية.

وقد تمالأ علماء الإسلام - كما يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير - على الاستدلال بها على وجوب الحجّ، فلا يعدّ ما وقع من الحجّ قبل نزولها، وبعد البعثة، إلّا تحثّاً وتقرباً (٢).

١ - ١ انظر مجمع البيان للطبرسى، الوسيط فى تفسير القرآن المجيد للنيسابورى ١: ٤٦٧ الهامش، ومعجم القراءات القرآنية ٢: ٥٥، والدرّ المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٣: ٣٢١-٣٢٣ و ٢: ٣٠٤.

٢- ٢ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٣: ٢١.

ص: ١٢٧

فبنزول هذه الآية بدأت تأخذ هذه الفريضة وجوبها، وإن اختلف المفسّرون فى السنّة، التى فرض فيها الحجّ؛ فقل: سنّة خمس، وقيل: سنّة سبع، وقيل: سنّة تسع.

وهذه الأقوال الثلاثة ذكرها القرطبى فى أحكامه (١)، إلّا أنّه لم ينسب هذه الأقوال إلى أصحابها، سوى أنّه نقل ما ذكره ابن هشام عن أبى عبيدّ الوادى أنّه كان ذلك فى عام الخندق، بعد أن انصرفت الأحزاب خائبَةً من حيث أتت. وكان انصراف الأحزاب آخر سنّة خمس هجرية، وهناك رأى للشافعى كما فى مقدّمات ابن رشد يقتضى أن الحجّ كان وجوبه فى السنّة التاسعة...

إلّا أن القول الراجح هو أن دليل وجوب الحجّ هذه الآية وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

وبما أن نزولها كان فى السنّة الثالثة للهجرة، فإنّ هذه السنّة هى السنّة التى فرض فيها الحجّ، إلّا أنّهم وأقصد المسلمين لم يتمكّنوا من أدائها حتّى سنّة تسع أو سنّة عشر (٢)؛ لأنّهم محصورون من قبل المشركين عن أدائها حتّى تمّ لهم فتح مكّة..

*** نأتى الآن إلى الآية الكريمة بمقاطعها الثلاثة:

المقطع الأوّل: وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ.

المقطع الثانى: مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

المقطع الثالث: وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.

ولنبداً بالمقطع الأوّل، فهل يدلّ على وجوب الحجّ؟

بعبارة أخرى: لو تركنا نحن والآية بعيداً عن الروايات، فهل نستفيد من

١-١ أحكام القرآن للقرطبى ٤: ١٤٤ فى تفسير الآية.

٢-٢ انظر جامع الأحكام الفقهية للقرطبى ١: ٣٨٢ وغيره.

ص: ١٢٨

مقطع الآية الأول وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ الْوَجُوبُ؟

مِمَّا لا- ريب فيه أَنَّ الآية المذكورة تدلّ على الوجوب والإلزام خصوصاً إذا عرفنا أَنَّ التعبير القرآنى فى موارد التكليف الإلزامية، ألفاظه مختلفة، ففى مثل الصلاة نرى الآيات القرآنية تستعمل كلمة الإقامة للدلالة على وجوب هذا النوع من العبادات، والتي يُراد بها نفس إيجادها، كما فى: أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ... (١) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ.. (٢)

، ولذا يُقال فى فصول الإقامة: قد قامت الصلاة. وكذلك الحال فى الزكاة، التى تعبّر الآية عن إعطائها بالإيتاء وَآتَى الزَّكَاةَ (٣) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ (٤).

وفى هذه الآية وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ عبر عن وجوب الحجّ ب (اللّام وعلى)، وهو كالتعبير فى باب الدّين: لزيد على عمرو عشرة دنانير، أو لفلان على كذا..

فاللّام تدلّ على الإلزام والتوكيد، كما أَنَّ تقدّم ما من شأنه التأخير وهو الخبر يدلّ على التوكيد والحصر أيضاً حيث قدّم الخبر (لله) وتقديره حج البيت لله...

ولابدّ لنا من ذكر ما قاله صاحب كنز العرفان لما فيه من منافع علمية:

إنّه تعالى ذكر فى الآية أموراً من التوكيد لأمر الحجّ ما لم يذكره فى غيرها من وجوه:

الأول: إirاده بصيغة الخبر.

الثانى: إirاده فى صورة الاسمية.

الثالث: إirاده على وجه يفيد أنّه حقّ لله فى رقاب الناس.

١- ١ سورة هود: ١١٥.

٢- ٢ سورة الإسراء: ٧٨.

٣- ٣ سورة البقرة: ١٧٧.

٤- ٤ سورة السجدة: ٧.

ص: ١٢٩

الرابع: تعميم الحكم أولًا ثم تخصيصه وهو كإيضاح بعد إبهام وتثنية وتكرار للمراد، فهو أبلغ من ذكره مرة واحدة.

الخامس: تسمية ترك الحج كفرًا من حيث إنه فعل الكفرة، وأن تركه من أعظم الكبائر؛ ولذلك قال صلى الله عليه وآله: فليمت.

السادس: ذكر الاستغناء، فإنه فى هذا الموضع، يدلّ على شدّة المقت والخذلان وعظم السخط.

السابع: قوله: عن العالمين ولم يقل عنه؛ لما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان؛ لأنه إذا استغنى عن العالمين، فقد استغنى عنه لا محالة، ولأنه يدلّ على الاستغناء الكامل، فكان أدلّ على السخط (١).

ومما اشتملته الآية: وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ من توكيدات، يبين الرازى أقسامها بقوله:

أحدها: قوله: وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ والمعنى أنه سبحانه؛ لكونه إلهاً ألزم عبيده هذه الطاعة، فيجب الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها أو لم يعرفوا.

ثانيها: أنه ذكر الناس، ثم أبدل منه من استطاع إليه سبيلا، وفيه ضربان من التوكيد:

أما أولًا؛ فلأنّ الإبدال تثنية للمراد وتكرير، وذلك يدلّ على شدّة العناية.

وأما ثانيًا؛ فلأنه أجمل أولًا، وفصل ثانيًا، وذلك يدلّ على شدّة الاهتمام.

وثالثها: أنه سبحانه عبّر عن هذا الوجوب بعبارتين:

إحدهما: لام الملك فى قوله: وَلِلّٰهِ.

ص: ١٣٠

وثانيهما: كلمة (على) وهى للوجوب فى قوله: وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ.

ورابعها: أنّ ظاهر اللفظ يقتضى إيجابه على كلّ إنسان يستطيعه، وتعميم التكليف يدلّ على شدّة الاهتمام.

وخامسها: أنّه قال: ومن كفر مكان ومن لم يحجّ، وهذا تغليظ شديد فى حقّ تارك الحجّ.

وسادسها: ذكر الاستغناء، وذلك ممّا يدلّ على المقت والسخط والخذلان.

وسابعها: قوله: عن العالمين ولم يقل عنه؛ لأنّ المستغنى عن كلّ العالمين، أولى أن يكون مستغنياً عن ذلك الإنسان الواحد وعن طاعته، فكان ذلك أدلّ على السخط.

وثامنها: أنّ فى أوّل الآية قال: وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ فَيَبِّن أنّ هذا الإيجاب كان لمجرّد عزّة الإلهيّة وكبرياء الربوبية، لا لجرّ نفع ولا لدفع ضرر، ثمّ أكّد هذا فى آخر قوله: فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ^(١).

فيما يقول القرطبي فى أحكامه:

قوله تعالى: وَلِلّٰهِ [فى قوله تعالى: وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حُجٌّ...]

اللّام فى قوله ولله لام الإيجاب والإلزام، ثمّ أكّده بقوله تعالى: على، التى هى من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، فإذا قال العربى: لفلان على كذا، فقد وكّده وأوجبه.

فذكر الله الحجّ بأوكد ألفاظ الوجوب تأكيداً لحقّه وتعظيماً لحرمة ^(٢).

١-١ التفسير الكبير للفخر الرازى ٨: ١٦٥-١١٦ فى تفسير الآية.

٢-٢ جامع الأحكام الفقهيّة للإمام القرطبي، جمعه فريد عبد العزيز الجندى ١: ٣٨٠.

ص: ١٣١

فيما ذهب غيره إلى أن في هذه الآية صيغتين من الوجوب:

الصيغة الأولى: لام الاستحقاق.

الصيغة الثانية: على، التي تدل على تقرر حق في ذمة المجرور بها (١).

إذن فالآية نفسها تدل على وجوب الحج عند الفريقين.

والمهم أن هذه الآية هي آية وجوب الحج عند الجمهور، وقد ثبت فرضيته عندهم بالكتاب إضافة إلى السنة والإجماع، أما الكتاب

فقوله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (٢).

وإيجاب الحج على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع.

فقد ذكروا روايات عديدة بهذا الخصوص تدل على أن الحج فرض لمرة واحدة، وما زاد عن ذلك فهو تطوع، ومن تلك الروايات:

عن أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه وغيرهما أيضاً:

عن أبي هريرة أنه قال:

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

أيها الناس، إنَّه فرض الله عليكم الحج فحجوا.

فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو قلت: نعم؛ لوجبت، ولما استطعتم.

ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما

استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه.

وروى أحمد في مسنده، وأبو داود والنسائي وغيرهم عن ابن عباس أنه قال:

١- ١ التحرير والتنوير: ٢٣/٣.

٢- ٢ الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٦٣١.

ص: ١٣٢

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أيها الناس، إنّ الله كتب عليكم الحجّ، فقال الأقرع بن حابس: يا رسول الله، أفي كلّ عام؟ فقال: لو قلتها؛ لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها، الحجّ مرّةً، فمن زاد فهو تطوّع. هذا وأنّ الآية هل تدلّ على:

(١) تشريع جديد.

(٢) أو هي إخبار عن تشريع سابق؟

نكتفى هنا بما يقوله السيّد الطباطبائي في ميزانه:

والآية تتضمن تشريع الحجّ إمضاءً لما شرع لإبراهيم عليه السلام كما يدلّ عليه قوله تعالى حكايةً لما خاطب به إبراهيم وأذنّ في الناس بالحجّ... (١). ومن هنا يظهر أنّ وزان قوله: ولله على الناس حجّ... وزان قوله تعالى: ومن دخله كان آمناً في كونه إخباراً عن تشريع سابق، وإن كان من الممكن أن يكون إنشاءً على نحو الإمضاء، لكن الأظهر من السياق هو الأوّل.. (٢).

التفاتة جميلة!

مما يلفت النظر - في التعبير وكما يقول سيّد قطب - هذا التعميم الشامل في فريضة الحجّ على الناس.

ففيه:

أولاً: إحياء بأنّ هذا الحجّ مكتوب على هؤلاء اليهود، الذين يجادلون في توجّه المسلمين إليه في الصلاة. على حين أنّهم هم أنفسهم مطالبون من الله بالحجّ إلى هذا البيت والتوجّه إليه، بوصفه بيت أبيهم إبراهيم، وبوصفه أوّل بيت وضع للناس

١- ١ الحج: ٢٧.

٢- ٢ الميزان في تفسير القرآن للسيّد الطباطبائي ٣: ٣٩١ في تفسير الآية.

ص: ١٣٣

للعادة، فهم - اليهود - المنحرفون، المقصرون، العاصون!

وفيه:

ثانياً: إichاء بأن الناس جميعاً مطالبون بالإقرار بهذا الدين، وتأديته فرائضه وشعائره، والاتجاه والحج إلى بيت الله، الذى يتوجه إليه المؤمنون به... هذا وإلا فهو الكفر (١).

وقفه قصيرة

وهنا لابد لنا من وقفة، فقد استفاد بعضهم من هذه الآية شمول عمومها للناس جميعاً بما فيهم الكفار، وبالتالي فالحج واجب عليهم - وإن كان هناك بحث فى أنهم مكلفون بالفروع كما هم مكلفون بالأصول - ولعلّ حكمه شمولهم به كما يذهب إليه هذا الفريق - أن يكون موجباً لهدايتهم، وإن نوقش فى دلالة الآية نفسها عليهم من قبل فريق ثانٍ، بدعوى أنها وإن كان الخطاب الوارد فى نفسه عاماً، إلّا أن المنصرف من الآية أو من على الناس عرفاً، توجه الخطاب نحو المسلمين بالخصوص، كما هو حال الخطابات الصادرة ممن لهم أتباع مخصوصون، فخطابهم يتوجه أو ينصرف نحوهم دون غيرهم، وإن كان ظاهر خطابه العموم، وهناك ما يؤيد هذا الانصراف وهو امتناع تكليف الكافر، وهذا يصلح قرينة على تقييد المطلقات.

ويرد عليه:

أنه كيف يصح قياس خطاب الله تعالى خالق الناس جميعاً، وذى القدرة المطلقة غير المحدودة على خطاب مخلوق من مخلوقاته فينصرف خطابه هذا إلى أتباع وينحصر بهم، دون الآخرين، بحكم قدرته وسلطته المحدودة، أو أن يكون مساوياً له.

ص: ١٣٤

ثم هناك مصالح تترتب على فاعل هذه التكاليف، فلماذا يحرم الله تعالى كثيراً من مخلوقاته من رحمته وما أرسل رسوله إلّا رحمةً للعالمين، فلعلّ تكليفهم يكون موجباً لهدايتهم، وقد يسعون لإزالة أى مانع عن هذه الهداية كالكفر إذا ما عرفوا أنّ السماء لم تمنع رحمتها لهم رغم كفرهم بها وتمردهم عليها...؟!

ثم هي بيان آية ثالثة من آيات هذا البيت، جاءت بصيغة الإيجاب والفرضية في معرض ذكر مزاياه ودلائل كونه أول بيوت العبادة المعروفة للمعتزين من اليهود على استقبال المسلمين له في الصلاة.

فهو يفيد بمقتضى السياق معنىً خبرياً، وبمقتضى الصيغة معنىً إنشائياً، وهو وجوب الحج على المستطيع من هذه الأمة. يقول محمّد عبده: هذه الجملة - وإن جاءت بصيغة الإيجاب - هي واردة في معرض تعظيم البيت، وأى تعظيم أكبر من افتراض حج الناس إليه؟! وما زالوا يحجّونه من عهد إبراهيم إلى عهد محمّد صلى الله عليهما وعلى آلهما وسلّم. ولم يمنع العرب من ذلك شركها، وإنما كانوا يحجّون عملاً بسنة إبراهيم.

يعنى أنّ الحجّ عمل عام جروا عليه جيلاً بعد جيل على أنّه من دين إبراهيم، وهذه آية متواترة على نسبة هذا البيت إلى إبراهيم. ثالثاً: وبما أنّ على الناس جاء يحمل العموم كما قلنا، فهو يشمل كلّ فرد يدخل تحت عنوان الناس ذكوراً أو إناثاً وحتى الخنثى، إلّا أنّ هذا العام خصّ بأمرين:

الأمر الأول: وهو أمر عقلي، يتلخّص باستحالة تكليف غير العاقل، والتكاليف الشرعية مبنية على ذلك.

الأمر الثانى: وهو أمر نقلى، ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله من حديث الرفع:

«رفع القلم عن ثلاثة عن الصبى والمجنون حتى يفيق والنائم حتى ينتبه» (١).

ص: ١٣٥

فخرج هؤلاء جميعاً عن هذا الوجوب وعمومه.

وأيضاً يخرج عن هذا الوجوب العبد فهو محجور عليه وبالتالي لا قدرة له على التصرف فى نفسه، فلا يكون مستطيعاً والاستطاعة شرط فى الوجوب.

إلّا على من ملك مائتى درهم؟ (١) إلّا أنّ هذه الرواية لا تخلو من المناقشة عندهم، ممّا جعل الفريق الأوّل يحملها- على تقدير صحّة سندها- على ما يمّون به عياله لذهابه وإيابه.

ثمّ إنّ الزاد والراحلة لا- يشترط ملكهما، بل يكفى التمكن من الانتفاع بهما، فلو بذلها باذل له، وجب عليه الحجّ لصدق الاستطاعة عليه.

نأتى إلى المقطع الثانى من الآية: من استطاع إليه سبيلاً.

فلاستطاعة تعدّ من شروط وجوب الحجّ باتّفاق جميع المذاهب الإسلامية، ولا خلاف بينهم فى ذلك، وإن وقع كلام بينهم فى المراد منها وفى تفسيرها وتفصيلها، واختلفوا فى بعض مصاديقها ووجوها وحدودها كالمرأة والأعمى..

نبدأ أولاً بالمذاهب الاخرى غير الإمامية، وبالروايات ثمّ بالمفسرين قبل الفقهاء ..

السيبل لغّة

السيبل: الطريق، قال تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي، وقال أيضاً: وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا أَى طريقاً.

السيبل: الحيلة، ومنه قوله تعالى: فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا أَى لا يستطيعون فى أمرك حيلة.

وبما أنّ الحيل: القوّة، ومنه: وماله حيل أَى قوّة، وكذلك الحيل والحول:

ص: ١٣٦

يقال: لا حيل ولا قوّة إلّا بالله لغه فى لا حول ولا قوّة وفى الدّعاء الذى يرويه ابن عباس عن النّبى صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ ذا الحيل الشديد» أى ذا القوّة.

والسبيل: السبب والوصله يا ليتنى اتّخذت مع الرّسول سبيلاً أى سبباً ووصله.

وأنشد أبو عبيده لجرير:

أفبعد مقتلكم خليل محمّد ترجو القيون مع الرسول سبيلاً؟

أى سبباً ووصله.

يقول صاحب تفسير المنار: استطاعة السبيل: فهى عبارة عن القدرة على الوصول إليه، وهى تختلف باختلاف الناس فى أنفسهم، وفى بعدهم عن البيت وقربهم منه، وكلّ مكلف أعلم بنفسه - وإن كان عامياً - من غيره وإن كان عالماً تحريراً...

ثمّ يقول: وما زاد الناس اختلاف العلماء فى تفسير الاستطاعة إلّا بعداً عن حقيقتها الواضحة من الآية أتمّ الوضوح.

ثمّ راح يذكر الأقوال: دون أن يذكر أصحابها.

إذ قال بعضهم: إنّ الاستطاعة صحّة البدن والقدرة على المشى.

وقال بعضهم: بأنّها القدرة على الزاد والراحلة.

واشترطوا فيها: أمن الطريق، ولم يشترطوا الأمن فى أرض الحرم؛ لأنّها كانت آمنة قطعاً...

وفى الاستطاعة يقول محمّد عبده: من استطاع إليه سبيلاً: أنّه بيان لموقع الإيجاب ومحله، وإعلام بأنّ الفرضية موجّهة أولاً وبالذات إلى

هذا العمل، ولكن الله رحم من لا يستطيع إليه سبيلاً.

ثمّ قال: والاستطاعة تختلف باختلاف الأشخاص.

ص: ١٣٧

فيما يقول الرازى فى تفسير هذه الآية:

استطاعة السبيل إلى الشىء عبارة عن إمكان الوصول إليه.

قال تعالى: فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١).

وقال: هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٢).

وقال: مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ (٣).

ثم واصل قوله: فيعتبر فى حصول هذا الإمكان صحّة البدن، وزوال خوف التلف من السبع أو العدو، وفقدان الطعام والشراب، والقدرة على المال الذى يشتري به الزاد والراحلة، وأن يقضى جميع الديون، ويرد جميع الودائع، وإن وجب عليه الإنفاق على أحد، لم يجب عليه الحجّ، إلّا إذا ترك من المال ما يكفيهم فى المعىء والذهاب (٤).

وذكر الجصاص فى أحكامه بعد ذكره للآية المباركة... قال: هذا ظاهر فى إيجاب فرض الحجّ، على شريطة وجود السبيل إليه. والذى يقتضيه من حكم السبيل أن كلّ من أمكنه الوصول إلى الحجّ، لزمه ذلك إذا كانت استطاعة السبيل إليه هى: إمكان الوصول إليه، كقوله تعالى:

فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (٥)

يعنى: من وصول، و هل إلى مرد من سبيل (٦)

يعنى من وصول (٧).

١- ١ سورة غافر: ١١.

٢- ٢ سورة الشورى: ٤٤.

٣- ٣ سورة التوبة: ٩١.

٤- ٤ الفخر الرازى فى تفسيره للآية.

٥- ٥ سورة غافر: ١١.

٦- ٦ سورة الشورى: ٤٤.

٧- ٧ أحكام القرآن للجصاص ٢: ٣٦ وانظر تفسير الطبرى، الآية.

ص: ١٣٨

الاستطاعة والمذاهب الإسلامية:

الإمامية:

يقول صاحب كنز العرفان بعد أن يذكر الاستطاعة عند غيرهم من فقهاء الفرق الإسلامية الأخرى، وبعد أن يذكر الحديث القائل: الاستطاعة: الزاد والراحلة... ثم يصل إلى قول أبي حنيفة: إنها مجموع الأمرين، فلم يوجب إلّا على من قدر على الزاد والراحلة ونفقة الذهاب والإياب فاضلاً عن حوائجه الأصلية ونفقة عياله إلى حين عوده.

بعد أن ينقل هذا عنهم يقول: وبذلك قال أصحابنا الإمامية. غير أن بعضهم يشترط مع ذلك الرجوع إلى كفاية من مال أو صناعة أو حرفة.

وينقل دليل هؤلاء، فيقول: ويحتج أي هذا البعض من فقهاء الإمامية بما رواه أبو ربيع الشامي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه سئل ما الاستطاعة؟

فقال: ما يقول هؤلاء؟

فقال: يقولون: الزاد والراحلة.

فقال عليه السلام: قد قيل ذلك لأبي جعفر عليه السلام، فقال: هلك الناس إذن، إذا كان من له زاد وراحلة لا يملك غيرهما، ممّا يُمون به عياله، ويستغنى عن الناس، يجب عليه الحجّ، ثم يرجع فيسأل الناس بكفّه فقد هلك إذن.

فقال له: ما السبيل عندك يا بن رسول الله؟

فقال: السعة في المال، وهو أن يكون له ما يحجّ ببعضه، ويبقى بعضه يُمون به عياله.

ثم قال: أليس قد فرض الله الزكاة، فلم يجعل إلّا على من ملك مائتي درهم؟!

وعلى فرض صحّة السند، الذي ذهب بعضهم إلى صحّته؛ لاعتماد القوم عليه، ولأنّه رواه المشايخ الثلاثة، تحمل الرواية على أن يبقى له ما يُمون به عياله لذهابه وإيابه.

ص: ١٣٩

ولكن مع هذا، يغضون النظر عن هذه الرواية وما يترتب عليها، ويلتزمون بالأول أى الزاد والراحلة ونفقة الذهاب والإياب فاضلة عن حوائج الأصلية ونفقة عياله إلى حين عودته..

ثم هناك من لم يشترط ملك الزاد والراحلة، بل يكفى فيهما التمكن من الانتفاع بهما، لهذا صحّحوا مسألة البذل، فلو بذل باذل له، وجب عليه الحج، لحصول الاستطاعة بذلك.

فيما ذهب كل من أبى حنيفة وأحمد ومالك إلى عدم وجوب الحج إذا ما بذل له. وكان للشافعى قولان فى ذلك (١).
الحنفية:

والاستطاعة عندهم أنواع ثلاثة:

البدنية: وتعنى صحّة البدن فلا حجّ على المريض، والأعمى وإن وجد قائداً، والشيخ الكبير، والممنوع من قبل السلطان... لأنّ المراد من الاستطاعة عندهم استطاعة التكليف وهى تتضمن سلامة الأسباب ووسائل الوصول، مستنديين فى هذا إلى ما فسّره ابن عباس من استطاع إليه سبيلاً أنّ السبيل: أن يصحّ بدن العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يحجب.

المالية: وهى ملك الزاد والراحلة ذهاباً وإياباً زائداً عن حاجة مسكنه وأثاثه وخادمه.. ونفقة عياله الملزم بنفقتهم إلى حين عودته. الأمنية: أى أن تكون طرق الحج آمنة تغلب عليها السلامة ولو بالرشوة، وبالتالي لا تثبت استطاعة الحج بدون الأمن، وهى شرط وجوب عندهم، وإن نقل عن أبى حنيفة أنّه شرط أداء... (٢).

١- ١ انظر كنز العرفان ١: ٢٦٥-٢٦٦.

٢- ٢ انظر الفقه الإسلامى وأدلّته للزحيلي ٣: ٢٦-٢٧، والفقه على المذاهب الأربعة للجزيرى ١: ٦٣٣.

ص: ١٤٠

الشافعية:

وعندهم الاستطاعة تتشكّل من:

القدرة البدنية: أى أن يكون صحيح الجسد، وعلى الأعمى الحجّ والعمرة إن وجد قائداً، والمحجور عليه بسفه يجب عليه الحجّ كغيره، لكن لا- يدفع المال إليه لئلا يبذره، بل يخرج معه الولي بنفسه إن شاء؛ لينفق عليه فى الطريق بالمعروف، أو يرسل الولي شخصاً ثقة ينوب عنه ليصرف عليه ولو بأجرة، إذا لم يجد متبرّعاً ينفق عليه بالمعروف.

القدرة المالية: وتتحقّق بوجود الزاد ومؤونة ذهابه لمكة وإيابه، ويكونان فاضلين عن مسكنه اللائق ودينه الحال أو المؤجل، وعمّن تلزمه نفقته مدّة ذهابه وإيابه لئلا يضيعوا، وقد قال صلى الله عليه وآله: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت».

الاستطاعة الأمنية: الأمن العام وإلا لم يجب عليه لحصول الضرر...

الحنابلة:

الاستطاعة المشترطة عندهم هى القدرة على الزاد والراحلة، انطلاقاً ممّا روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنّه فسّر الاستطاعة بالزاد والراحلة، فقد سئل النبى صلى الله عليه وآله: ما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة، أو ما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة.

والزاد ما يحتاج إليه ذهاباً وإياباً... وزائداً عن حاجة عياله، واتفق كلّ من الشافعية والحنابلة على أنّه لا يلزم الحجّ إذا بذل المال ولد أو أب أو أجنبى، ولا يجب قبوله لما فى قبول المال من المنّة.

المالكية:

والاستطاعة التى يأخذون بها: هى إمكان الوصول إلى مكة بحسب العادة، إمّا ماشياً وإمّا راكباً، أى الاستطاعة ذهاباً فقط، ولا تعتبر الاستطاعة عندهم فى الإياب، إلّا إذا لم يمكنه الإقامة بمكة أو فى أقرب بلد يمكنه أن يعيش فيه، ولا يلزمه الرجوع لخصوص بلده، وأيضاً تتحقّق هذه الاستطاعة فى مذهبهم ب:

ص: ١٤١

(١) قوّة البدن أى بالقدره على المشى وهو ممّا تفرّدوا به، حتّى أنّ الأعمى القادر على المشى، يجب عليه الحجّ إذا ما وجد قائداً يقوده.

(٢) وجود الزاد بحسب أحوال الناس وعوائدهم، ويقوم مقام الزاد الصنعة إذا كانت لا تزرى بصاحبها وتكفى حاجته.

وهذا يدلّ على أنّ المالكيّة لم يشترطوا الزاد والراحلة بالذات، فالمشى يغنى عن الراحلة لمن قدر عليه، والصنعة التى تدرّ ربّحاً كافياً تغنى عن اصطحاب الزاد أو النفقة.. وتتحقّق الاستطاعة عندهم بالقدره على الوصول إلى مكّته ولو بثمن شىء يباع - وحتّى لو صار فقيراً بعد حجّه، أو ترك أولاده ومن تلزمه نفقته عرضةً للصدقة عليهم من الناس، إلّا إذا خشى عليهم الهلاك أو أذى شديداً، فلو توفّر السبيل بحراً أو برّاً أو جوّاً بشرط السلامة فيه غالبه وجب الحجّ وإلّا لا يجب إن لم تغلب السلامة على النفس والمال.

المقطع الثالث:

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

مميّالاً - خلاف فيه بين المسلمين جميعاً علماء وغيرهم، أنّ الحجّ فريضة واجبة، وضرورة من ضروريات الدين، وركن من أركان الإسلام، تماماً كالصلاة والصيام...

إلّا أنّ الذى يستوقفنا فى هذا المقطع من الآية هو: كلمة الكفر الواردة فيه.

فما معنى الكفر؟

الكفر لغة: ضدّ الإيمان، وقد كفر بالله، أى لم يؤمن بوحدانيّته، مأخوذ من كفر الشىء يكفره كفراً: ستره، والكفر: الجحود أى جحود النعمة، وهو ضدّ الشكر، ومنه كفر نعمة الله وبها: جحدها، وسترها، أو الستر على الحقّ، فهو

ص: ١٤٢

كافر، وكفار وكفور مبالغه... (١).

ومنها: أن الكفر هو الرد والآية تحتمله، وعلى حسب الموارد تتعين له مصاديق.

وورد عن ابن عباس والحسن أن معناه من جحد فرض الحج ولم يره واجباً (٢).

وبخصوص فإن الله غنى عن العالمين أى لم يتعبد لهم الله تعالى بهذه العبادة - كما هو الحال فى غيرها من العبادات - لأنه فى حاجه إليها، وإنما أمرهم بالعبادات، وبهذه العبادة، الحج، لأنه يعلم أن فيها تتحقق مصالح للناس جميعاً ومنافع كبيرة، وفيها صلاحهم فى الدنيا ونجاتهم فى الآخرة، ولهذا فالحج جاء فريضة عامة للناس جميعاً لا يستثنى منها إلأذو عذر، أو من سقط عنه التكليف لأسباب.. ولهذا قيل: إن المعنى بالآية ومن كفر... اليهود وهم طائفة من الناس المأمورين بالحج، فإنه لما نزل قوله وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ.

قالوا: نحن مسلمون فأمرنا بالحج، فلم يحجوا.

وعلى هذا - كما يقول الطبرى - يكون معنى من كفر: من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر، والله غنى عن العالمين.

وقيل المراد به - والكلام للطبرى - كفران النعمة؛ لأن امتثال أمر الله شكر لنعمة.

وقد روى عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: من لم يحجسه حاجة ظاهرة من مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً.

وروى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحج والعمرة ينفيان الفقر

١- ١ انظر المختار من صحاح اللغة، مادة كفر، ٤٥٤، والإفصاح فى فقه اللغة ٢: ١٢٥٩.

٢- ٢ انظر مجمع البيان للطبرى ٢: ٧٩٩ فى تفسير الآية.

ص: ١٤٣

والذنوب، كما ينفى الكير خبث الحديد.

ثم يقول الطبرسى: إنّ فى هذه الآية دلالة على فساد قول من قال: إنّ الاستطاعة مع الفعل؛ لأنّ الله أوجب الحجّ على المستطيع، ولم يوجب على غير المستطيع، وذلك لا يمكن إلّا قبل فعل الحجّ (١).

فيما ذهب السيد الطباطبائي إلى أنّ الكفر هذا هو الترك، وهو نظير الكفر بترك الصلاة والزكاة..

ثم يواصل كلامه بقوله: والكلام من قبيل وضع المسبّب أو الأثر مقام السبب أو المنشأ، كما أنّ قوله: فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ... من قبيل وضع العلة موضع المعلول، والتقدير: ومن ترك الحجّ فلا يضّرّ الله شيئاً فإنّ الله غنى عن العالمين (٢).

وقد يكون بمعنى الترك وهو ما ورد عن الإمام الصادق - كما فى تفسير العياشى - ومن كفر، قال: الترك. ورواه الشيخ الطوسى فى تهذيبه: وقد عرفت أنّ الكفر ذو مراتب كالإيمان، وأنّ المراد منه الكفر بالفروع.

وفى الكافى عن على بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام، فى حديث، قال: قلت:

فمن لم يحجّ منّا فقد كفر؟

قال: لا، ولكن من قال: ليس هذا هكذا، فقد كفر.

أمّا سيد قطب فيقول، وقد ذكرنا قسماً ممّا استوحاه من الآية:

بأنّ الناس جميعاً مطالبون بالإقرار بهذا الدين، وتأديّة فرائضه وشعائره، والاتجاه والحجّ إلى بيت الله الذى يتوجّه إليه المؤمنون به.. هذا وإلّا فهو الكفر، مهما ادّعى المدّعون أنّهم على دين!

ثم يواصل كلامه بقوله:

١- ١ مجمع البيان للطبرسى ٢: ٧٩٩- ٨٠٠.

٢- ٢ الميزان فى تفسير القرآن ٢: ٣٩١ فى تفسير الآية.

ص: ١٤٤

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ فما به حاجة - سبحانه - إلى إيمانهم وحجهم. إنما هي مصلحتهم وفلاحهم بالإيمان والعبادة (١).

سبب النزول:

ذكر بعض المفسرين أن سبب نزول هذا المقطع من الآية هو أنه بعد نزول المقطع وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وكلمة الناس الواردة في الآية كلمة عامة تشمل جميع الناس بكل أديانهم وطوائفهم... وكما عن الضحّاك ورواه أحمد ومسلم والنسائي - جمع الرسول صلى الله عليه وآله أهل الأديان الستة:

المسلمين، والنصارى، واليهود، والصابئين، والمجوس، والمشرّكين فخطبهم وقال:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحَجُّوا».

فآمن به المسلمون، وكفرت به الملل الخمس، وقالوا: لا نؤمن به، ولا نصلي إليه، ولا نحجّه، فأنزل الله تعالى: وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٢).

ويعقب الرازي قائلاً: وهذا القول هو الأقوى.

فيما هناك قول آخر أو سبب لنزول الآية وهو أنه لما نزلت وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا....

قالت اليهود: فنحن مسلمون.

فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: فرض الله على المسلمين حج البيت، فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجّوا، فأنزل الله: وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٣).

*** هذا وأن الكفر المذكور في الآية، اختلفت أقوالهم فيه:

فبعضهم عدّه من النوع الثاني: الجحود، أي من جحد فرض الحج ولم يره

١- ١ انظر في ظلال القرآن ٢: ٤٣٥.

٢- ٢ التفسير الكبير للرازي.

٣- ٣ انظر التفسير المنير ٤: ١٢.

ص: ١٤٥

واجباً، عن ابن عباس والحسن (١).

فيما قال الحسن البصرى وفريق معه فى أن من ترك الحجّ وهو قادر عليه فهو كافر (٢).

وللفخر الرازى تفصيل لطيف بهذا الخصوص، فيقول بعد أن يذكر الآية:

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنَىٰ عَنِ الْعَالَمِينَ:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: فى هذه الآية قولان:

أحدهما: أنّها كلام مستقلّ بنفسه، ووعيد عام فى حقّ كلّ من كفر بالله، ولا تعلق له بما قبله.

القول الثانى: أنّه متعلّق بما قبله، والقائلون بهذا القول:

منهم: من حمّله على تارك الحجّ.

ومنهم: من حمّله على من لم يعتقد وجوب الحجّ.

أمّا الذين حمّلوه على تارك الحجّ، فقد عوّلوا فيه على ظاهر الآية. فإنّه لما تقدّم الأمر بالحجّ، ثمّ أتبعه بقوله: ومن كفر فهم منه أنّ هذا

الكفر ليس إلّا ترك ما تقدّم الأمر به، ثمّ إنّهم أكّدوا هذا الوجه بالأخبار.

روى عن النبىّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من مات ولم يحجّ، فليمت إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً».

وعن أبى أمامة قال: قال النبىّ صلى الله عليه وآله: «من مات ولم يحجّ حجّة الإسلام، ولم تمنعه حاجة ظاهرة، أو مرض حابس، أو

سلطان جائر، فليمت على أىّ حال شاء يهودياً أو نصرانياً».

١- ١ انظر مجمع البيان للطبرسى ٢: ٧٩٩.

٢- ٢ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٤: ١٥٣.

ص: ١٤٦

وعن سعيد بن جبير، لو مات جار لى، وله ميسرة، ولم يحجّ، لم أصل عليه.

ثم يذكر الرازى سؤالاً: فإن قيل: كيف يجوز الحكم عليه بالكفر بسبب ترك الحجّ؟

ويذكر جواب القفال عن ذلك: يجوز أن يكون المراد منه التغليظ، أى قد قارب الكفر، وعمل ما يعمل من كفر بالحجّ، ونظيره قوله

تعالى: وَبَلَغْتُ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ (١)

أى كادت أن تبلغ، ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام: «من ترك صلاةً متعمداً فقد كفر»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «من أتى امرأة حائضاً أو فى دبرها فقد كفر».

ثم يردف الرازى قائلاً: وأما الأكثرون: فهم الذين حملوا هذا الوعيد على من ترك اعتقاد وجوب الحجّ.

صاحب المنار:

وقوله تعالى: وَمَنْ كَفَرَ...

تأكيد لما سبق، ووعيد على جحوده، وبيان لتنزيه الله تعالى بإزاله ما عساه يسبق إلى أوهام الضعفاء عند سماع نسبة البيت إلى الله، والعلم بفرضه على الناس أن يحجّوه من كونه محتاجاً إلى ذلك.

فالمراد بالكفر: جحود كون هذا البيت أول بيت وضعه إبراهيم للعبادة الصحيحة، بعد إقامة الحجج على ذلك، وعدم الإذعان لما فرض الله من حجّه والتوجه إليه بالعبادة، هذا هو المتبادر.

ثم قال بعد هذا: وحمله بعضهم على الكفر مطلقاً، على أنه كلام مستقل لا متمم لما قبله. وهو بعيد جداً.

وبعضهم على ترك الحجّ وهو بعيد أيضاً، وإن دعموه بحديث أبى هريرة

ص: ١٤٧

مرفوعاً «من مات ولم يحجّ فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً».

ثم راح ينقل بعض الأحاديث التي يدعمون بها قولهم هذا، ولم يظهر تأييده لها، بل راح يظهر ضعف سندها ومنتها (١).
 فيما ذكر الزحيلي في تفسيره؛ أن الجمهور حملوا ذلك على تارك الحجّ إعراضاً عنه مع توافر الاستطاعة، وراح ينقل بعض رواياتهم التي تعضدهم فيما ذهبوا إليه فيقول: روى الترمذي - ولم ينس أن يذكر أن فيه ضعفاً - «من مات ولم يحجّ، فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»، وبدليل ما روى عن الضحّاك في سبب النزول... (٢).
 إذن فإنّ عدم امتثال المكلف الحجّ وقد توفّرت شروطه لديه، ودون أن يكون عنده عذر معقول يمنعه عن أدائه، فإنّه يعدّ جاحداً له ممتنعاً عن أدائه وقد يكون راداً لهذا الوجوب، وهو ما يوصف بالكفر.

١- ١ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٤: ٩-١٢.

٢- ٢ التفسير المنير ٤: ١٥.

ص: ١٤٨

خير؛ ذات الحصون والنخيل

خير ذات الحصون والنخيل

خير ذات الحصون والنخيل

عائق بن غيث البلادي

الفصل الأول:

موقع خير وتأريخها

موقع خير:

تقع خير شمال المدينة المنورة، على نحو (١٦٠) كيلاً. ويشقّ خير الطريق المزفّت، بين المدينة المنورة وتبوك. ومنها إلى تبوك نحو (٥٤٤) كيلاً. والطريق التي تمرّ في خير تستمرّ إلى تبوك فعمّان فدمشق، فإلى تركيا.

تاريخ خير:

من نافله القول: إنّ خير وجدت بهذا التكوين، منذ أن خلق الله السماوات والأرض. غير أنّ تاريخها الموهل في القدم لم يصل إلينا إلّا في إحياءات، واستنتاجات، لم تستند على مصادر موثوقة. فلا شكّ أنّها كانت تحت نفوذ ثمود قوم صالح عليه السلام، ثم دانت للدولة اللحيانية، التي كانت قاعدتها ما يعرف اليوم بالعلا (وادي القرى قديماً) والتي تبعد عن خير (١٤٢) كيلاً شمالاً غرباً، ثم دخلت تحت

ص: ١٤٩

نفوذ العماليق، الذين حكموا الحجاز والشام زمناً طويلاً. وكان من ملوكهم: أيبجاد، وهوز، وحطى، إلى آخر الأسماء، التى اتخذت منها حروف (الجمل). وبعد هذه الدولة أو هذا الشعب (العماليق)، توزعت (البلاد العربية بين نفوذ الامبراطوريات: الفارسية، والرومانية، واليمينية (فى عنفوان التبابعة) ولاشك أن خير ظلت تدين لمن تدين له المدينة المنورة، وأنها كانت جزءاً لا يتجزأ من هذه المنطقة التى تتوسطها المدينة.

طروء اليهود على شمال الحجاز:

فى زمن يختلف المؤرخون فى تحديده؛ لأنه غير موثق، ويخضع للروايات الإسرائيلية، طراً على هذه البلاد شعب غريب، هم اليهود. قالوا: إنهم بقايا جيش أرسله نبي الله موسى عليه السلام، ويروجون لأمر نبي الله.

موسى منه براء، ولا نريد إيراده.

وقالوا: بل جيش أرسله يوشع.

وقالوا: بل هم الفرار من غزوة بختنصر، الذى دمر دولتهم، وسباهم إلى العراق.

والأقوال فى هذا الموضوع كثيرة، وإنما الذى يهمنى هذا القول: إن اليهود احتلوا شمال الحجاز: تبوك، وتيماء، ووادى القرى، وخيبر، حتى استوطنوا المدينة النبوية، وصاهروا العرب، وراضعوه، وأتقنوا لغتهم، وتسموا بأسمائهم.

فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أرسل الله رسوله محمداً بالهدى ودين الحق، فأنذر قومه، وبلغهم رسالته ربّه، ولم يأل جهداً فى نصحتهم، والبرّ بهم، غير أن قريشاً منها من آمن ومنها من كفر، ممّا اضطرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى الهجرة إلى المدينة المنورة. فوصل إليها فى السنة الأولى من الهجرة سنة ٦٢٢ م.

لكن اليهود ناصبوه العداء، وظاهروا عليه كفار العرب، وتآمروا مع الأحزاب.

ص: ١٥٠

فحمل عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمؤمنين، فأجلاهم عن المدينة، قبيلة إثر قبيلة، فمنهم من ذهب إلى الشام، ومنهم من انضم إلى يهود خيبر، ونزل معهم، وتناصروا معهم ضد الدعوة الإلهية، ونابذه رجال منهم بالأذى والأشعار الهجائية، فتسلط عليهم العرب بالقتل، بإذن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بدء الحرب مع يهود خيبر:

١- سرية قتل كعب بن الأشرف:

وبدأت المناوشات مع يهود خيبر بأن انتدب نفر من الأنصار رضى الله عنهم لقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وسبب ذلك أن كعباً كان يحرض ضد رسول الله ويقول الأشعار الحماسية، ويشير الثارات فدعا عليه صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: (اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت) في إعلان الشر وقول الأشعار، ثم قال: من لى بابن الأشرف فقد آذاني؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا به يارسول الله، وأنا أقتله.

فقال: افعل وشاور سعد بن معاذ في أمره.

فقتلوه وحملوا رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان مقتله في الرابع عشر من ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة (١).

٢- سرية عبدالله بن عتيك إلى أبي رافع:

ثم سرية عبدالله بن عتيك إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري، في شهر رمضان سنة ست من هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا: كان أبو رافع بن أبي الحقيق قد أجنب في غطفان، ومن حوله من مشركي العرب، فكثرت شره، واجتمع له عدد منهم، فبعث رسول الله عبدالله بن عتيك ونفراً من المسلمين فقتلوه (٢).

١- ١ رحلات في بلاد العرب، عن الطبقات، ج ٢، وسيرة ابن هشام ج ٣.

٢- ٢ نفس المصدرين السابقين: ج ٢، ج ٣، وسيرة ابن هشام مج ٣.

ص: ١٥١

وقال حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه يمدح هذا الفعل الجهادي:

لله درّ عصابةٍ لاقيتهم ياابن الحقيق وأنت ياابن الأشرف

يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحا كأسد في عرين مغرف

حتى أتوكم في محلّ بلادكم فسقوكم خنقاً بيض دفف

٣- فتح خيبر:

في السنة السابعة للهجرة / ٦٢٩ م في شهر جمادى الأولى (١).

ويتوّج صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأعمال الخفيفة في ظاهرها، القاصمة في نتائجها ظهور أعداء الله ورسوله، يتوّجها بفتح عظيم يقضى به على بؤرة الفساد، ويدكّ حصون بنى صهيون، فلا تقوم لهم بعده قائمة أبداً، فيسير إليهم، في السنة السابعة من الهجرة في شهر جمادى الأولى، فحاصرهم وقاتلهم حتى استولى على حصونهم وضياعهم، وكانت لهم حصون منيعة إلبامن الله، ومن تلك الحصون: النطاة، وناعم، وحصون الكتيبة مثل: القموص والوطيح وشلالم، وقتل منهم عدداً كثيراً وسبوا وغنم، وتزوج صفية بنت حبي بن أخطب.

ويحدّثنا ابن هشام: أن بعضهم أسلم في المدينة، وأسلم بعضهم في خيبر.

ويصف مسيره إليهم من المدينة، فيقول: ثم خرج في بقيّة المحرم إلى خيبر..

واستعمل على المدينة نائلة بن عبد الله اللثمي، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكانت بيضاء.

ورجز عامر بن الأكوع - بأمر من رسول الله - بين يديه وهو سائر:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلينا

ص: ١٥٢

إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْنَا (١)

فانزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فلما أشرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خير - وكانت تسمى قرية الحجاز - قال:

اللهم رب السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقلن، ورب الرياح وما أذرين، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله، وكان يقولها صلى الله عليه وآله وسلم لكل قرية دخلها.

وصبح رسول الله بجيشه خير، فكبر، قائلاً: الله أكبر خربت خير، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ.

يقول ابن إسحاق (٢): ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزل بواد يقال له الرجيع، وتدنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آلهم الأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصناً حصناً، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة.

قتل مرحب اليهودي (الحميري)

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنهم الوطيح والشلال، وكان آخر حصون أهل خير افتتاحاً، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بضعة عشرة ليلة.

خرج مرحب اليهود من حصونهم، وهو يقول: من يبارز؟

قال ابن هشام: ومرحب من حمير.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من لهذا؟ قال حميد بن مسلمة: أنا له يارسول الله، أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس؛ فقال: فقم إليه، فقام إليه محمد بن

١- ١ لم يظهر في هذا البيت جواب الشرط.

٢- ٢ سيرة ابن هشام، غزوة خير.

ص: ١٥٣

مسلمة، فقتله.

فخرج بعده أخوه ياسر، فخرج إليه الزبير بن العوام، فقتله (١).

فاستعصى حصن على الفتح (٢)، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفزار. قال: يقول سلمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً رضي الله عنه وهو أرمذ، فتقل في عينه، ثم قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك.

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح، يهرول هروله، وإننا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن، فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: يقول اليهودى:

علوتم، وما أنزل على موسى، أو كما قال. قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن الحسن، عن بعض أهله، عن ابن رافع، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود، فطاح ترسه من يده، فتناول علي عليه السلام باباً كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقله. مصالحة الرسول أهل خير:

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل خير في حصنهم الوطيح والسالام، حتى إذا أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يسيرهم، وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل. وكان

١- ١ ببعض التصرف عن ابن هشام، ج ٣.

٢- ٢ هو حصن القموص.

ص: ١٥٤

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حاز الأموال كلها: الشَّقَّ ونَطَاءً والكتيبة وجميع حصونهم، إلّا ما كان من دينك الحصين. فلَمَّا سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا. بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسألونه أن يسيرهم، وأن يحقن دماءهم، ويخلوا له الأموال، ففعل. وكان فيمن مشى، فلَمَّا نزل أهل خيبر على ذلك، سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم، وأمر لها؛ فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصف، على أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك. فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

قال معدّ البحث: كان صلح أهل خيبر على الثمرة فقط، أمّا صلح أهل فدك، فكان على الأرض والثمره.

وفى سيرة ابن هشام ٣: ٣٤١: كان فتح خيبر في صفر.

قلت: وهو أقرب إلى الصواب؛ لأنه خرج صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة في شهر المحرم سنة سبع للهجرة، كما تقدّم. جلاء اليهود من خيبر:

قال مالك: أوّل من جلى يهود خيبر عمر رضى الله عنه، فقال له رئيس من رؤوسائهم:

أتجلينا وقد أقرنا محمّداً؟ فقال عمر رضى الله عنه: أترانى نسيت قوله: كيف بك لو قد رقصت بك قلو صك نحو الشام ليلة بعد ليلة؟

فقال: إنّما كانت هزيلة من أبى القاسم. فقال له عمر رضى الله عنه: كذبت، كلّا والذى نفسى بيده، إنّّه لفصل وما هو بالهزل.

قال ابن جريج: وأخبرنى عامر بن عبد الله بن نسطاس قال: بعث النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

فخرص بينهم، فلمّا خيروا أخذت اليهود التمر، فلم يزل بيد يهود حتّى أخرجهم عمر رضى الله عنه منها، فقالت اليهود: ألم يصالحنا

النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على كذا وكذا؟ فقال: إنّ غدركم ما بدا لله ولرسوله، فهذا حين بدا لى إخراجكم منها. ثمّ

ص: ١٥٥

قسّمها بين المسلمين، ولم يعط منها أحداً لم يحضر فتحها، فأهلها الآن المسلمون ليس فيها اليهود، أي في عهد ابن جريج. وعن سليمان بن يسار: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث عبد الله بن رباح رضي الله عنه إلى أهل خيبر خارصاً عليهم، فلما جاءهم تلقّوه بالهدايا، فقال: لا أرب لي بهدياكنم، تعلمون معشر اليهود ما خلق الله قوماً أبغض إليّ منكم، وما خلق الله قوماً أحب إليّ من قوم خرجت منهم، وإنّي والله لا يحملني حبهم ولا بغضي إياكم أن لا تكونوا في الحقّ عندي سواء. قال الزهري: فأخبرني عبد الله بن عبيد الله: أن عمر رضي الله عنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه الذي مات فيه: (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان)، ففحص عمر رضي الله عنه عن الخبر في ذلك حتّى وجد عليه الثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عمر رضي الله عنه: من كان من أهل الحجاز - يعني من أهل الكتاب - عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فليأت به أنفذ له عهده وأقرّه، ومن لا فإنّ الله تعالى قد أذن في إجلائكم - أو بجلائكم - فأجلى عمر رضي الله عنه يهود الحجاز إلى الشام.

عن عثمان بن محمّد الأحنسي، قال: غزا النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيبر ففتحها الله له، فقال للمسلمين: (إنّ خير كانت لمن شهد الحديبية خاصّة، وإنّ إخوانكم هؤلاء شهدوا معكم، فألا تشركونهم؟) وكان قد أدركه بها ركب من شوء، فيهم الطفيل بن عمرو، وأبو هريرة، فقال المسلمون: (نعم، افعّل يا رسول الله، فأسهمهم معهم، وكانت قُسمت نصفين، فكانت الشق ونطاة نصفاً، وكانت الوطيح وسلالم ووحيده [\(١\)](#) نصفاً، فهذا النصف لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان للمسلمين الشقّ ونطاة. عن بشير بن يسار قال: لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم خيبر، قسّمها على ستّة

١ - ١ المؤلف: - أخذ هذا البحث عن تاريخ المدينة المنورة لابن شبة، وحذفنا العنونة اختصاراً، فإن شئت راجع الجزء الأول من المصدر المذكور. وحيدة هنا صوابها مكيدة، والله أعلم.

ص: ١٥٦

وثلاثين سهماً، جمع كلّ مائة سهم، وعزل نصفها لنوائبه وما ينزل به، وقسّم بين المسلمين الشّق ونطاةً وما حيز معهما، وكان فيما وقف الوطيح والكتيبة وسيلالم وما حيز معهنّ، فلما صارت الأموال بيد النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، لم يكن لهم من العّمّال ما يكفون عمل الأرض، فدفعها النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليهود، ويعملونها على نصف ما خرج منها، فلم يزل كذلك على عهد النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر رضى الله عنه، حتّى كان عمر رضى الله عنه، وكثر العّمّال فى أيدي المسلمين، وقووا على عمل الأرض، فأجلّى عمر رضى الله عنه اليهود إلى الشام، وقسّم المال بين المسلمين إلى اليوم.

ومن شأن خير: أنّ النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم نزل فى وادى الشّير؛ الوادى الأدنى، وبه الشّق والنّطاة، فبرز إليه أهلها لقتاله، ثم إنّ الله هزمهم، ثم نزلوا على حصن بنى نزار، ففتح الله بغير صلح، وأنّ النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم جعله لأهل الحديبية، ولخيل كانت معه عشرين ومائة فرس، ولامرأتين حضرتا القتال: امرأة من بنى حارثة يقال لها أمّ الضحّاك بنت مسعود أخت حويصة ومُحيصة، والآخرى أخت حذيفة بن اليمان، أعطى كلّ واحدة مثل سهم رجل. وقدم عليه هناك وفد الطّفل بن عمرو الدوسى، وفيهم أبو هريرة، وذلك حين هاجروا، فرعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(إنّ خير لم تكن إلّا لمن شهد الحديبية) ثم ذكر إعطاء الدوسيين كما تقدّم. وخير موصوفة بكثرة النخل والتمر؛ قال حسان بن ثابت:

أتفخرُ بالكثّان لما لبسته، وقد تلبس الأنباط ريطاً مقصراً

فلا تكُ كالعاوى، فأقبل نحره ولم تخشه سهماً من النبل مضمرا

فإنّا، ومن يهدى القصائد نحوه، كمستبضع تمرّاً إلى أرض خيبر

ونقل البكرى: وقال ابن لقيم العبسى فى الشّق ونطاة، وذلك عند فتح خير:

رُميت نطاة من الرسول بفليق شهباء ذات مناكب وفقار

ص: ١٥٧

واستيقنت بالذل لما أصبحت ورجال أسلم وسطها وغفار
ولكل حصن شاغل من خيلهم من عبد أشهل أو بني النجار
صبحت بنى عمرو بن زرع غدوة والشق أظلم ليلها بنهار
عماله خير:

خير كما تقدم فى فتحها، وكثافة سكانها، ويذكر المؤرخون، ومنهم ياقوت:
إنها ولاية. ومن المؤكد أنها كانت تتبع المدينة المنورة عبر عصور الجاهلية والإسلام.
ولكن ما بين يدى من مراجع، لا يذكر شيئاً عن ولاية وولاه خير. والمعتقد أنها كانت كأقسام الجزيرة، كان يكتفى منها بالحاصلات
الشرعية كالزكاة، ونحو ذلك، وأن هذا كان يقوم عظيم المنطقة بموجب شىء معين يؤديه كل سنة.
فما استقام به استقام أمره، وسترى فيما يلحق خمول ذكر خير، ولم نجد أن أميراً من الحجاز، أو من المدينة خاصة جيش على خير.
ثم خبا ذكر خير:

فلم نجد لها- بعد الخلفاء- ذكراً، إلا إمامات لا تكاد ترى. وهذا فى نظرى، يعود إلى عوامل، منها:
١- وجود خير فى معزل عن طريق الحجاج، الذين غالب ما ينه ذكر البلاد التى يمرّون بها، فطريق العراق يمرّ شرقها بعيداً، والدرب
الشامى يمرّ غربها، وبينها وبينه جبال وأودية.
٢- إنها منطقة وعرة، لا يوصل إليها- آنذاك- إلا بمشقة، وقد انقطعت ريادة الريف.

ص: ١٥٨

٣- عدم وجود والى لها، يذكره مؤرّخو المدينة، أو تثور بينه وبين أهل خير منازل.

٤- يبدو أنّ أهلها ليسوا سريعين إلى نجدة الأمراء فى حالة حربهم كبيشة وزهران، وحرب، وغيرهم، فلم يرد لهم اسم فى الحروب. أمّا القبائل فإنّ اسمهم إذا ورد، فإنّما يرد باسم القبيلة لا البلد. حتّى فى العهد الحديث، لم يتحرّك اسم خير حتّى زارها بعض الدارسين، ومّر فيها الطريق بين المدينة والشام.

بعد إتمام هذا البحث، وردت إلى معلومات عن بعض ولاة لخير، سأثبتها فى الأصل.

فدك (١):

هى إحدى القرى المهمّة فى منطقة خير، ولها نصيب من وصف خير، من استولى على خير استولى عليها.

قال ابن شبة: بقيت بقيّة من أهل خير تحصىّ نوا، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحقن دماءهم ويسيرهم. ففعل، فسمع بذلك أهل فدك، فنزلوا على مثل ذلك، فكانت للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خالصة؛ لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب (٢). وقال ابن إسحاق: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خير، قذف الله فى قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خير، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصالحوه على النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخير، أو بالطريق، أو بعدما قدم إلى المدينة، فقبل منهم. فكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالصة؛ لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فهى من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فألله أعلم على النصف صالح أهلها أم عليها كلّها، فكلّ ذلك قد جاءت به الأحاديث.

١- ١ تعرف اليوم بالحائط.

٢- ٢ تاريخ ابن شبة ١٠: ١٩٣.

ص: ١٥٩

الفصل الثاني:

جغرافية خير وسكانها

خير محافظة من محافظات المدينة، اليوم. وكانت ولاية من ولاياتها كما تقدم.

تقع خير في منطقة جبلية، يتكون جلها من الحرار السود، وفي الشمال عدد من الجبال الشوامخ، وتتوسط قاعدتها قرى الحرّة، المعروفة بحرّة خير، وتقع القاعدة، وتسمى الشريف أو قرية بشر، على بُعد (١٦٠) كيلاً من المدينة المنورة شمالاً على الطريق الذهاب إلى الشام. وتتبع من هذه الحرار العيون الغزيرة الماء، فتجري في أودية صالحة للزراعة، يغرس فيها النخيل، وتعود بالتمر الذي كان يوماً مثوبة للناس في تلك الديار.

تقدر عيون خير بمائة وثمانين عيناً، تسقى نحو ثلاثة ملايين نخلة، عدا زراعات أخر، كان أهمها الشعير، وقد زرعت اليوم زراعات كثيرة، منها الخضار، لبيعها في المدينة بعد تحسن المواصلات.

التكوين الجغرافي لخير (١):

١- الحرّة:

حرّة خير حرّة واسعة تتخللها الأودية، التي تجعل منها حراراً عديدة ذات أسماء متفرقة، وتبدأ هذه الحرّة من مشارف الصويدة والشقرة في الجنوب عند

ص: ١٦٠

طريق المدينة إلى القصيم ثم تمتد شمالاً. وكانت هذه تسمى حرّة النار، فتمرّ بالصلصلة وخيبر، ثم شرق سلاح إلى أن تنتهي بضرغط شمال شرقي سلاح وكان القسم الشرقي الشمالي منها يسمى حرّة ليلي.

وتسيل مياه هذه الحرّة في ثلاث جهات:

أ- شرقاً في وادي الرمة. كأودية: الحائط (فدك قديماً) والحويط (بديع قديماً) والحليفة.

ب- جنوباً كأودية: نجار (وادي الصويدة) والشقرة، ووادي الحناكية (نخل قديماً).

ج- أودية خيبر، وهذه أفردنا لها فصلاً فيما يتبع.

وكانت خيبر سوقاً من أسواق العرب في الجاهلية تحت حماية قبيلة غطفان.

وتشمل اليوم مكاناً إدارياً يمتد من مشارق الصلصلة جنوباً إلى حفيرة الأيدا شمالاً، وتضم في الشرق الحائط والحويط، وغرباً برمة وما حولها.

أودية خيبر:

الأودية الرئيسية التي تتكوّن منها أمارّة خيبر (١) هي ستّة أودية، وهي من الجنوب إلى الشمال:

١- وادي الغرس: بفتح الغين المعجمة، والراء المهملة: وادٍ يأخذ أعلى مساقط مياهه من جنوب الحرّة ومن جبلي أشد ثم يتّجه شمالاً. فإذا مرّ عند البحرّة المتقدّمة سمى وادي الثمد وقد يسمى وادي الدوم، ثم ينحرف غرباً مارّاً بقرية زبران جاعلاً الصهباء بينه وبين الشريف قاعدة خيبر، ثم يدفع في المجامع حيث تصبّ كلّ أودية خيبر.

٢- وادي السلمة: وادٍ ليس كبيراً، ينشأ من قرب الطريق، ثم يمرّ بين عطوة

ص: ١٦١

(الصهباء) جنوباً والشریف شمالاً، وفيه بلدة (مكيدة) ثم يتجه غرباً إلى المجامع.

٣- وادی الصویر: أحد الأودية الزراعية الرئيسية، يمرّ تحت الشریف من الشمال آتياً مطلباً من بعيد، وهو كثير العيون والنخيل، وقيل: إن ما يقرب من ٥٠٪ من نخل خيبر هو في هذا الوادی، يذهب مغرباً فيتجمع بسابقه في المجامع.

٤- وادی أبی وشيع: واد يقرب من وادی الصویر في كثرة النخل والمياه سُمي بالقرية الرئيسية فيه، يقطعه الطريق بعد الصویر مباشرة شمالاً بينهما حرة ممتدة بامتدادهما من الشرق إلى الغرب، ثم يعانق سابقاته في المجامع.

٥- وادی المضاويع: قليل القرى والمزارع يقطعه الطريق شمال أبی وشيع، وفي صدره قرية العين ليست بعيدة من الطريق يميناً، لها ذكر في محطّات الطريق قديماً، وهو أيضاً يجتمع مع السابقة. وأظنه سُمي لبياض تربته؛ لأنّ الضحية عند العرب البياض أو الضوء.

٦- وادی الزهراء: من أطول أودية خيبر مدى ومن أقلها خصباً، يأتي من الأطراف الجنوبية للجانب متّجهاً جنوباً حتّى يصل إلى بلدة (العشاش) سلاح قديماً، ثم يأخذ في الانحراف جنوباً غرباً حيث يقطعه الطريق بين العشاش والشریف، وقد تسميه العامة وادی غمرة؛ لأنّ جبل غمرة؛ يشرف على العشاش من الجنوب. ومن روافد هذا الوادی وادياً يمين وجبار الآتي ذكرهما.

وإذا اجتمعت أودية خيبر في المجامع تكوّن وادی الطبق: وادٍ فحل كثير الروافد تقع فيه آثار برمّة، يستمرّ مغرباً من خيبر حتّى يدفع في وادی الحمض (إضم) ولا صحّة للقول: إنّ هذه الأودية تذهب إلى وادی القرى، أو أنّ مياه الحرة الغربية تذهب إلى هناك، ولا تقربه كما أشار بعض الباحثين، فجميع المياه المنحدرة من الحرة غرباً، أو من سلسلة حَجَر الواقعة غرب العشاش، تتحوّل إلى هذا الوادی الفحل ثمّ تصبّ في إضم. ومن تلك الأودية وادی الصحن، الذي يمرّ الطريق به بين خيبر والعلا، أمّا وادی القرى، فأوّل سيول تتجه إليه من الشرق هي

ص: ١٦٢

سيول الهضب الآتي ذكره، والذي يبعد من هنا قرابة تسعين كيلاً.

القرى الرئيسيّة في خير:

تتكوّن خير من قرى عديدة أهمّها: الشُّريف، وقد تقدّم الحديث عنها، ثمّ أبو وشيع، ومكيدة وزبران، والعين، والعشاش، وسيأتي الحديث عنها.

ونظراً لافتراق أودية خير في رؤوسها، واجتماعها في مصابها، فقد أطلقنا عليها اسم:

التاج الخيري

إذا أُلقيت نظرة على أودية خير ألفتها تشبه التاج في تكوينها، فوادي الغرس - كما تقدّم - يأتي من الجنوب متّجهاً شمالاً ثمّ يعدل إلى الغرب، ووادي الزهراء يأتي من الشمال متّجهاً جنوباً، ثمّ يعدل غرباً وهما يكوّنان طرفي التاج، ووادي الصوير وأبي وشيع يسيران في الوسط فيشبهان رأس التاج، ثمّ وادي السلمة ووادي المضويح وهما كالضلعين القصيرين في التاج، ثمّ تجتمع هذه الأودية جميعها في المجمام كفاعدة التاج.

سكان خير:

كأى بلدة عريقة لها ضواحي كثيرة يكون سكّانها مزيجاً من الحضرة والبدو، فالسكّان الذين لهم الاسم والشهرة هما قبيلتا عنزة وبنو رشيد، فالأولى تمتلك جلّ نخيل خير وتمتدّ ديارها من جنوب خير إلى الجناح فتيما ثمّ مشرقاً إلى قرب حائل، والثانية تمتدّ ديارها من شمال المدينة شاملة جلّ الحرار حيث لها الصلصلة والبحرة ومازة شرق نخيل خير إلى جبل جرس ثمّ شمالاً شرقياً إلى حرّة ضرغط، مائلة شرقاً على فروع وادي الرمة، ولها هناك الحائط والحويط والحليفة. أمّا السكّان الحضرة في قرى خير فجلبهم من السود المولدين.

وإليهم العناية بتلك النخيل كالتأبير والسقي والجداد، فصاروا بيوتاً لها أسماء وأنساب، وأصبحوا يشاركون الملاك في المزارع على نظام المعامر

ص: ١٤٣

المعروف في الحجاز.

ونوع آخر كثر في هذا العهد يتكوّن من الوافدين المستوطنين كالتجار وموظفي الدولة وغيرهم، وقد فضّل بعضهم الإقامة الدائمة هنا، وصارت لهم ضياع وأملاك. وكان خير- من قديم الزمن- مشهوراً بحمي الملايا التي كانت تفتك بالسكان غير أنّ سود البشرية لديهم مناعة طبيعيّة ضدّ الحمى. وكان العرب الأقدمون إذا أمّ أحدهم خير عشر كما يُعشر الحمار، اعتقاداً منهم أنّ من يفعل ذلك لا تصبه الحمى، غير أنّ بعضهم كان يأنف ذلك ويرفضه.

مساحة خير:

من السير على هذه الطريق، واستعلام أهل الخبرة من السكان. تقدّر مساحة خير (المحافظة) بنحو (١٦٠) كيلاً طوّلًا، من الجنوب إلى الشمال، ولعلّها في نحو (١٠٠) كيل عرضاً من الشرق إلى الغرب، أي أنّ مساحة محافظة خير تقارب (١٦٠٠٠) ستّة عشر ألف كيل.

الفصل الثالث

الآثار في خير:

أ- المساجد:

١- مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين افتتح خير.

جاء في معجم البكري- خير:- مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان طول مقامه بخير يصلّي فيه، وبنى عيسى بن موسى هذا المسجد، وأنفق عليه مالاً جليلاً، وهو على طاقات معقودة، له رحاب واسعة، وفيه الصخرة التي صلّي إليها صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تقدّم فيما أحلناه على معجم البكري. قال ذلك فيما نقله عن السكوني.

ص: ١٦٤

- ٢- مسجد على رضى الله عنه: لازال مائلاً يصلّى فيه تحت الحصن، الذى فتحه على كرم الله وجهه، والشيعة يزورونه...
- ٣- مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بسفح الصهباء، حيث بنى بصفية مرجعه من خير، وهذا قد اندثر اليوم.
- ٤- مسجد: لم تبق إلّا آثار، بجوار سد الحصيد، ذكر فى القرى الأثرية التالى ذكرها، ولا أعتقد أنّ له علاقة بفتح خير، ولا زمنه، وذلك أنّه بعيد عن المكان، الذى جرت فيه المعارك.

ب- الحصون:

الحصون المشهورة فى خير، والمعروفة إلى يومنا هذا، هى:

- ١- حصن النطاء.
 - ٢- حصن ناعم.
 - ٣- حصن الشق.
 - ٤- حصون الكتيبة، ومنها:
 - أ- القموص.
 - ب- الوطيح.
 - ج- سلالم.
 - ٥- حصن الصّعب بن معاذ.
- ومن هذه الحصون، ما هو قائم، شبه صالح للعمل، ولكن بأسها واستعمالها أذهب الله منذ افتتاحها.
- ج- القرى الأثرية، والمآثر، والسدود:
- من القرى ذات الأثر فى خير:

ص: ١٦٥

١- قرية مكيدة.

٢- قرية زبران.

٣- قرية الشريف نفسها، قاعدة خير.

٤- هناك كثير من الآثار في جنابات الحرار، وبين الحصون، وبعضها يشبه القرى، ولكن لا تعرف أسماء كثير منها. وهي تحتاج إلى مسح من دائرة الآثار، وتحتاج إلى وجود أدلاء متمكنين، يدلون الباحث والسائح على الآثار.

٥- وغير بعيد غرباً من خير: آثار بُزْمَة، وهي تابعة لخير، وكانت قرية دائرة، فيها آثار المباني وأفلاج العيون، ثم أُحييت في العهد الحالي.

٦- قرية سلاح: وتعرف اليوم بالعشاش، كانت دائرة، فأحياها الشيخ فرحان الأيدي، وشيخ ولد على من عنزة، وعياله فيها اليوم، منهم فهد بن فرحان المذكور، فيها فُلج ظاهرة، يحاولون إحياءها.

٧- وهناك ما يمكن أن يسمّى (قرية أثرية)، ذلكم هو (سد الحصيد) وما حوله من آثار منها: قصر البنت، قلعة مهدّمة، ومسجد، وآثار متناثرة ذكرها سنت فلبى في رحلة (أرض الأنبياء).

وكلّ هذه الآثار تقع في وادي يسمّى: وادي الحصيد، أحد فروع وادي الثمد، الذي هو جزء من وادي الغرس أحد أودية خير الرئيسيّة.

الفصل الرابع

خير في عصرنا الحالي:

خير في العصر الحالي:

أ- المحافظة:

(١) حدودها: تمتدّ محافظة خير كما تقدّم من جنوب قرية الصلصلة على

ص: ١٦٦

(١١٨) كيلاً شمال المدينة المنورة، إلى ما وراء حفيرة الأدي شمالاً وتقدّمت مساحتها توّاً.

(٢) عددمراكزها: يتبع محافظة خيبر عدد من المراكز، وأهمّها: مراكز الحائط (فدك قديماً). ومركز الصلصلة، المتقدّمة. ومركز العشاش (سلاح قديماً). ومركز آخر لعلّه في برمة.

ب- الدوائر الحكومية في محافظة خيبر:

محكمة شرعية، وأشراف من وزراء المعارف، وآخر من تعليم البنات، ومندوبية زراعية، وشرطة.

وجميع المرافق التي تعنى بشؤون الناس والأمن.

وبها مستشفى متوسّط، ومراكز صحيّة عديدة.

وكلّ دوائرها وقطاعاتها، تراجع فروع الوزارات المختصّة في المدينة المنورة.

ج- القرى العامرة:

في خيبر نحو خمسين قرية من أهمّها:

١- القاعدة (الشريف) فيها جميع الدوائر الحكومية.

٢- قرية الصلصلة، والمتقدّم تحديدها.

٣- قرية البحرة، وهم يسكنون الباء، بين الصلصلة والشريف.

٤- قرية زبران. في وادي الغرس يسار الطريق.

٥- العشاش: سلاح قديماً.

٦- الحائط: قرية كبيرة في واد يذهب إلى وادي الرمة. وغيرها من القرى التي أخذت تنمو بسرعة.

٧- الحويط: يدعى قديماً، قرية عامرة شرق الحرة.

د- الزراعة ونشاط السكّان:

يدلّ ما فيها من المزروعات وخاصّة النخيل أنّها بلد خصب كثير المياه، وأنّ

ص: ١٦٧

أهلها في الزراعة يتوارثونها كابراً عن كابر.

(١) أنواع المزروعات: أصل الزراعة في خيبر النخل، ذلك لبعدها وقلة المواصلات مع المدينة في الزمن السابق، أما اليوم فقد أصبح الزمن بين خيبر والمدينة نحو ساعتين بل أقل، لذا أخذوا يزرعون إلى جانب النخل جميع أنواع الخضار.

(٢) عدد العيون الجارية: يقول أهل خيبر: إن بها مائة وثمانين عيناً (١٨٠) لازالت كلها جارية.

(٣) عدد الآبار الزراعية: لم أجد من أحصى الآبار الزراعية، غير أنني في رحلتى إلى هناك قبل نيف وعشرين سنة، رأيت كثيراً من الآبار في المحافظة (الإمارة آنذاك) وعليها زرائع.

(٤) عدد النخيل: يتوارث الناس، ومنهم أهل خيبر أن بخير ثلاثة ملايين نخلة. ولم أر إحصاء يركن إليه، وأعتقد أن العدد أقل من هذا، ولكنه كثير كثير.*

-

* وإذ نحن ننتهى من هذه المقالة القيمة، التى حازت على جائزة مؤسسه السيد أمين مدنى الرابعه، فى مكه المكرمه عام ١٤٢٢ هـ، لابد لنا من أن نقدم جزيل شكرنا وتقديرنا للأستاذ المؤرخ الشيخ عاتق بن غيث البلادى، الذى طالما تشرفت مجلتنا بجزء ثمين من عطائه العلمى الوفير.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يثرى ساحتنا الإسلامية والعلمية بأمثاله، وأن يوفق استاذنا المؤرخ لمزيد من العطاء والجهود العلميه المثمره.

الحج في الادب العربى مختارات شعرية

ص: ١٦٨

الحج في الأدب العربي مختارات شعرية
على كل افق بالحجاز ملائك تزف تحايا الله والبركات
لدى الباب جبريل الأمين براحه رسائل رحمانية النفحات
وفى الكعبة الغراء ركن مَرَحَبْ بكعبة قَصَادٍ، وَرُكْنِ عَفَاءٍ
وما سكب الميزاب ماءً وإنما أفاض عليك الأجر والرحمات
وزمزم تجرى بين عينيك أعيناً من الكوثر المعسول منفجرات

يكاد إذا مرّ الحجاز بذكره وجيرته من صدره يتوثب
بلاد بها الرحمن ألقى ضيائه على لابتها والعوالم غيها
يجللها قدس من الله سايع وينفحها نشر من الخلد طيب
إذا نسب الناس البلاد رأيتها إلى جنّة الفردوس تُعزى وتنسب
وإن نضبت أنهارها فبحسبها من الدين نهج للدوى ليس ينضب
يفيض على الأقطار يميناً ورحمة ويزار في اذن العتاء ويصخب
تفجر من نبع النبوة ماؤه له الحق وردّ والسماحة مشرب

ناد زواري أنا أدعوهم نحو بيتي لينالوا شرفا
فهم وفدى إذا ما نزلوا بحريمى إذ دنوا مُزدلفا
ولهم عندي مزيدٌ ولهم من نوالى ما أحبوا طرفا
فارقوا أوطانهم إذ قصدوا نحو بابى يطلبون الزلفى
فلهم منى ما قد أملوا سلفا ينمى ويُنشئ خلفا

أما والذى حجّ المحبون بيته ولتبوا له عند المهل وأحرموا
وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعا لعزة من تعنو الوجوه وتسلم
يُهللون بالبيداء لتيك ربنا لك الملك والحمد الذى أنت تعلم
دعاهم فلبوه رضا ومحبة فلما دعوه كان أقرب منهم
ترى على الانضاء شعنا رؤوسهم وغبرا وهم فيها أسر وأنعم
وقد فارقوا الأوطان والأهل رغبة ولم يُثنيهم لذاتهم والتنعم
يسيرون من أقطارها وفجاجها رجالا وركبانا ولله أسلموا
الأجر والمغفرة

وراحوا إلى التعريف يرجون رحمة ومغفرة ممن يجود ويكرم
فلله ذاك الموقف الأعظم الذى كموقف يوم العرض بل ذاك أعظم
ويدنو به الجبار جلّ جلاله يباهى بهم أملاكه فهو أكرم
يقول عبادى قد أتونى محبة وإنى بهم برّ أجود وأرحم

فأشهدكم أنني غفرت ذنوبهم وأعطيتهم ما أملوه وأنعم
فبشراكم يا أهل ذا الموقف الذي به يغفر الله الذنوب ويرحم
فكم من عتيق فيه كمل عتقه وآخر يستسعى وربك أرحم
وما رؤى الشيطان أغىظ في الورى وأحقر منه عندها وهو الأم

ص: ١٧٠

وذاك لأمر قد رآه فغاظه فأقبل يحثو التراب غيظاً ويلظم
وما عاينت عيناه من رحمه أتت ومغفرة من عند ذي العرش تقسم
بنى ما بنى حتى إذا ظن أنه تمكن من بنيانه فهو محكم
أتى الله بنيانا له من أساسه فخرّ عليه ساقطاً يتهدم
وكم قدر ما يعلو البناء وينتهي إذا كان بينه وذو العرش يهدم
وفي الإحرام

يا لها من لحظة تساوى العمر وتورث الق - رب ساعة الإحرام والإهلال من الميقات
لما رأيت مُناديهم أَلَمْ بنا شددت مئزرَ إحرامى ولبييتُ
وقلت للنفس جدى الآن واجتهدى وساعدينى فهذا ما تمنيتُ
لو جئتكم قاصداً أسعى على بصرى لم أقض حقاً وأى الحق أديتُ

ص: ١٧١

شخصيات من الحرمين الشريفين (١٣)

شخصيات من الحرمين الشريفين (١٣)

بلال أحد أحد مؤذن رسول الله

بلال أحد أحد مؤذن رسول الله

حسن محمد

ما أعظمك يا بلال، وقد اقترن اسمك بكلمات لم يسبقك إليها أحد، حتى غدت سلاحك الوحيد الذي تدافع به عن نفسك، حيث كانت تخلق فيك صموداً لا يهزم، وثباتاً لا يلين، وقد تلوت على ظهرك سياطهم، ومزقت جسدك حديدتهم المحمّاء.

في رمضاء مكّه ولهيب رمالها، وأنت ترددها كلمات خالده .. أحد أحد، أحد أحد ..

حتى غدت انشودتك التي لم تجد أجمل منها وأحلى .. ولم ينطق لسانك بشيء غيرها .. فكانت أمض سلاح ينخر صدورهم، ويهزّ كبرياءهم .. ويغيض قلوبهم، وهو ما كنت تبحث عنه وتتمناه.

وما أعظمك يا بلال، وقد اقترن اسمك بأعظم نداء عرفته الدنيا وردّته الأجيال!

وما أحسن عاقبتك يا بلال، وقد خلدت بخلود كل فصل من فصول هذا الأذان، وكل كلمة من كلماته، بل وكل حرف من حروفه، ولحن من ألحانه، ونغمة من نغماته....!

وما أعظم ذكراك، وقد امتزجت بذكرى هذا الأذان، الذي راح يدوي خمس

ص: ١٧٢

مرّات في أرجاء السماء، تردّده الألسن، وتهفو إليه القلوب، وتطمئن به النفوس فما إن يسمع أحدنا مؤذناً يرفع الأذان حتّى يتبادر إلى الذهن بلال، وما إن نسمع صوتاً ندياً شجياً إلّوراح بلال بصوته الجميل شاخصاً حياً، وكيف لا يحيى وقد اقترنت حياته بحياة هذا الأذان فنعم القرين!؟

*** إنه واحد ممّن قضى عمره بين عبوديتين: عبودية للناس، وقد أكره عليها وكلّها تسخير وذلّ وظلم، مقابل ثمن بخس لا يتعدى رغيف خبز وافتراش أرض..

وعبودية لله، خطى نحوها بإرادته ورغبته، فكانت عزّاً في الدُّنيا وكرامه في الآخرة، وكانت خلوداً هي الأخرى في الدُّنيا، وخلوداً في الآخرة... فشّتان شّتان بين العبوديتين!!

كان بلال من فئة العبيد تلك التي سخّرها سادة المجتمع المكي وكبرائه في نواح خدمية كثيرة وأخرى قتالية... وما إن منّ الله تعالى بدعوته المباركة الجديدة، رحمة للناس جميعاً، حتّى راحت قلوب هؤلاء الضعفاء تجد أمانها فيها وطمأنينتها... فتوجّهوا نحوها كأعظم ملجأ لهم وملاذٍ، لتنتشلهم ممّا هم فيه من اضطهاد متواصل وعذاب دائم وذلّ مستمرّ، من خزي في الدُّنيا وعذاب في الآخرة، إلى عقب الحرية والمساواة، وإلى فردوس ينتظرهم في الآخرة..

وهم يسمعون: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلّا بالتقوى».

وهم يقرأون: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

لقد كانت هذه الفئة من الناس تشخص بأبصارها بعيداً وكأنّها تنتظر من ذلك

ص: ١٧٣

الأفق البعيد منقذاً ظلت تعيشه حُلماً جميلاً يهوّن عليها ما هي فيه من هوان ويزرع في نفوسها الأمل والطموح والرغبة في حياة إيمانية تنقذهم ممّا هم فيه من ضلال وعذاب.. فما إن رأتها واقعاً أمامها حتّى بادرت إلى التصديق به والتضحية في سبيله، فكان لهم قصب السبق في نصره هذه الدعوة الخالدة والدفاع عنها بأرواحهم وأجسادهم وما يملكون حتّى تمّ نصر الله والفتح. لم يتأخّر بلال كثيراً، فقد ردّد الشهادتين، وأعلن بذلك إسلامه مع رفاقه في الآلام، فبدأوا بذلك حياةً جديدةً.. إلّا أنّ الأيدي الظالمة لم تتركهم، فقد راح أسيادهم يصيّبون عليهم جام غضبهم، وينزلون بهم أقسى أساليب التعذيب وأشكاله.. ومع كلّ هذا رأت هذه الفئة التي هانت عليها نفوسها في الله تعالى، أنّ ما ينزل بها من عذاب هو غير ذلك العذاب، وأنّ ما يحلّ بها من ظلم وقسوة هي غير تلك القسوة، لقد رأت بهذا كلّ حلاوة ونشوة، ولهذا تحمّلت، وراحت تردّد مع بلال كلماته المشهورة على لسان واحدٍ، ومن قلوب ملئت إيماناً وحبّاً لله حتّى غدت كيانههم كلّ: أحدٌ أحد. وجدت بها بلسمها ودواءها وحرّيتها، التي فقدتها سنين طويلة، فيما راحت الأجيال المؤمنة تعيش ذكراهم، وتردّد صدى ما تعودته ألسنتهم، ووعته قلوبهم.. لقد أسلم بلال، وهو من الأوائل الذين أعلنوا إسلامهم، وراح يشهد مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله كلّها بديراً وأحدّاً والخندق، وفتح مكّة..

*** إنّه بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الكريم، وأبو عمرو الحبشي، أمّه حمامة. وكان مولى أميّة بن خلف، الذي كان واحداً من طغاة قريش، وقد أوغل في ظلمه لبلال... ثم بعد ذلك اشتراه أبو بكر بن أبي قحافة، فظلّ مولى له حيناً من الوقت.

ص: ١٧٤

صفاته

كان بلال أدم، شديد الأذمة، نحيفاً طوالاً، أجناً أى فى كاهله انحناء، إلّا أنّه ليس بالأحذب، له شعر كثيف، خفيف العارضين. أمّا صوته فجميل قوى، ينتشر بعيداً، وكانت له ترنيمة شجيّة، عرفته أرجاء مكّة بندائه الجميل، شفيت به الأبدان المكدودة، وتماثلت به النفوس المعتلة السقيمة..

هتّاه هذا الصوت لأن يكون أوّل منادٍ بنداء التوحيد، ينبذ الشرك والشركاء، عبر أجمل وأعظم فصول ترددها الشفاء، وتنطلق بها الألسن، وتتعلّق بها القلوب، وتشتاق لها الأنفس، وتشفى بها الأجسام، «أرحنا يا بلال»، هكذا كان يناديه رسول الله صلى الله عليه وآله.

نعم، أنيط به أذان أعظم أركان الإسلام، وأقدس شعيرة جاء بها الدين الحنيف، إنّها الصلاة، إنّها اللقاء المباشر بين العبد وربّه.. وهذا ما كان يتمناه بلال، فينتقل من مجرّد عبد حبشى لا غير إلى عبد صالح لله وحده، فتنهال عليه بركات السماء، فيخلد مؤمناً صلباً، ذلّت له عنجهية قريش وكبرياؤها، بعد أن تكسرت عليه سياطهم، سياط الجلّادين، دون أن تنال منه شيئاً، بل ما زادتة إلّا عزّاً وكبرياء.

بلال وأمّية

بلال بين يدي سيّده أمّية بن خلف فى رحلة العذاب، حيث راح هذا الأخير يذيق ذاك العبد الصالح، والسابق الأواب، صنوفاً من العذاب.

فى كلّ ظهيرة، حيث شمس الحجاز المحرقة، ورمالها الملتهبّة فى بطحاء مكّة، يوضع هذا الجسد العظيم بين نارين ونار ثالثة يمسك بها أمّية وأعوانه، وصخرة كبيرة ترقد على صدر بلال فتقطع عليه أنفاسه، ها أنت يا بلال بين خيارين لا ثالث لهما؛ إمّا أن تموت بسيطانا وصخورنا وحديدنا المكواة، وإمّا أن تكفر بمحمّد

ص: ١٧٥

ابن عبد الله، فتعود إلى (عبادة اللّٰمات والعزى)، فتنال محبتنا... إلّا أنّهم خابوا وخابت جميع محاولاتهم، وخسئت سيّاتهم وعصيتهم وحديدتهم من أن تنال من عزمه الراسخ وإيمانه العظيم، الذى لا يلين أو يضعف... كلمه واحده مختصره لا غير، راح لسان بلال يلهج بها، وتركها عبر التاريخ والأجيال خالده مدوّيه تعلّم الأحرار والمؤمنين الصمود والإباء، حروف ثلاثه، كلّ حرف يعدل الوجود كلّه خيراً وعطاءً: أحد، أحد، لم يتلفظ غيرها أبداً، وهو بين رمالٍ ملتهبه وشمس محرقه، وصخره تجثم على صدره فتقطع أنفاسه، فلا ينطق إلّا بهذه الحروف وما أعظمها وأقدسها وأجملها! بصوت ضعيف قد لا يسمعه أحد حتّى هو بعد أن أضعفه الجوع والعطش والألم.. شفاه تتحرّك، بل تتمتم بها.. أحد أحد، نعم أحد أحد.

صمود ما أعظمه، غدا بعده مدرسه، وظلّ ذكرى عظيمه، لا تملّها الأجيال، راحت كلمات بلال تدوى فى بطحاء مكّه وأجوائها... كما راحت ألسن الجميع ترددها من بعده... فكانت صاعقه تنزل على مسامع مشركى قريش، فيجنّ جنون أمّيه، وتسيطر سورة الغضب عليه... فينهال على بلال بوسائله البشعه، بسيّاطه وحديده، وألفاظه القدره، يركله، يضربه، يشتمه... وبلال يزداد صموداً وتألّقاً.. أحد، أحد.. وهكذا ظلّ هذا المعذب أياً ما وليالى.. بلال لا يريد منك شيئاً.. اذكر فقط آلهتنا بخير.. لقد أتعبهم بلال وثباته..

حتّى غدا كلّ واحد منهم وكأنّه هو المعذب لا بلال.

فسئم أمّيه.. يا أبا جهل عليك به.. فصّب عليه جام غضبه.. وأذاقه صنوف العذاب.. حتّى كلّوا وعجزوا.. فاستعانوا بصبيانهم وسفهاءهم، ليضعوا حبلاً فى عنق بلال... ليطوفوا به بين أخشى مكّه، بين أزقه هذين الجبلين اللذين يحيطان بمكّه «أبو قيس والأحمر».. ولم يترك كلماته العظيمه.. إنّها انشودته التى لا يملّها ولا تملّه.. وبصوته

ص: ١٧٦

الرخيم: أحدٌ أحد.. فتذهل أنفسهم، وتقشعر جلودهم.. ويسقط ما في أيديهم..
إنها أنشودة بلال، التي غدت شعاراً للمسلمين في أولى معارك الإسلام في بدر.

يا أُمَيَّةُ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمَسْكِينِ؟!

يا أُمَيَّةُ حَتَّى مَتَى؟!

فيجيب أُمَيَّة: أنت أفسدت، فأنقذه ممّا ترى.

فما كان من أبى بكر، إلّا أن اشتراه بخمس أواق... وفكروا أن يربحوا منه فهو أفضل من موته بين أيديهم، بعد أن يئسوا من عودته إليهم... واستوقفهم مرّة أُمَيَّة ابن خلف قائلاً لأبى بكر: خذه، فواللّات والعزى، لو آبيت إلّا أن تشتريه بأوقية واحدة لبعته بها.

فيجيبه أبو بكر: واللّه لو آيتم إلّا منه أوقية لدفعتها.

ثمّ اعتقه لوجه الله تعالى، ليواصل جهاده ودعوته إلى الله.

يقول عمار بن ياسر وهو يصف بلالاً وقوته وصموده..

جزى الله خيراً عن بلال وصحبه عتيقاً وأخزى فاكهاً وأبا جهل

عشيّة هما في بلال بسوء ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل

بتوحيده ربّ الأنام وقوله شهدت بأنّ الله ربّي على مهل

فإن يقتلوني يقتلونى فإن أكن لأشرك بالرحمن من خيفة القتل (١)

المواخاة

بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وهاجر المسلمون من مكّة إلى المدينة، راح رسول الله صلى الله عليه وآله يبنى أسس المجتمع المؤمن على أسس متينة، وكانت المواخاة واحدة من تلك الأسس، فأخى بين المهاجرين والأنصار، فكان نصيب بلال من هذه

ص: ١٧٧

المؤاخاة أن أخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين أبى رويحه عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي. ظل هذا العبد الصالح وفياً لهذه الأخوة.

يقول ابن هشام فى سيرته: (فلما دَوَّنَ عمر بن الخطاب الدواوين بالشام، وكان بلال قد خرج إلى الشام، فأقام بها مجاهداً.

قال عمر لبلال: إلى مَنْ تجعل ديوانك يا بلال؟

قال: مع أبى رويحه، لا أفارقه أبداً، للأخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وآله عقد بينى وبينه، فُضِّمَ إليه (١).

الثلة المعذبة وآيات قرآنية

بلال وعمّار وخبّاب وصهيب وأبو جندل... وغيرهم، مؤمنون معذبون انصبّ جام غضب قریش عليهم تجويعاً وتعذيباً وتنكيلاً وسخريّة... وقبل كلّ ما عانوه من آلام وسيّط وظلم واضطهاد...

ظلّ كتابُ الله تعالى يواكبهم فى بعض آياته مواساةً لهم ورعايةً وتثبيتاً ومؤازرةً... كما راحت تعلّم الآخرين من المؤمنين على الاهتمام بهذه الشريحة المؤمنة، وعدم تركها بعيدةً عن اهتمامهم، فتبقى وحيدةً فريدةً أمام جبروت المشركين وطغيانهم حتّى بعد أن أعلن هؤلاء إسلامهم، لكنّ عنجهيتهم الجاهلية وكبرياءهم كانا يبيان عليهم مجاملة هذه الفئة المضطهدة المستضعفة... ظلت سخريتهم تلاحق هؤلاء، وظلّ تعالى عليهم علامة بارزة فى تعاملهم مع الشريحة المؤمنة هذه.. بل مكثوا على سيرتهم هذه وتعاملهم هذا طيلة حياتهم، وكأنّ الإسلام الذى أعلنته ألسنتهم لم يترك أثره على قلوبهم، فظلّوا أقرب للنفاق منه إلى الإيمان بالدين الجديد.. إنّها صفات الجاهلية القذرة

ص: ١٧٨

التي امتزجت بها أرواحهم، وعكفت عليها قلوبهم، وانطوت عليها سريرتهم، ولولا سيف الإسلام؛ لبقوا على حالتهم الأولى وآلهتهم، التي ظلوا عليها وآباؤهم عاكفين.

ومثال واحد نذكره يبين لنا موقف كبار هؤلاء القرشيين من المعذّبين واحتقارهم لهم حتى بعد أن أعلنوا الشهادتين. فقد حضر الناس يوماً باب عمر بن الخطاب في خلافته، وفي هؤلاء الناس أبو سفيان بن حرب وشيوخ من قريش، وكان مع هؤلاء الناس سهيل بن عمرو ابن عبد شمس العامري، وهو الذي عقد صلح الحديبية مع النبي صلى الله عليه وآله ورفض أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، التي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بكتابتها، قائلاً: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم، ورفض أيضاً ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله.. قائلاً: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

هذه مواقف سهيل قبل إسلامه، وما أجمل موقفه بعد إسلامه!

كان مع هؤلاء الناس الذين قدموا للدخول على الخليفة، فبعد أن خرج الإذن من الخليفة الثاني لأهل بدر دون الآخرين، أي لصهيب الرومي وبلال الحبشي وغيرهم من المعذّبين.. لم يتحمل أبو سفيان وزمرته هذا، فقال: ما رأيت كالיום قط، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا.

وهنا تصدّى له سهيل بن عمرو مدافعاً عن هؤلاء المعذّبين، أيها القوم، إني والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضاباً، فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسون فيه.

ثم قال: أيها القوم، إن هؤلاء قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فألزموه، عسى الله عز وجل أن

ص: ١٧٩

يرزقكم الشهادة... (١).

ومن الآيات التي نزلت فيهم:

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢).

ما انفكت قريش تلاحق هؤلاء المعذنين انطلاقاً من ضلالها وعنادها وكبريائها، وظل كبرياؤها وتعنتها يزداد ضد هؤلاء المؤمنين خوفاً من استفحال أمرهم، وبالتالي القضاء على زعامتها وسيادتها التي تطمح أن تخلد لها دون منازع من العالمين؛ لهذا لم تطق قريش ما تراه من إيمان هذه الفئة وصمودها، فراحت تصب عظيم غضبها عليهم، لتحذ من توسع هذا الدين الجديد بين شباب قريش، إن لم توقفه وتميته.. وبذلت جهوداً كبيرة ترغيباً وترهيباً من أجل إعادتهم إلى عبادة آلهتها صاغرين..

فنزلت هذه الآية في هؤلاء المعذنين مثل: بلال وخباب وصهيب وعمار وغيرهم بعد أن مكّتهم الله تعالى في المدينة المنورة بعد هجرتهم، وكانت لهؤلاء منزلة كبيرة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وعند الصحابة، فهذا أبو بكر كان يقول لصهيب: ربح البيع يا صهيب، فقد ذكر أن صهيياً قال لأهل مكة: أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم، وإن كنت عليكم لم يضرّكم، فخذوا مالي ودعوني، فأعطاهم ماله وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

ويروى أن عمر بن الخطاب في خلافته، كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاءً، يقول له: خذ، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما آخره لك أفضل.. ثم يتلو هذه الآية وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا

١-١ انظر الاستيعاب والإصابة في تمييز الصحابة ٢: ١١٠.

٢-٢ سورة النحل: ٤١.

ص: ١٨٠

حَسَنَهُ وَلَآخِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١)

هذا ما ذكره الشيخ الطبرسي في تفسيره.

فيما قال الواحدى في أسبابه: نزلت في أصحاب النبى صلى الله عليه وآله بمكة: بلال، وصهيب، وخباب، وأبى جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم وأذوهم، فبؤأهم الله تعالى المدينة بعد ذلك (٢).
لقد كان ما وعدهم ربهم حقاً حيث بؤأهم مقاماً محموداً في دنياهم ومنحهم أجراً عظيماً في آخراهم. ففازوا بالحسنتين: حسنة الدنيا وحسنة الآخرة.

وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (٣).

لم تجن قريش من قسوتها وتعذيبها للنخبة الفقيرة المعذبة إلّا اليأس والخزي، فقد باءت كل أساليبها القذرة بالفشل وراحت تفكر بطريقة أخرى للتنكيل بهم وملاحقتهم وإنزال العذاب النفسى بهم بعد أن خابت أساليبها الأخرى التى انصبت عليهم طيلة هذه الفترة.
يتمحور أسلوبها الجديد هذا بأن اطرء يا محمد هؤلاء: «عمار وصهيب وبلال وخباب وسلمان وأبو ذر وغيرهم من الفقراء الذين آمنوا به حين كذبه هؤلاء الطغاة، الذين يسمون بالأشراف، ونصروه حين خذله الناس الآخرون، ومنهم هؤلاء الأثرياء وكبار قريش..».
فيكون لنا مجلس معك وكلام؛ لأنه لا يليق بنا أن يضمنا مجلس واحد مع هؤلاء الفقراء العبيد وذوى الثياب الرثة، فتساوى معهم، فلو نحيتهم عن مجلسك؛ لتوافد عليك أهل الثراء والأشراف، وقد نتبعك..

١-١ سورة النحل: ٤١.

٢-٢ أسباب النزول للواحدى: ٢٨٥.

٣-٣ سورة الأنعام: ٥٢.

ص: ١٨١

فكاد هذا الأمر أن يزرع اليأس والإحباط في نفوس هذه الفئة المظلومة لولا أن تدخلت السماء، فنزلت هذه الآية حسماً لهذا الموقف قبل أن يترك آثاره على هؤلاء المعذبين، ويشعر بنشوة النصر كبار قريش وزعمائها.

يقول عبدالله بن مسعود:

مرّ الملاء من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده صهيب وخبّاب وبلال وعمّار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمّد أراضيت هؤلاء من قومك؟

أفنحن نكون تبعاً لهم؟

أهؤلاء الذين منّ الله عليهم؟

اطردهم عنك فلعلّك إن طردتهم اتبعناك، فأنزل الله تعالى: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ....

فيما قال سلمان وخبّاب أيضاً: فينا نزلت هذه الآية، جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينه بن حصين الفزاري وذووهم من المؤلّفة قلوبهم، فوجدوا النبي صلى الله عليه وآله قاعداً مع بلال وصهيب وعمّار وخبّاب في ناس من ضعفاء المؤمنين فحقّروهم، وقالوا: يا رسول الله لو نَحِيت هؤلاء عنك حتّى نخلوا بك، فإنّ وفود العرب تأتيك فنستحي أن يرونا مع هؤلاء العبيد، ثمّ إذا انصرفنا، فإن شئت فادعهم إلى مجلسك، فأجابهم النبي صلى الله عليه وآله إلى ذلك، فقالوا له: اكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً، فدعا بصحيفة وأحضر عليّاً ليكتب.

قالا: ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبرئيل عليه السلام بقوله تعالى: وَلَمَّا تَطَرَّدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ.. إلى قوله: أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ.

فنحى رسول الله صلى الله عليه وآله الصحيفة، وأقبل علينا ودنونا منه، وهو يقول: كتب ربكم على نفسه الرحمة، فكنا نقعد معه (١).

ص: ١٨٢

هذا وكان بلال واحداً من أولئك نفر، الذين راح مشركو مكّة وإن أعلنوا إسلامهم، يلاحقونهم تنديداً وسخريّة، وخاصّة بلال بن رباح الذي ترك خبيّة في نفوسهم تأكل كبرياءهم وتطيح بطغيانهم، وموقفهم هذا كان استمراراً لمواقفهم وهم في مكّة وهم على شركهم حينما سمعوا نبأ إيمان هذه الثلّة من الفقراء، أو العبيد، فعن عكرمة أنّه قال: جاء آل شيبة وعتبة ابنا ربيعة ونفّر معهما سّمّاهم أبو طالب.

فقالوا: لو أنّ ابن أخيك محمّداً يطرد موالينا وحلفاءنا، فإنّما هم عبيدنا وعُسفاؤنا (والعسيف هو الأجير المستهان به) كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، فأتى أبو طالب النبيّ صلى الله عليه وآله فحدّثه بالذي كلّمه، فأنزل الله عزّوجلّ الآية المذكورة ولّا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...

قال: وكانوا بلالاً وعمّار بن ياسر مولى أبي حذيفة بن المغيرة، وسالماً مولى أبي حذيفة بن عتبة، وصبيحاً مولى أسيد، ومن الحلفاء ابن مسعود، والمقداد بن عمرو، وخبّاباً مولى أمّ أنمار.

وفي قوله تعالى: مَا لَنَا لَنَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * اتَّخَذْنَاهُمْ سَخَرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ (١)

قال: يقول أبو جهل: أين بلال أين فلان أين فلان؟ كُنّا نعدّهم في الدّنيا من الأشرار، فلا نراهم في النار! أم هم في مكان لا نراهم فيه، أم هم في النار لا يرى مكانهم؟!

وفي رواية: أين عمّار، أين بلال؟

وعن ابن عباس: كُنّا نعدّهم مِنَ الْأَشْرَارِ خَبَاباً وبلالاً (٢).

١- ١ سورة ص: ٦٢-٦٣.

٢- ٢ مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦٣.

ص: ١٨٣

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١).
تقول الرواية: لما كان يوم الفتح رقى بلال فأذن على ظهر الكعبة، فقال بعض الناس: يا عبد الله، لهذا العبد الأسود، وفي قول أصح (فقال بعض الناس: يا لله! هذا العبد الأسود أن يؤذن) أن يؤذن على ظهر الكعبة! فقال بعضهم: إن يسخط الله يغيره.
وفي خبر أنه لما جاء أمر النبي صلى الله عليه وآله بلالاً أن يؤذن على ظهر الكعبة، وقريش فوق الجبال، فمنهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد آمن.

فلما أذن وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت جويرية بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة!
وقال خالد بن أسد: لقد كرم الله أبي، فلم ير هذا اليوم! فيما قال الحارث بن هشام: ليتني مت قبل هذا! وقال جماعة نحو هذا (٢).
فأنزل الله جل ذكره الآية المذكورة أعلاه (٣).

مكانته عند رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين

لقد حظى المعذبون بمكانة عظيمة أخرى.. إضافةً إلى مكانتهم في القرآن الكريم - فقد كان يحبهم رسول الله صلى الله عليه وآله ويأنس بهم، يجالسهم، يحدثهم، يأكل مما يأكلون، لا يميز بينهم، إلا أن بلالاً كان يحظى بمعية رسول الله صلى الله عليه وآله وبمنزلة أقرب عنده..

حتى راح الصحابة يكرمون هذه الثلة المؤمنة المعذبة إكراماً لله ولرسوله.
تقول الرواية، عن عائذ بن عمرو: إن أبا سفيان مرَّ على سلمان وصهيب

١- ١ الحجرات: ١٣.

٢- ٢ انظر قاموس الرجال للتستري ٢: ٣٩٨.

٣- ٣ مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦٣.

ص: ١٨٤

وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها.

فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟

وأتى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره.

فقال صلى الله عليه وآله: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ وإن كنت أغضبتهم، لقد أغضبت ربك».

فأتاهم أبو بكر، فقال: يا إخوانه، أغضبتكم؟ قالوا: ما غضبنا، يغفر الله لك يا أخى (١).

فبقى الصحابة يجالونهم ويكرمونهم، لما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله بحقهم، ولما رأوه من عنايته بهم وتفقهه لهم.

ومن علو مكانته عند رسول الله ورفعته أن كانوا ينسبونه إليه فيقولون:

بلال رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد حدث مرة أن شاعراً امتدح شخصاً اسمه بلال وكان ابن عبد الله بن عمر، فقال في شعره من الطويل:

بلال بن عبد الله خير بلال

فقال له ابن عمر: كذبت، بل بلال رسول الله صلى الله عليه وآله خير بلال.

ولم يعهد من عمر بن الخطاب إلا أنه كان ينادى بلالاً (سيدنا) وكان يأذن له ولإخوانه المعذنين بدخول مجلسه قبل أن يأذن لشيوخ قريش وأشرافها كما مر بنا.

وفى خبر آخر - يدل على ملاحقة رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه تربيةً وتهذيباً من أدران الجاهلية وما علق بنفوسهم منها -

يقول: عيّر أبو ذرّ بلالاً بأمه فقال: يابن السوداء! وإنّ بلالاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فغضب! فجاء أبو ذرّ ولم يشعر،

فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وآله، فقال: ما أعرضك عنى إلأشىء بلغك يارسول الله، قال:

أنت الذى تعيّر بلالاً بأمه؟

ص: ١٨٥

قال النبي صلى الله عليه وآله: والذي أنزل الكتاب على محمد - أو ما شاء الله أن يحلف - ما لأحدٍ على أحدٍ فضل إلا بعمل، إن أنتم إلا كطف الصاع.

أي كلكم قريب، بعضكم من بعض، فليس لأحد فضل إلا بالتقوى؛ لأنّ طف الصاع قريب من ملئه، فليس لأحد أن يقرب الإناء من الامتلاء (١).

وفي رواية تقول: إنّ بنى أبي البكير جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: زوج أختنا فلاناً، فقال لهم: أين أنتم من بلال؟

ثمّ جاؤوا مرّة أخرى، فقالوا: يا رسول الله أنكح أختنا فلاناً.

فقال: أين أنتم عن بلال؟

ثمّ جاؤوا الثالثة فقالوا: أنكح أختنا فلاناً.

فقال: أين أنتم عن بلال، أين أنتم عن رجل من أهل الجنّة؟!

قال زيد بن أسلم صاحب هذه الرواية: فأنكحوه (٢).

رحمتها رحمك الله

وحظى بلال بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله له بالرحمة حينما مرّ بلال ببيت من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه،

حيث يقول بلال: مررتُ على فاطمة عليها سلام الله، وهى تعالج الرّحا، قال: وابنها الحسين يبكي، قال: وحانت الصلاة، قال بلال:

فقلت لفاطمة: أيما أعجب إليك؟! أكفيك الرّحا أو الصبي؟

فقال فاطمة: أنا ألطف بصبي.

قال: فأخذتُ بقيّة الطحن، فطحنته عنها.

١- ١ مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦٢، وانظر لسان العرب: طفف.

٢- ٢ مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦٢.

ص: ١٨٦

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

يا بلال ما حبسك؟

فقلت: يا رسول الله، مررت على فاطمة وهي تعالج الرّحاً، فأعنتها على طحنها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحمتها رحمك الله (١).

ذرني أذهب إلى الله:

كلمات ما أعظمها نطق بها لسان هذا العبد الصالح! فقد قال يوماً لأبي بكر: إن كنت أعتقتني لله فدعني حتى أعمل لله، أو فذرني

أذهب إلى الله. وإن كنت أعتقتني لتتخذني خادماً فاتخذني.

فبكي أبو بكر وقال: إنما أعتقتك لله، فاذهب فاعمل لله تعالى.

ولما كانت خلافة أبي بكر، تجهّز بلال ليخرج إلى الشام.

فقال له أبو بكر: ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذا الحال، لو أقمت معنا فأعنتنا.

قال: إن كنت إنما أعتقتني لله تعالى، فدعني أذهب إليه، وإن كنت أعتقتني لنفسك فاحبسني عندك.

بلال المؤذن وأجره العظيم

روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد بشر بلالاً والمؤذنين بالجنة:

نعم المرء بلال، ولا يتبعه إلّا مؤمن، وهو سيّد المؤذنين، والمؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة.

يحشر المؤذنون يوم القيامة على نوق من نوق الجنة، يقدمهم بلال رافعي أصواتهم بالأذان، ينظر إليهم الجمع، فيقال: من هؤلاء؟

فيقال: مؤذّنو أمّة

ص: ١٨٧

محمّد صلى الله عليه وآله، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون.
 اتّخذوا السودان، فإنّ ثلاثه منهم من سادات الجنّة، لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال المؤذن.
 أبشر يا بلال، فقال: بيم تبشّرني يا عبد الله بن عمر؟
 فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يجيء بلال يوم القيامة معه لواء يتبعه المؤذّنون حتّى يدخلهم الجنّة.
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ... ثمّ نظر إلى بلال فقال:
 يُحشر هذا على ناقه من نوق الجنّة، فيقدّمنا بالأذان محضاً، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلّا الله، قالت الأنبياء مثلها: ونحن نشهد أن لا إله إلّا الله.
 فإذا قال: أشهد أن محمّداً رسول الله، فمن مقبول منه ومردود عليه.
 قال: فيتلقي بحلّه من حلل الجنّة، وأول من يكتسى يوم القيامة من حلل الجنّة بعد الأنبياء، الشهداء وصالح المؤذّنين.
 وفي رواية أخرى: وأول من يكتسى من حلل الجنّة بعد النبيين والشهداء بلال وصالح المؤذّنين.
 .. أنفق يا بلال، ولا تخشى من ذى العرش إملاقاً.
 «يا بلال مت فقيراً ولا تمت غنياً» قلت: فكيف لي بذلك يا رسول الله، كيف لي بذلك؟ قال: «هو ذلك أو النار».
 وعن أنس بن مالك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشتاقت الجنّة إلى ثلاثة: إلى عليّ، وعمرار، وبلال.
 يا بلال، ليس شيء أفضل من عملك، إلّا الجهاد في سبيل الله.
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم المرء بلال، وهو سيّد المؤذّنين».
 وفي أخرى: يجيء بلال يوم القيامة مع لواء يتبعه المؤذّنون حتّى يدخلهم الجنّة.

ص: ١٨٨

من صفاته الجميلة: الصدق والتواضع

لم تزد سابقته في الإسلام وجهاده وعطاؤه واحترام رسول الله صلى الله عليه وآله له وحبه إياه واحترام المسلمين له، إلّا تواضعاً وحياءً وصدقاً، لم يكن يسمع كلمات المدح والثناء توجه إليه، وتغدق عليه، إلّا ويحني رأسه ويغض طرفه ويقول ودموعه على وجنتيه تسيل: إنما أنا حبشي.. كنت بالأمس عبداً..!

وتقول الرواية:

خطب بلال رضي الله عنه، وأخوه إلى أهل بيت من اليمن.

فقال: أنا بلال، وهذا أخي، عبدان من الحبشة، كُنا ضالين، فهدانا الله، وكُنا عبيدين فأعتقنا الله، إن تنكحونا فالحمد لله، وإن تمنعونا فالله أكبر (١).

وفي رواية أن أخاه كان يزعم أنه من العرب، فخطب امرأة من العرب، فقالوا:

إن حضر بلال بن رباح، وهذا أخي وهو امرؤ سوء في الخلق والدين، فإن شئتم أن تزوجه فزوجه، وإن شئتم أن تدعوا فدعوا، فقالوا: من تكون أخاه تزوجه فزوجه.

مواقف تغضبهم

طالما كان بلال يبحث عن أي موقف أو كلمة يغضب بهما الكفار والظالمين، بل يغضبهم وغضبهم عليه، يعد في قاموسه عزاً له وسعادةً يكتسبها في الدنيا والآخرة، انطلاقاً من قوله تعالى: وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٢).

فقد كان بلال من السبعة الأوائل، الذين أعلنوا إسلامهم، فكان موالى بلال

١- ١ الطبقات الكبرى ٣: ٢٣٧.

٢- ٢ التوبة: ١٢٠.

ص: ١٨٩

يأخذونه فيضجعونه في الشمس، ثم يأخذون الحجر فيصفونه على بطنه ويعصرونه، ويقولون: دينك اللات والعزى. فيقول: ربى الله، ويقول: أحد أحد، فقال: وإيهم الله، لو أعلم كلمة هي أغبط لكم منها لقلتها. دخل رسول الله صلى الله عليه وآله الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذن. وأبو سفيان وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام، جلوس بفناء الكعبة. فقال عتاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه مُحَقَّقٌ لا تبغته. فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى. فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وآله، فقال: قد علمت الذى قلت، ثم ذكر لهم. فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما أطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول أخبرك. وفي خبر آخر- ما كان أعظمه وأشدّه على قلب بلال- لما كان يوم الفتح، رقى بلال فأذن على ظهر الكعبة، فقال بعض الناس:... لهذا العبد الأسود أن يؤذن على ظهر الكعبة. فقال بعضهم: إن يسخط الله بغيره، وقال آخر يخاطب أبا جهل فى قبره:.... ولا تنظر هذا الحمار ينهق. حقاً ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار....

الجزاء العادل

لم ينس بلال أمية أبداً... أمنيّة راودته بل عاشت فى كيانه وأخذت عليه حياته، أن يمكّنه الله منه، وقد كان لا ينساه، لأنّه معذّبه ومخرجه من مكّة، يقول الخبر: كان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ص: ١٩٠

ألا ليت شعري هل أبيت ليلاً بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليل
وهل أردد يوماً مياه مجنّته وهل يندون لي شامهً وطفيل

ثم يبدأ بلعنهم: اللهم العن عتبه بن ربيعة وشيبه بن ربيعة وأميه بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض البواء (١).
حتى جاءت معركة بدر، فكان اللقاء، وكانت تصيفه الحساب..

نعم، تأتي بدر وتقع قريش في هزيمة نكراء، حلت بها، ولقنتها درساً عجيباً... وهنا هم أميه بن خلف بالنكول، لولا أن صديقه عقبه بن أبي معيط وهو المحرض على تعذيب المؤمنين، أخذ يحفره ويشجعه حيث جاءه حاملاً معه (مجمرة) حتى إذا واجهه وهو جالس وسط قومه، ألقى الجمرة بين يديه وقال له: يا أبا علي استجمر بهذه، فإنما أنت من النساء.. وصاح به أميه قائلاً: قبحك الله، وقبح ما جئت به.. ثم لم يجد إلّا أن يترك نكوصه ويخرج إلى بدر، ليتقدم في المعركة..

هذا ما شاءه الأقدار.. حيث خرج أميه للمعركة واشتجرت الأسنة وتعانقت السيوف.. فالتقى الخصمان وجهاً لوجه.. إنه أميه وهو يسمع انشودة بلال وشعاره أحدٌ أحد.. إنه بلال!

نعم أميه بن خلف.. بلال بن رباح

زعيم من زعماء قريش.. عبد حبشي.. إنه الكفر كله قبال الإيمان كله.

حقاً، إنها إرادة الله، يخذل الطغاة وينصر المستضعفين المعذبين: وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ.

فيصرخ بلال بأعلى صوته: إنه «رأس الكفر أميه بن خلف..» ثم يعلو صوته، صوت المعذب: لا نجوت إن نجا، لا نجوت إن نجا...
وينقض عليه بلال بسيفه كالأسد الهصور ليقضي عليه، بضربة نجلاء،

ص: ١٩١

قاضية نافذة، يروى بها ظمأ الهاجرة في فؤاده، لولا أن صاح به عبد الرحمن بن عوف، فيقول: أي بلال.. إنه أسيرى. لم يقنع بلال نفسه بهذا الأسر، لرأس طالما أثقله الكبر والغرور.. وهنا وقف بلال وهو في أعلى درجات غضبه، كاسف البال مهموماً، فهو يريد أن ينتقم من أكبر أعداء الله والإسلام. لكن حمى عبد الرحمن بن عوف مصون.. فقد غنم أدرعاً يوم بدر فمرّ بأميّة بن خلف وابنه، فقال له: نحن خير لك من هذه الأدرع - أي خذنا أسيرين نسلم من القتل وتأخذ فداءنا فطرح الأدرع وأخذ بيدهما ومشى بهما.. إلّا أنه خسر الأدرع وخسر أسيره أميّة، فقد قتل هذا الأخير حتّى قال عبد الرحمن: رحم الله بلالاً ذهب إدراعى وفجعنى بأسيرى.

فقد التفت بلال إلى الجموع المقاتلة من المسلمين ليؤلّبهم ويستعديهم على هذا الظالم، وإن تركه هو رعاية لحمى عبد الرحمن، فليروا رأيهم فيه، وهو يتمنى أن لا يتركوه حيّاً.. فإن لم يستطع أن يشفى بيده قلبه... فليدع الأمر لهم. فصاح بهم إنه أميّة بن خلف، يا أنصار الله، رأس الكفر أميّة بن خلف.. لا نجوت إن نجا.. إلّا أنه حيل بينه وبين ما يريد.. فانقضّ عليه المسلمون ضاربين حراهم ومسدّدين قذائفهم إلى صدر غريمهم، وعدوّ الإسلام، وفي هذه اللحظة لم يستطع عبد الرحمن بن عوف أن يحميه (١).

وهناك من يقول: إنّ بلالاً هو الذى قتله، حتّى قال فيه أحد الشعراء أبياتاً منها قوله:

هنيئاً زادك الرحمن خيراً فقد أدركت ثارك يا بلال (٢)

١- ١ انظر صحابة النبى للجميلى: ١٧٦.

٢- ٢ انظر أعيان الشيعة ٣: ٦٠٤.

ص: ١٩٢

وقد يسأل سائل: لماذا لم يصفح بلال الصفع الجميل؟

إن من يطلب ذلك، عليه أن يجعل نفسه مكان بلال نفسه، وأن يمرّ بما مرّ به بلال وما ناله من معذّبيه، ونترك خالد محمّد خالد يجيب عن هذا التساؤل:

لا أظنّ أنّ من حقنا أن نبحث عن فضيلة التسامح لدى بلال في مثل هذا المقام.

فلو أنّ اللقاء بين بلال وأميّة تمّ في ظروف أخرى؛ لجاز لنا أن نسأل بلالاً حقّ التسامح، وما كان لرجل في مثل إيمانه وتقواه أن ييخل به.

لكن اللقاء الذي تمّ بينهما، كان في حرب، جاءها كلّ فريق ليفنى غريمه..

السيوف تتوهّج، والقتلى يسقطون... والمنايا تتواثب، ثمّ يبصر بلال أميّة الذي لم يترك في جسده موضع أنملة إلّا ويحمل آثار تعذيبه..

وأيّن يبصره وكيف؟

يبصره في ساحة الحرب والقتال، يحصد بسيفه كلّ ما يناله من رؤوس المسلمين، ولو أدرك رأس بلال ساعتئذ؛ لطوّح به..

في ظروف كهذه يلتقي الرجلان فيها، لا يكون من المنطق العادل في شيء أن نسأل بلالاً: لماذا لم يصفح الصفع الجميل؟!

بلال والفاجعة الكبرى

ظلّ بلال مواكباً لرسول الله صلى الله عليه وآله طيلة حياته الإيمانيّة معه، قريباً منه، وعينان تتبركان برؤيته.. فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنّه في هذه المرّة وجدته مسجّى على فراشه.

فما كان منه وهو الحبيب إلّا أن انحدرت دموعه غزيرة، واستقرّ حزنه في قلبه.

نزل الأمر المحتوم، صلّى على الجثمان الطاهر، ثمّ خرج ودموعه على وجنتيه..

وما إن دفن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جلس بلال في زاوية من زوايا المسجد وحده

ص: ١٩٣

فى حزن عظيم.. وظل هكذا متألماً باكياً حتى حان وقت الأذان، والمسلمون ينتظرون بلالاً وصوته الندى.. لكنه لم يؤذن.
وأحس بالفراغ الكبير، ثم راح يتساءل مدهوشاً لمن يؤذن؟

لم ينم حتى الصباح، حيث اللقاء فى المسجد، فحان وقت صلاة الفجر، وعلى بلال أن يؤذن لها..
فقال له: الأذان يا بلال.

ارتفع صوت بلال ندياً جميلاً رائعاً:

الله أكبر الله أكبر

الله أكبر الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن لا إله إلا الله

وهنا عادت المصيبة ماثلة أمام عينيه.. فاحتبست الشهادة الثانية فى فيه، وحشرت آهاته فى صدره.. وانهمرت دموعه.. ولم يتمالك
نفسه فراح الجميع يشاركه البكاء..

بقى بلال طويلاً لا ينطق بها... ثم تغلب الرجل على عواطفه وأحزانه وعبراته المتدفقة فنطق بها، ولكن بصوت هادئ هذه المرة ثم
أكمل فصول الأذان، إنه الأذان الأخير..

فقال والدموع فى عينيه: لن أؤذن بعد اليوم، فليؤذن غيرى، وفعلما ظل هكذا ولم يؤذن، وحتى بعد أن تولى الخلافة أبو بكر، وقال
لبلال: أذن.

فأبى بلال وقال له: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكنى، وإن كنت اشتريتني لله، فدعنى وعملى لله، فقال أبو بكر: ما أعتقتك
إلا لله.

فأجابه بلال والحزن مرتسم على وجهه: فإننى لا أؤذن.

ثم لم يطق البقاء فى المدينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وحاول مرات أن يخرج إلى

ص: ١٩٤

الجهاد في أي مكان كان بعيداً عن أجواء المدينة.

إلّا أن جمعاً من الصحابة منعوه، وكان منهم أبو بكر، حيث قال له متوسلاً:

أنشدك بالله يا بلال! وحرمتي وحقّي، فقد كبرت وضعفت واقترب أجلى، فأقام معه حتى توفي (١).

وفي خلافته عمر ألح عليه أن يؤذن فأبى.

فقال له: إلى من ترى أن أجعل النداء؟

قال: إلى سعد، فقد أذن لرسول الله صلى الله عليه وآله، فجعله إلى سعد وعقبه (٢).

ثم قرّر بلال أن يخرج إلى الجهاد في الشام، فذهب إلى عمر يستأذنه بالخروج فقال له:

ألا تبقى يا بلال بجواري، كما كنت بجوار النبي صلى الله عليه وآله وبجوار أبي بكر؟

فقال بلال: أحزنّ إلى الجهاد يا أمير المؤمنين، وأرى الجهاد من أفضل الأعمال.

فقال له عمر: لك ما تريد يا بلال.

وأذن له، فخرج إلى الشام ولحق بجيش أبي عبيدة الجراح، وظلّ مجاهداً في سبيل الله.

ويزور عمر بن الخطّاب الشام أثناء خلافته، ويلتقي مع بلال، ويتوسّل المسلمون إلى عمر أن يطلب من بلال ليؤذن لهم ولو بصلاة

واحدة!

ولما حان وقت الصلاة، رجاه عمر أن يؤذن لها، واستجاب بلال لطلبه، وصعد بلال، فأرّهف الناس سمعهم، وانطلق صوته الندى يسرى

كالنسيم، ويسمع الناس صوته للمرّة الأولى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ولم يُر يوماً كان أكثر باكياً من

١- ١ سير أعلام النبلاء ١: ٣٥٦.

٢- ٢ سير أعلام النبلاء ١: ٣٥٦-٣٥٧.

ص: ١٩٥

يومئذٍ، ذكراً منهم للنبي صلى الله عليه وآله (١).

بلال عند علماء الرجال والحديث

كانت لبلال منزلة كبيرة ومروفة عند علماء الرجال والحديث، ولم أجد - فيما تيسر لي - قادحاً دائماً له أبداً، نذكر شيئاً مما قاله بعضهم فيه:

فقد قال عنه الشيخ الطوسي في رجاله:

شهد بدرأ، وتوفي بدمشق، في الطاعون سنة (١٨)، كنيته أبو عبد الله، وقيل:

أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الكريم وهو بلال بن رباح، مدفون بباب الصغير بدمشق، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقال عنه الكشي: كان بلال عبداً صالحاً.

وروى الصدوق في باب الأذان والإقامة من الفقيه:

... عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام أنه قال: إن بلالاً كان عبداً صالحاً، فقال: لا أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فترك يومئذٍ (حي على خير العمل).

وروى أيضاً: أنه لما قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، امتنع بلال من الأذان، وقال: لا أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن فاطمة عليها السلام قالت ذات يوم: إنني أشتي أن أسمع صوت مؤذن أبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبلغ ذلك بلالاً، فأخذ في الأذان، فلما قال: الله أكبر، الله أكبر، ذكرت أباهما عليه السلام وأيامه فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلى قوله: أشهد أن محمداً رسول الله، شهقت فاطمة عليها السلام شهقة، وسقطت لوجهها وغشى عليها.

فقال الناس لبلال: أمسك يا بلال، فقد فارقت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا، وظنوا أنها قد ماتت، فقطع أذانه ولم يتمه.

فأفاقت فاطمة عليها السلام وسألته أن يتم الأذان، فلم يفعل، وقال لها: ياسيدة النسوان، إنني أخشى عليك مما تنزلي به بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته

ص: ١٩٦

عن ذلك (١).

وروى منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لما هبط جبرئيل عليه السلام بالأذان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان رأسه في حجر على عليه السلام، فأذن جبرئيل عليه السلام وأقام، فلما انتبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: يا علي سمعت؟

قال عليه السلام: نعم يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: حفظت؟

قال: نعم.

قال: ادع بلالاً، فعلمه.

فدعا بلالاً، فعلمه (٢).

هذا وقد ذكر الصدوق في الفقيه حديثاً طويلاً لبلال، يحدث به عما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حول المؤذنين، وظيفتهم، وأجرهم ... (٣).

وعن المجلسي الأول أنه قال: رأيت في بعض كتب أصحابنا عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام، وعن أبي البختری قال: حدثنا عبد الله بن الحسن أن بلالاً أبا أن يبيع أبا بكر وأن عمر أخذ بتلابيبه، وقال له: يا بلال هذا جزاء أبي بكر منك أن أعتقك، فلا تجيء تباعه.

فقال: إن كان قد أعتقني لله فليدعني لله، وإن كان أعتقني لغير ذلك، فها أنذا، وأما بيعته فما كنت أبيع من لم يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والذي استخلفه بيعته في أعناقنا إلى يوم القيامة.

فقال له عمر: لا أبا لك، لا تقم معنا، فارتحل إلى الشام وتوفي بدمشق ودفن بباب الصغير، وله شعر في هذا المعنى:

١- ١ من لا يحضره الفقيه، للصدوق ١: ٢٩٨.

٢- ٢ انظر معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ٤: ٢٧٠-٢٧٢.

٣- ٣ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٢-٢٩٧.

ص: ١٩٧

باللّٰه لا بأبى بكر نجوت ولو لا اللّٰه نامت على أوصالى الضبع

اللّٰه بوأنى خيراً وأكرمنى وإنّما الخير عند اللّٰه يتبع

لا تلقينى تبوعاً كلّ مبتدع فلست مبتدعاً مثل الذى ابتدعوا (١)

ولا بدّ لى من كلمته ولو قصيرة: إنّ ترك بلال المدينة والابتعاد إلى الشام يبدو أنّه لا يخلو من موقف من الوضع القائم بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله، وحتى امتناعه من الأذان.

وختاماً

لم تكتب لهذا الصحابى الجليل الشهادة التى تمنّاها طويلاً، وسعى إليها سعيّاً حثيثاً أى مسرعاً حريصاً على أن ينالها فيلتحق بركبها، ركب الشهداء، إلّا أنّ السماء شاءت لهذا العبد الصالح أن يبقى متعلّقاً بوصالها، مشتاقاً لها... حتى كان مواعده مع الطاعون الذى اجتاح الشام يومذاك فقضى على حياة الكثير، وأصيب به بلال سنة عشرين للهجرة فكانت وفاته بدمشق، وبعد أن أُصيب بلال به وتغيّر لونه وغارت عيناه، قالت له زوجته مواسيةً:

كيف حالك يا أبا عبد الله؟

فكان يقول لها: دنا الفراق.

فقالت له: واحزنه.. واحزنه..

وعندها، فتح بلال عينيه، وهو يصارع المرض ويوجد بأنفاسه الأخيرة.

بل، وافرحتاه، غداً نلقى الأحبّة، محمّداً وصحبه!!

إذ حرمت يا بلال من الشهادة، وكنت حريصاً عليها حرصاً شهد لك به الجميع منذ لحظات إسلامك الأولى، فإنّك لم تحرم أجرها

ومنزلتها عند مليكٍ مقتدر... دفن فى مقبرة.. فى دمشق بباب الصغير...

فسلام عليك عبداً صالحاً وفياً...

علل الحجّ في كتب الصدوق (٣) ابواب علل الاحكام وغيرها

ص: ١٩٨

علل الحجّ في كتب الصدوق (٣) ابواب علل الأحكام وغيرها

فارس حسّون كريم

١٧- باب علّة عدم عدوبة ماء زمزم في وقت دون وقت

١- عن ابن عقبة، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ذكر ماء زمزم، فقال: تجرى إليها عين من تحت الحجر، فإذا غلب ماء العين عذب ماء زمزم (١).

١٨- باب علّة تحريم المسجد والحرم، ووجوب الإحرام

١- عن العباس بن معروف، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: حرّم الله المسجد لعلّة الكعبة، وحرّم الحرم لعلّة المسجد، ووجب الإحرام (٢) لعلّة الحرم (٣).

١- ١ المحاسن للبرقي ٢: ٤٠٠ ح ٢٣، الكافي ٦: ٣٨٦ ح ٢، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٥ ضمن ح ٢١٢١، علل الشرائع: ٤١٥ ب ١٥٥ ح ١، روضة المتّقين ٤: ٢٢-٢٣، بحار الأنوار ٩٩: ٢٤٣ ح ٤ و ٥، مرآة العقول ٢٢: ٢٣٧ ح ٢.

٢- ٢ أي للحجّ والعمرة.

٣- ٣ المحاسن للبرقي ٢: ٥٥ ح ٩١، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٥ ح ٢١٢٢، علل الشرائع: ٤١٥ ب ١٥٦ ح ١، روضة المتّقين ٤: ٢٣، وسائل الشيعة ١٢: ٣١٤ ح ٥، وج ١٣: ٢٢٤ ح ٥، بحار الأنوار ٩٩: ٤٣ ح ٢٨ وص ١٣٤ ح ٥.

ص: ١٩٩

٢- عن عبدالله بن محمد الحجاج، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال:

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْكَعْبَةَ قِبْلَةً لِأَهْلِ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلَ الْمَسْجِدَ قِبْلَةً لِأَهْلِ الْحَرَمِ، وَجَعَلَ الْحَرَمَ قِبْلَةً لِأَهْلِ الدُّنْيَا (١).

٣- عن حميد بن المثنى العجلي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: كانت بنو إسرائيل إذا قَرَّبَتِ الْقُرْبَانَ تَخْرُجُ نَارٌ فَتَأْكُلُ قُرْبَانَ مَنْ قَبْلَ

منه، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْإِحْرَامَ مَكَانَ الْقُرْبَانِ (٢). (٣) ١٩- بَابُ عِلَّةِ التَّلْبِيَةِ

١- عن عبيدالله بن عليّ الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألته: لِمَ جَعَلْتَ التَّلْبِيَةَ؟

فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَوْحَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا (٤)

فَنَادَى فَاجِيبْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ (٥) عميق يلتون (٦).

١- ١ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٥ ح ٢١٢٣، علل الشرائع: ٢: ٤١٥ ح ٢، تهذيب الأحكام ٢: ٤٤ ح ٧، روضة المتقين ٤: ٢٤، وسائل الشيعة

٤: ٣٠٣ ح ١ وص ٣٠٤ ح ٣، بحار الأنوار ٨٤: ٥٠ ذ ح ٤، ملاذ الأخيار ٣: ٤٣٥ ح ٧.

٢- ٢ قال المولى محمد تقى المجلسى رحمه الله: روى أنهم - أى بنو إسرائيل - كانوا إذا عبدوا الله سنين قَرَّبُوا قُرْبَانًا، فَإِنْ جَاءَتْ نَارٌ

وَأَحْرَقَتْ قُرْبَانَهُمْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ أَعْمَالَهُمْ، فَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّ الْإِحْرَامَ فِي هَذِهِ الْأَمَّةِ عِلَّةٌ لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَوْ مُطْلَقًا.

وقال ابنه العلامة محمد باقر المجلسى رحمه الله: يحتمل أن يكون المراد أن الإحرام بمنزلة تقريب القربان، وذبح الهدى بمنزلة قبولها،

أو المراد أن الإحرام مع سياق الهدى بمنزلة القربان.

٣- ٣ الكافي ٤: ٣٣٥ ح ١٦، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠٣ ح ٢١٣٩، علل الشرائع: ١٥ ح ٤٣، روضة المتقين ٤: ٤٥، وسائل الشيعة ١٢:

٣١٣ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ١٣٤ ح ٦، مرآة العقول ١٧: ٢٦٥ ح ١٦.

٤- ٤ سورة الحج: ٢٧.

٥- ٥ الفج: الطريق الواسع البعيد.

٦- ٦ الكافي ٤: ٣٣٥ ح ١، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٥ ذ ح ٢١٢٣، علل الشرائع: ٤١٦ ب ١٥٧ ح ١، روضة المتقين ٤: ٢٤، وسائل

الشيعة ١٢: ٣٧٤ ح ١، بحار الأنوار ١٢: ١٠٧ ح ٢٠، وج ٩٩: ١٨٤ ح ١١، مرآة العقول: ١٧: ٢٦٥ ح ١.

ص: ٢٠٠

٢- عن عبد الكريم الحلبي (١)، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - قال: قلت:

فَلِمَ جعل التلبية؟

قال عليه السلام: لَأَنَّ اللَّهَ قال لإبراهيم: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ فضعِد إبراهيم عليه السلام على تلّ، فنادى وأسمع، فاجيب من كل وجه (٢).

٣- عن سليمان بن جعفر، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن التلبية وعلتها، فقال:

إِنَّ النَّاسَ إِذَا أَحْرَمُوا ناداهم الله تعالى ذكره، فقال: عبادي وإمائي لأحرمنكم على النار كما أحرمتكم لي، فيقولون: لئيك اللهم لئيك، إجابة لله عز وجل على ندائه إياهم (٣).

٤- عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام، فقال: يا ابن رسول الله، أخبرني عن قول الله عز وجل: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤) ما تفسيره؟

فقال: لقد حدثني أبي، عن جدّي، عن الباقر، عن زين العابدين، عن أبيه عليهم السلام أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن قول الله عز وجل: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ما تفسيره؟

فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ هو أن عَزَّ اللَّهَ عباده بعض نعمه عليهم جملاً، إذ لا يقدرُونَ على معرفته جميعها بالتفصيل لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف، فقال لهم: قولوا: الحمد لله على ما أنعم به علينا رب العالمين، وهم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات.

١- ١ لعل الصحيح: عبد الكريم، عن الحلبي.

٢- ٢ المحاسن للبرقي ٢: ٥٦ ح ٩٣، مستطرفات السرائر: ٣٥ ح ٤٤، وسائل الشيعة ١١: ٢٣٨ ح ٣٧، بحار الأنوار ٩٩: ٤٣ ضمن ح ٢٩.

٣- ٣ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٦ صدر ح ٢١٢٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٨٣ ح ٢١، علل الشرائع: ٤١٦ ح ٢، روضة المتقين

٤: ٢٥، وسائل الشيعة ١٢: ٣٧٥ ح ٣، بحار الأنوار ٩٩: ١٨٤ ح ١٠.

٤- ٤ سورة الفاتحة: ١.

ص: ٢٠١

أما الحيوانات فهو يقبلها في قدرته، ويغذوها من رزقه، ويحوطها بكنفه (١)، ويدبر كلاً منها بمصلحته.

وأما الجمادات فهو يمسكها بقدرته، يمسك المتصل منها أن يتهافت، ويمسك المتهافت (٢) منها أن يتلاصق، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره، إنه بعباده لرؤوف رحيم.

قال عليه السلام: رَبِّ الْعَالَمِينَ مالِكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم، من حيث هم يعلمون، ومن حيث لا يعلمون، والرزق مقسوم، وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الدنيا، ليس تقوى متقى بزائدة، ولا فجور فاجر بناقصه، وبيننا وبينه ستر وهو طالبه، ولو أن أحدكم يفر من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت.

فقال الله جلّ جلاله: قولوا: الحمد لله على ما أنعم به علينا، وذكرنا به من خير في كتب الأولين قبل أن نكون.

ففي هذا إيجاب على محمد وآل محمد وعلى شيعتهم أن يشكروه بما فضلهم، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما بعث الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام واصطفاه نجياً وخلق له البحر ونجى بنى إسرائيل، وأعطاه التوراة والألواح، ورأى مكانه من ربه عز وجل فقال: يارب، لقد أكرمتني بكرامته لم تكرم بها أحداً قبلي.

فقال الله جلّ جلاله: يا موسى، أما علمت أن محمداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقى؟

قال موسى عليه السلام: يارب، فإن كان محمد أكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟

قال الله جلّ جلاله: يا موسى، أما علمت أن فضل آل محمد على جميع النبيين

١- ١ أى يحفظها ويصونها ويذب عنها.

٢- ٢ التهافت: التساقط قطعة قطعة. «الصحاح ١: ٢٧١- هفت».

ص: ٢٠٢

كفضل محمد على جميع المرسلين؟

فقال موسى عليه السلام: يارب، فإن كان آل محمد كذلك فهل في امم الأنبياء أفضل عندك من امتي، ظللت عليهم الغمام (١)، وأنزلت عليهم المن والسلوى (٢)، وفلقت لهم البحر؟

فقال الله جلّ جلاله: يا موسى، أما علمت أن فضل الله محمد على جميع الامم كفضله على جميع خلقى؟ فقال موسى عليه السلام: يارب، ليتنى كنت أراهم.

فأوحى الله عزوجلّ إليه: يا موسى، إنك لن تراهم، وليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنان جنّات عدن والفردوس بحضرة محمد في نعيمها يتقلبون، وفي خيراتها يتبححون (٣)، أفتحب أن اسمعك كلامهم؟

قال: نعم، يا إلهي.

قال الله جلّ جلاله: قم بين يدي، واشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، ففعل ذلك موسى عليه السلام فنادى ربنا عزوجلّ: يا أمّيه محمّد، فأجابوه كلّهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام امهاتهم: لبيك اللهمّ لبيك، لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

قال: فجعل الله عزوجلّ تلك الإجابة منهم شعار الحجّ.

ثم نادى ربنا تعالى: يا أمّيه محمّد، إنّ قضائي عليكم أن رحمتي سبقت غضبي، وعفوي قبل عقابي، فقد استجبت لكم من قبل أن تدعوني، وأعطيتكم من قبل أن

١-١ العمام: السحاب الأبيض: «مجمع البحرين ٦: ١٢٨-غمم».

٢-٢ المن: شيء حلو، كان يسقط من السماء على شجرهم فيجتونه، ويقال: ما من الله به على العباد بلا- تعب ولا- عناء. «مجمع البحرين ٦: ٣١٨-من».

والسلوى: طائر. «الصحاح ٦: ٢٣٨٠-سلا».

٣-٣ التبجج: التمكن في الحلول والمقام. «الصحاح ١: ٣٥٤-بحج».

وفي بعض المصادر: يتبححون: أي يتنعمون.

ص: ٢٠٣

تسألوني، من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، صادق في أقواله، محق في أفعاله، وأنَّ علي بن أبي طالب أخوه ووصيه من بعده ووليه، ملتزم طاعته كما يلزم طاعة محمداً، وأنَّ أوليائه المصطفين المطهرين المبينين (١) بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أوليائه، أدخله جنتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

قال: فلما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله قال: يا محمد، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا (٢) امتك بهذه الكرامة، ثم قال عز وجل لمحمد: قل: الحمد لله رب العالمين على ما اختصني به من هذه الفضيلة، وقال لأمته وقولوا أنتم: الحمد لله رب العالمين على ما اختصنا به من هذه الفضائل (٣).

٥- عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: أحرم موسى عليه السلام من رمله مصر، وممر بصفائح الروحاء (٤) محرماً يقود ناقته بخطام من ليف فلبى تجيبه الجبال (٥). (٦)

١- ١ اختلف ضبطها في المصادر، فجاءت بهذه الصور: الميامين، المنبئين، المبلغين.

والمباينة المفارقة. فالمراد: المفارقين والممتازين عن الخلق بعجائب الله.

٢- ٢ سورة القصص: ٤٦.

٣- ٣ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٣٠-٣٣ ح ١١، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٢٧ ح ٢٥٨٦، علل الشرائع: ٤١٦ ح ٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٨٢ ح ٣٠، بشاره المصطفى: ٢١٢-٢١٤، تأويل الآيات ١: ٤١٨ ح ١٢، روضة المتقين ٤: ٣٧٣-٣٧٤، وسائل الشيعة ١٢: ٣٨٤ ح ٥، تفسير البرهان ١: ١١١ ح ١٨، وج ٤: ٢٦٩ ح ٤، بحار الأنوار ١٣: ٣٤٠ ح ١٨، وج ٢٦: ٢٧٤ ح ١٧، وج ٩٢: ٢٢٤ ح ٢ وص ٢٤٥-٢٤٨ ضمن ح ٤٨، وج ٩٩: ١٨٥ ح ١٦.

٤- ٤ قال المجلسي رحمه الله: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.

وصفح الشيء ناحيته، وصفح الجبل مضطجعه، والجمع صفاح، ويمكن أن يكون المراد بصفاح الروحاء مضطجعتها أي منخفضها وأن يكون اسماً للموضع باعتبارها، والخطام: الزمام.

٥- ٥ أي حقيقة بالإعجاز، أو هو كناية عن رفع الصوت.

٦- ٦ الكافي ٤: ٢١٣ ح ٥، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٣٤ صدر ح ٢٢٨٣، علل الشرائع: ٤١٨ ح ٥، روضة المتقين ٤: ١١٥، وسائل الشيعة ١٢: ٣١٤ ح ٢ وص ٣٧٦ ح ٥، بحار الأنوار ١٣: ١١ ح ١٤، وج ٩٩: ١٨٥ ح ١٣، مرآة العقول ١٧: ٥٣ ح ٥.

ص: ٢٠٤

- ٦- عن أبي بصير، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: مرَّ موسى بن عمران عليه السلام في سبعين نبياً على فجاج الروحاء (١)- على جمل أحمر خطامه ليف- عليهم العباء القَطَوَانِيَّة (٢). يقول: لتيك عبدك وابن عبدك لتيك (٣).
- ٧- عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مرَّ موسى النبي عليه السلام بصفائح الروحاء على جمل أحمر خطامه من ليف عليه عباء تان قَطَوَانِيَّتَان وهو يقول: لتيك يا كريم لتيك.
- ومرَّ يونس بن مَتَّى عليه السلام بصفائح الروحاء وهو يقول: لتيك كشاف الكرب العظام لتيك.
- ومرَّ عيسى بن مريم عليه السلام بصفائح الروحاء وهو يقول: لتيك عبدك وابن أمتك لتيك.
- ومرَّ محمد صلى الله عليه وآله بصفائح الروحاء وهو يقول: لتيك ذا المعارج لتيك (٤).
- ٢٠- باب علَّة من يحجَّ من الناس حجَّة، وفيهم من يحجَّ حجَّتَيْن أو أكثر، وفيهم من لا يحجَّ أبداً
- ١- عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لَمَّا أمر الله عزَّ وجلَّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببنيان البيت وتمَّ بناؤه أمره أن يصعد ركناً ثمَّ ينادي في الناس: أَلَا هَلَمْ الْحَجَّ هَلَمْ الْحَجَّ، فلو نادى: هَلُمُّوا إِلَى الْحَجَّ لَمْ يَحِجَّ إِلَّا مَنْ كَانَ يَوْمَئِذٍ إِنْسِيّاً مخلوقاً

١- ١ الفجاج: جمع فَجَّ، وهو الطريق الواسع بين الجبلين.

٢- ٢ عباءة بيضاء قصيرة الخمل، نسبة إلى قَطَوَان، موضع بالكوفة.

٣- ٣ الكافي ٤: ٢١٣ ح ٣، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٣٤ ذيل ح ٢٢٨٣، علل الشرائع: ٤١٨ ح ٦، روضة المتقين ٤: ١١٥، وسائل الشيعة ١٢: ٣٨٥ ح ٧، بحار الأنوار ١٣: ١٠ ح ١٢، وج ٩٩: ١٨٥ ح ١٤، مرآة العقول ١٧: ٥١ ح ٣.

٤- ٤ الكافي ٤: ٢١٣ ح ٤، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٣٤ ح ٢٢٨٤، علل الشرائع: ٤١٩ ح ٧، روضة المتقين ٤: ١١٥، وسائل الشيعة ١٢: ٣٨٥ ح ٦، بحار الأنوار ١٣: ١٠ ح ١٣، وج ١٤: ٢٤٧ ح ٢٨ وص ٢٥٥ ح ٥٠ وص ٣٨٦ ح ٥، وج ٩٩: ١٨٥ ح ١٥، مرآة العقول ١٧: ٥٢ ح ٤.

ص: ٢٠٥

ولكنه نادى: هلمّ الحجاج فلبى الناس في أصلاب الرجال: لئيك داعى الله، لئيك داعى الله، فمن لبى عشرًا حجاج عشرًا، ومن لبى خمسًا حجاج خمسًا، ومن لبى أكثر فبعدد ذلك، ومن لبى واحدًا حجاج واحدًا، ومن لم يلب لم يحج (١).

٢- عن غالب بن عثمان، عن رجل من أصحابنا، عن أبى جعفر عليه السلام، قال: إن الله جلّ جلاله لما أمر إبراهيم عليه السلام ينادى في الناس بالحجّ قام على المقام فارتفع به حتى صار يازاء أبى قيس، فنادى في الناس بالحجّ، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى أن تقوم الساعة (٢).

٣- عن على بن سالم، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: من لم يكتب له في الليلة التي يفرق فيها كلّ أمر حكيم لم يحجّ تلك السنة وهي ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، لأنّ فيها يكتب وفد الحاجّ، وفيها يكتب الأرزاق والآجال وما يكون من السنة إلى السنة. قال: قلت: فمن لم يكتب في ليلة القدر لم يستطع الحجّ. فقال: لا.

قلت: كيف يكون هذا؟

قال: لست في خصوصتكم من شيء هكذا الأمر (٣).

٢١- باب العلة التي من أجلها صار مقدار الحرم على ما هو

١- عن أحمد بن محمد بن أبى نصر البزنطى، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الحرم وأعلامه كيف صار بعضها أقرب من بعض، وبعضها أبعد من بعض؟

-
- ١- ١ الكافي ٤: ٢٠٦ ح ٦، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٩ ذيل ح ٢١٣٣ وص ٢٣٢، علل الشرائع: ٤١٩ ب ١٥٨ ح ١، روضة المتقين ٤: ٣٤ وص ١٠٩، وسائل الشيعة ١١: ١٠ ح ٩، بحار الأنوار ١٢: ١٠٥ ح ١٧، وج ٩٩: ١٨٧ ح ١٨، مرآة العقول ١٧: ٤٠ ح ٦.
- ٢- ٢ علل الشرائع: ٤١٩ ح ٢، وسائل الشيعة ١١: ١٥ ح ١٩، بحار الأنوار ١٢: ١٠٦ ح ١٨، وج ٩٩: ١٨٨ ح ١٩.
- ٣- ٣ علل الشرائع: ٤٢٠ ح ٣، بحار الأنوار ٩٧: ١٧ ح ٣٧.

ص: ٢٠٦

فقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَهْبَطَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ أَهْبَطَهُ عَلَى أَبِي قَيْسٍ (١)، فَشَكَا إِلَى رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ الْوَحْشَةَ، وَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَا كَانَ يَسْمَعُ فِي الْجَنَّةِ، فَأَهْبَطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ يَاقُوتَهُ حَمْرَاءَ فَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ، فَكَانَ يَطُوفُ بِهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ ضَوْوُهَا يَبْلُغُ مَوْضِعَ الْأَعْلَامِ، فَعَلِمَتِ الْأَعْلَامُ عَلَى ضَوْئِهَا، فَجَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ حَرَمًا (٢).

٢- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى جِبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، إِنِّي قَدْ رَحِمْتُ آدَمَ وَحَوَّاءَ لَمَّا شَكِيَا فَأَهْبَطَ عَلَيْهِمَا بِخِيْمَةٍ مِنْ خِيَمِ الْجَنَّةِ فَإِنِّي قَدْ رَحِمْتُهُمَا لِبُكَائِهِمَا وَوَحْشَتُهُمَا وَوَحْدَتُهُمَا فَأَضْرِبِ الْخِيْمَةَ عَلَى التَّرْعَةِ (٣) الَّتِي بَيْنَ جِبَالِ مَكَّةَ.

قال: والتَّرْعَةُ مَكَانُ الْبَيْتِ وَقَوَاعِدُهُ الَّتِي رَفَعَتْهَا الْمَلَائِكَةُ قَبْلَ آدَمَ، فَهَبَطَ جِبْرِئِيلُ عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْخِيْمَةِ عَلَى مَقْدَارِ مَكَانِ الْبَيْتِ وَقَوَاعِدُهُ فَنَصَبَهَا.

قال: وَأَنْزَلَ جِبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ آدَمَ مِنَ الصِّفَا وَأَنْزَلَ حَوَّاءَ مِنَ الْمَرْوَةِ وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي الْخِيْمَةِ.

قال: وَكَانَ عَمُودُ الْخِيْمَةِ قَضِيْبًا مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ فَأَضَاءَ نُورُهُ وَضَوْوُهُ جِبَالَ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا.

قال: فَامْتَدَّ ضَوْءُ الْعَمُودِ فَهُوَ مَوَاضِعُ الْحَرَمِ الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ حَيْثُ بَلَغَ ضَوْوُهُ.

قال: فَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَرَمًا لِحَرَمَةِ الْخِيْمَةِ وَالْعَمُودِ لِأَنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ. قال:

١- ١ لَعَلَّ الْمُرَادَ بِهِ الصِّفَا لِأَنَّهُ جِزَاءٌ مِنْ أَبِي قَيْسٍ، أَوْ لِأَنَّهُ نَزَلَ أَوَّلًا عَلَى الصِّفَا ثُمَّ صَعِدَ الْجَبَلَ.

٢- ٢ قَرَبِ الْأَسْنَادِ: ٣٦٠ ح ١٢٩٠، الْكَافِي ٤: ١٩٥ ح ١، مِنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه ٢: ١٩٢، عُلَلُ الشَّرَائِعِ: ٤٢٠ ب ١٥٩ ح ١ وَ ٢ وَص ٤٢٢ ح ٤، عَيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ١: ٢٨٤ ح ٣١ وَص ٢٨٥ ح ٣٢، تَهْذِيبُ الْأَحْكَامِ ٥: ٤٤٨ ح ٢٠٨، رَوْضَةُ الْمُتَّقِينَ ٤: ٩-١١، وَسَائِلُ الشِّيْعَةِ ١٣: ٢٢١ ح ١، بَحَارُ الْأَنْوَارِ ١١: ٢١٣ ح ٢٣، وَج ٩٩: ٧٢ ح ٢-٤ وَص ٧٣ ح ٥ وَ ٦، مَرَاةُ الْعُقُولِ ١٧: ١٨ ح ١، مِلَازِ الْأَخْيَارِ ٨: ٤٨٢ ح ٢٠٨.

٣- ٣ التَّرْعَةُ: الرُّوضَةُ فِي مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، أَوْ مَسِيلُ الْمَاءِ إِلَى الرُّوضَةِ. وَفِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ: التَّرْعَةُ: وَهُوَ مَوْضِعُ انْحِسَارِ الشَّعْرِ مِنْ جَانِبِي الْجَبْهَةِ، فَتَكُونُ كَنَائَةً عَنِ الْمَكَانِ الْخَالِي عَنِ الْأَشْجَارِ تَشْبِيْهًا بِتَرْعَةِ الرَّأْسِ.

ص: ٢٠٧

ولذلك جعل الله تعالى الحسنات في الحرم مضاعفات والسيئات مضاعفة.

قال: ومدّت أطناب الخيمة حولها فمتمتهى أوتادها ما حول المسجد الحرام.

قال: وكانت أوتادها صخرًا من عقيان (١) الجنة وأطنابها من صفائر الأرجوان.

قال: وأوحى الله تعالى إلى جبرئيل عليه السلام بعد ذلك: أهبط على الخيمة بسبعين ألف ملك يحرسونها من مردة الشيطان ويؤنسون آدم ويطوفون حول الخيمة تعظيمًا للبيت والخيمة.

قال: فهبط بالملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها من مردة الشيطان ويطوفون حول أركان البيت والخيمة كل يوم وليله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور.

قال: وأركان البيت الحرام في الأرض حيال البيت المعمور الذي في السماء.

قال: ثم إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى جبرئيل عليه السلام بعد ذلك أن اهبط إلى آدم وحواء فنحهما عن موضع قواعد بيتي وارفع قواعد بيتي ولملائكتي لخلق من ولد آدم، فهبط جبرئيل عليه السلام على آدم وحواء فأخرجهما من الخيمة ونحاهما عن ترعة البيت ونحى الخيمة عن موضع الترعة.

قال: ووضع آدم على الصفا وحواء على المروة فقال آدم عليه السلام: يا جبرئيل، أبسخط من الله تعالى جلّ ذكره حوّلتنا وفرقت بيننا أم برضا وتقدير علينا؟

فقال لهما: لم يكن بسخط من الله تعالى ذكره عليكما ولكنَّ الله تعالى لا يسئل عمّا يفعل. يا آدم، إنَّ السبعين ألف ملك الذين أنزلهم الله تعالى إلى الأرض ليؤنسوك ويطوفوا حول أركان البيت والخيمة سألوا الله تعالى أن يبنى لهم مكان الخيمة بيتاً

١-١ العقيان من الذهب: الخالص. يقال: هو ما ينبت نباتاً في معدنه وليس ممّا يحصّل من الحجارة. «الصحاح ٦: ٢٤٣٣-عقا».

ص: ٢٠٨

على موضع الترعّة المباركة حيال البيت المعمور فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أن انحيك وأرفع الخيمة.

فقال آدم عليه السلام: رضينا بتقدير الله تعالى ونافذ أمره فينا، فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصفا، وحجر من المروة، وحجر من طور سيناء، وحجر من جبل السلام وهو ظهر الكوفة، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل عليه السلام أن ابنه وأتمه، فاقتلع جبرئيل عليه السلام الأحجار الأربعة بأمر الله تعالى من مواضعها بجناحه فوضعها حيث أمره الله تعالى في أركان البيت على قواعد التي قدرها الجبار جلّ جلاله ونصب أعلامها، ثم أوحى الله إلى جبرئيل: ابنه وأتمه من حجارة من أبي قبيس واجعل له بايين باباً شرقاً وباباً غرباً. قال: فأتته جبرئيل، فلما فرغ طافت الملائكة حوله، فلما نظر آدم وحواء إلى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا سبعة أشواط ثم خرجا يطلبان ما ياكلان (١).

٢٢- باب علّة تأثير قدمي إبراهيم عليه السلام في المقام، وعلّة تحويل المقام من مكانه إلى حيث هو الساعة

١- عن عمّار بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام. أو عن عمّار، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لما أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام أن أذن في الناس بالحج أخذ الحجر الذي فيه أثر قدميه وهو المقام فوضعه بحذاء البيت لاصقاً بالبيت بحيال الموضع الذي هو فيه اليوم، ثم قام عليه فنادى بأعلى صوته بما أمره الله تعالى به، فلما تكلم بالكلام لم يحتمله الحجر فغرت رجلاه فيه، فقلع إبراهيم عليه السلام رجله من الحجر قلعةً، فلما كثر الناس وصاروا إلى الشرّ والبلاء ازدحموا عليه،

ص: ٢٠٩

فأروا أن يضعوه في هذا الموضع الذي هو فيه اليوم ليخلو المطاف لمن يطوف بالبيت، فلما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رده إلى الموضع الذي وضعه فيه إبراهيم عليه السلام، فما زال فيه حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي زمن أبي بكر وأول ولاية عمر، ثم قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام، فأيتكم يعرف موضعه في الجاهلية؟ فقال له رجل: أنا أخذت قدره بقدر.

قال: والقدر عندك؟

قال: نعم.

قال: فانت به، فجاء به فأمر بالمقام فحمل ورد إلى الموضع الذي هو فيه الساعة (١).

٢٣- باب علّة استلام الحجر الأسود، وعلّة استلام الركن اليمانيّ والمستجار

١- عن عبيد الله بن عليّ الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألت: لِمَ يستلم الحجر؟ قال: لأنّ موثيق الخلائق فيه.

وفي حديث آخر: قال: لأنّ الله تعالى لما أخذ موثيق العباد أمر الحجر فالتقمها، فهو يشهد لمن وافاه بالموافاة (٢).

٢- عن محمد بن سنان، أنّ أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه - فيما كتب من جواب مسائله علّة استلام الحجر -: إنّ الله تبارك وتعالى لما أخذ موثيق بني آدم التقمه الحجر، فمن ثمّ كلّف الناس بمعاهدة ذلك الميثاق، ومن ثمّ يقال عند الحجر: أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد

١- ١ علل الشرائع: ٤٢٣ ب ١٦٠ ح ١، بحار الأنوار ٩٩: ٢٣٢ ح ١.

٢- ٢ المحاسن للبرقيّ ٢: ٥٥ ح ٩٣، تفسير العياشي ٢: ٣٩ ح ١٠٦، الكافي ٤: ١٨٤ ح ٢، علل الشرائع: ٤٢٣ ب ١٦١ ح ١، مستطرفات السرائر ٣٤: ٤٢، وسائل الشيعة ١٣: ٣١٧ ح ٤ وص ٣١٩ ح ٨ و ٩، بحار الأنوار ٩٩: ٤٣ ح ٢٩ و ٣٠ وص ٢١٩ ح ٤ و ٥ وص ٢٢٧ ح ٢٨، مرآة العقول ١٧: ٤ ح ٢.

ص: ٢١٠

لى بالموافاة.

ومنه قول سلمان رضى الله عنه: ليجيئن الحجر يوم القيامة مثل جبل أبى قبيس له لسان وشفطان، يشهد لمن وافاه بالموافاة (١).

٣- عن محمد بن مسلم، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: طوفوا بالبيت واستلموا الركن فإنه يمين الله فى أرضه يضافح بها خلقه مصافحة العبد أو الدخيل ويشهد لمن استلمه بالموافاة (٢). (٣) ٤- عن يونس، عمّن ذكره، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن الملتزم لأى شىء يلتزم وأى شىء يذكر فيه؟ فقال: عنده نهر من الجنة يلقى فيه أعمال العباد كلّ خميس (٤).

٥- عن أبى بصير وزرارة ومحمد بن مسلم، كلّهم عن أبى عبد الله عليه السلام، قال:

إنّ الله تعالى خلق الحجر الأسود، ثم أخذ الميثاق على العباد، ثم قال للحجر: التقمه، والمؤمنون يتعاهدون ميثاقهم (٥).

١- ١ علل الشرائع: ٤٢٤ ح ٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٩١ ح ١، وسائل الشيعة ١٣: ٣١٨ ح ٧، بحار الأنوار ٩٩: ٢١٩- ٢٢٠ ح ٦ و ٧.

٢- ٢ قال الشيخ الصدوق رحمه الله: معنى يمين الله طريق الله الذى يؤخذ به المؤمنون إلى الجنة، ولهذا قال الصادق عليه السلام: «إنّه بابنا الذى ندخل منه الجنة» ولهذا قال عليه السلام: «إنّ فيه باباً من أبواب الجنة لم يغلق منذ فتح، وفيه نهر من الجنة تلقى فيه أعمال العباد وهذا هو الركن اليماني لا ركن الحجر.

وقال المولى محمد تقى المجلسى رحمه الله: ظاهر الخبر أنّ المراد به الركن الذى فيه الحجر، لكنّ الصدوق حمّله على الركن اليماني ... ولا منافاة بينهما، إذ لا- يبعد أن يكون هذا المعنى فى كلّ واحد منهما، على أنّ الأخبار المتظافرة واردة بأنّ الحجر يمين الله فى أرضه.

٣- ٣ من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٠٨ ح ٢١٦٣، علل الشرائع: ٤٢٤ ح ٣، روضة المتّقين ٤: ٥٦، وسائل الشيعة ١٣: ٣٣٩ ح ٨ و ٩، بحار الأنوار ٩٩: ٢٢٠ ح ٨.

٤- ٤ الكافى ٤: ٥٢٥ ح ٣، علل الشرائع: ٤٢٤ ح ٤، وسائل الشيعة ١٣: ٣٤٧ ح ٧، بحار الأنوار ٩٩: ٢٢٠ ح ١٠، مرآة العقول ١٨: ٢٢٢ ح ٣.

٥- ٥ علل الشرائع: ٤٢٤ ح ٥، وسائل الشيعة ١٣: ٣١٩ ح ١٠، بحار الأنوار ٩٩: ٢٢١ ح ١١.

ص: ٢١١

٦- عن عبد الله بن سنان، قال: بينا نحن في الطواف إذ مرّ رجل من آل عمر فأخذ بيده رجل فاستلم الحجر فانتهره وأغلظ له وقال له: بطل حجّك، إنّ الذي تستلمه حجر لا ينفع ولا يضرّ، فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، أما سمعت قول العمرى لهذا الذي استلم الحجر فأصابه ما أصابه؟

فقال: وما الذي قال؟

قلت: قال له: يا عبد الله، بطل حجّك، ثمّ إنّما هو حجر لا يضرّ ولا ينفع.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: كذب ثمّ كذب ثمّ كذب، إنّ للحجر لساناً ذلقاً يوم القيامة يشهد لمن وافاه بالموافاة، ثمّ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لما خلق السماوات والأرض خلق بحرين بحرّاً عذباً وبحراً اجاجاً فخلق تربة آدم من البحر العذب وشنّ عليها من البحر الاجاج، ثمّ جبل آدم فعرك عرك الأديم فتركه ما شاء الله، فلما أراد أن ينفخ فيه الروح أقامه شبّاحاً فقبض قبضه من كتفه الأيمن فخرجوا كالذرّ، فقال:

هؤلاء إلى الجنّة، وقبض قبضه من كتفه الأيسر، وقال: هؤلاء إلى النار. فأنطق الله تعالى أصحاب اليمين وأصحاب اليسار، فقال أهل

اليسار: ياربّ، لمّ خلقت لنا النار ولمّ تبين لنا ولمّ تبعث إلينا رسولاً؟

فقال الله عزّ وجلّ لهم: ذلك لعلمي بما أنتم صائرون إليه وإني سأبليكم، فأمر الله تعالى النار فأسعرت، ثمّ قال لهم: تقحّموا جميعاً في النار فإنّي أجعلها عليكم برداً وسلاماً.

فقالوا: ياربّ، إنّما سألناك لأىّ شيء جعلتها لنا هرباً منها ولو أمرت أصحاب اليمين ما دخلوا، فأمر الله عزّ وجلّ النار فأسعرت، ثمّ قال

لأصحاب اليمين: تقحّموا جميعاً في النار، فتقحّموا جميعاً فكانت عليهم برداً وسلاماً، فقال لهم جميعاً: ألسن برّبكم؟

قال أصحاب اليمين: بلى - طوعاً - وقال أصحاب الشمال: بلى - كرهاً -، فأخذ منهم جميعاً ميثاقهم وأشهدهم على أنفسهم، قال: وكان الحجر في الجنّة فأخرجه

ص: ٢١٢

اللَّهُ عزَّوجلَّ فالتقم الميثاق من الخلق كلهم، فذلك قوله تعالى: وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (١)
فلما أسكن الله تعالى آدم الجنة وعصى أهبط الله تعالى الحجر فجعله في ركن بيته وأهبط آدم على الصفا فمكث ما شاء الله، ثم رآه في البيت فعرفه وعرف ميثاقه وذكره، فجاء إليه مسرعاً فأكب عليه، وبكى عليه أربعين صباحاً تائباً من خطيئته ونادماً على نقضه ميثاقه.
قال: فمن أجل ذلك امرتم أن تقولوا إذا استلمتم الحجر: أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة (٢).
٧- عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها في الميثاق اتلف هاهنا، وما تناكر منها في الميثاق هو في هذا الحجر الأسود، أما والله إن له لعينين واذنين وفماً ولساناً ذلقاً، ولقد كان أشدّ بياضاً من اللبن، ولكنّ المجرمين يستلمونه والمنافقين فبلغ كمثلاً ما ترون (٣).
٨- عن علي بن حسان الواسطي، عن عمه عبد الرحمان بن كثير الهاشمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مرّ عمر بن الخطّاب على الحجر الأسود، فقال: والله يا حجر، إنّنا لنعلم أنّك حجر لا- تضرّ ولا تنفع، إلّا أنّنا رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله يحبك فنحن نحبك.
فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: كيف يابن الخطّاب، فوالله ليعتّنه الله يوم القيامة وله لسان وشفّتان، فيشهد لمن وافاه، وهو يمين الله عزَّوجلَّ في أرضه يبايع بها خلقه.
فقال عمر: لا أبقانا الله في بلد لا يكون فيه عليّ بن أبي طالب (٤).

١- ١ سورة آل عمران: ٨٣.

٢- ٢ علل الشرائع: ٤٢٥ ح ٦، وسائل الشيعة ١٣: ٣٢٠ ح ١١، بحار الأنوار ٥: ٢٤٥ ح ٣٥، وج ٩٩: ٢١٧ ح ٢.

٣- ٣ علل الشرائع: ٤٢٦ ح ٧، وسائل الشيعة ١٣: ٣٢٠ ح ١٢، بحار الأنوار ٦١: ١٣٩ ح ١٧، وج ٦٨: ٢٠٦، وج ٩٩: ٢٢٠ ح ٩.

٤- ٤ علل الشرائع: ٤٢٦ ح ٨، وسائل الشيعة ١٣: ٣٢٠ ح ١٣، بحار الأنوار ٩٩: ٢٢١ ح ١٢.

ص: ٢١٣

٩- عن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أتدرى لأى شيء صار الناس يلثمون الحجر؟ قلت: لا.

قال: إن آدم عليه السلام شكّا إلى ربّه عزّوجلّ الوحشة في الأرض، فنزل جبرئيل عليه السلام يياقوته من الجنّة كان آدم إذا مرّ عليها في الجنّة ضربها برجله، فلمّا رآها عرفها فبادر يلثمها، فمن ثمّ صار الناس يلثمون الحجر (١).

١٠- عن ابن عباس أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعائشة وهي تطوف معه بالكعبة حين استلما الركن وبلغا إلى الحجر: يا عائشة، لولا ما طبع الله على هذا الحجر من أرجاس الجاهليّة وأنجاسها إذا لاستشفى به من كلّ عاهة، وإذا لألّفى كهيتّه يوم أنزله الله تعالى، وليبعثه الله على ما خلق عليه أوّل مرّة، وإنّه لياقوته يضاء من ياقوت الجنّة، ولكنّ الله عزّوجلّ غير حسنه بمعصية العاصين، وسترت بتيته عن الأئمّة والظلمة لأنّه لا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيء بدؤه من الجنّة، لأنّ من نظر إلى شيء منها على جهته وجبت له الجنّة، وإنّ الركن يمين الله تعالى في الأرض، وليبعثه الله يوم القيامة وله لسان وشفطان وعينان، ولينطقه الله يوم القيامة بلسان طلق ذلق ليشهد لمن استلمه بحقّ، استلامه اليوم يبعه لمن لم يدرك ببعه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وذكر وهب أنّ الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنّة انزلا فوضعا على الصفا فأضاء نورهما لأهل الأرض ما بين المشرق والمغرب كما يضيء المصباح في الليل المظلم، يؤمن الروعة ويستأنس إليهما، وليبعث الركن والمقام وهما في العظم مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة، فرفع النور عنهما وغير حسنهما ووضعاً حيث هما (٢).

١- ١ علل الشرائع: ٤٢٦ ح ٩، وسائل الشيعة ١٣: ٣٢١ ح ١٤، بحار الأنوار ٩٩: ٢٢١ ح ١٣.

٢- ٢ علل الشرائع: ٤٢٧ ح ١٠، بحار الأنوار ٩٩: ٢١٩ ح ٣.

ص: ٢١٤

٢٤- باب العلّة التي من أجلها صار الحجر أسود بعدما كان أبيض، والعلّة التي من أجلها لا يبرأ ذو عاهة يمسه الآن

١- عن حريز بن عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: كان الحجر الأسود أشدّ بياضاً من اللبن، فلولا ما مسّه من أرجاس الجاهليّة ما مسّه ذو عاهة إلّا برئ (١).

٢- عن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه ذكر الحجر، فقال: أما إنّ له عينين وأنفاً ولساناً، ولقد كان أشدّ بياضاً من اللبن، أما إنّ المقام كان بتلك المنزلة (٢).

٢٥- باب العلّة التي من أجلها صار الناس يستلمون الحجر والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين، والعلّة التي من أجلها صار مقام إبراهيم عليه السلام على يسار العرش

١- عن يزيد بن معاوية العجليّ، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف صار الناس يستلمون الحجر والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين؟

فقال: قد سألتني عن ذلك عباد بن صهيب البصريّ، فقلت له: لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استلم هذين ولم يستلم هذين، فإنّما على الناس أن يفعلوا ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله، وساخبرك بغير ما أخبرت به عباداً، إنّ الحجر الأسود والركن اليمانيّ عن يمين العرش، وإنّما أمر الله تبارك وتعالى أن يستلم ما عن يمين عرشه.

قلت: فكيف صار مقام إبراهيم عن يساره؟

فقال: لأنّ لإبراهيم عليه السلام مقاماً في القيامة ولمحمّد صلى الله عليه وآله مقاماً، فمقام محمّد عن يمين

١- ١ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٢ ذح ٢١١٤، علل الشرائع: ٤٢٧ ب ١٦٢ ح ١، روضة المتّقين ٤: ١١-١٢، وسائل الشيعه ١٣: ٣١٨ ح ٦، بحار الأنوار ٩٩: ٢٢١ ح ١٤.

٢- ٢ علل الشرائع: ٤٢٨ ب ١٦٢ ح ٢، روضة المتّقين ٤: ١٢، بحار الأنوار ٩٩: ٢٢١ ح ١٥.

ص: ٢١٥

عرش ربنا عزوجل، ومقام إبراهيم عن شمال عرشه، فمقام إبراهيم في مقامه يوم القيامة، وعرش ربنا مقبل غير مدبر (١). (٢) ٢- عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: بينا أنا في الطواف إذا رجل يقول: ما بال هذين الركنين يمسحان- يعني الحجر والركن اليماني- وهذين لا يمسحان؟

قال: فقلت: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمسح هذين، ولم يمسح هذين، فلا نتعرض لشيء لم يتعرض له رسول الله صلى الله عليه وآله (٣).

٣- عن جعفر بن محمد الكوفي، عن رجل من أصحابنا، رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الركن الغربي قال له الركن: يا رسول الله، ألسنتُ قعيداً من قواعد بيت ربك؟ فما لي لا استلم؟ فدنا منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: اسكن عليك السلام غير مهجور (٤).

١- ١ قال المولى محمد تقى المجلسى رحمه الله: حاصله أنه ينبغي أن يتصور أن البيت بإزاء العرش وحذاءه في الدنيا وفي القيامة، وينبغي أن يتصور أن البيت بمنزلة رجل وجهه إلى الناس ووجهه طرف الباب، فإذا توجه إلى البيت يكون المقام إلى جانب اليمين والحجر إلى يسار المتوجه، لكن الحجر يمين البيت والمقام يساره، وكذا العرش الآن ويوم القيامة والحجر بمنزلة مقام نبينا صلى الله عليه وآله، والركن اليماني بمنزلة مقام أئمتنا عليهم السلام. وكما أن مقام النبي والأئمة صلوات الله عليهم في الدنيا في يمين البيت وبإزاء يمين العرش؛ كذلك يكون في الآخرة، لأن العرش مقبل وجهه إلينا غير مدبر، لأنه لو كان مدبراً لكان اليمين لإبراهيم عليه السلام واليسار للنبي والأئمة عليهم السلام. هذا تفسير الخبر بحسب الظاهر.

ويمكن أن يكون إشارة إلى علو رتبة نبينا صلى الله عليه وآله ورفعته وأفضليته على رتبة إبراهيم الذي هو أفضل الأنبياء بعد النبي والأئمة صلوات الله عليهم ...

٢- ٢ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٢ ذيل ح ٢١١٥ وصدر ح ٢١١٦، علل الشرائع: ٤٢٨ ب ١٦٣ ح ١، روضة المتقين ٤: ١٣-١٤، وسائل الشيعة ١٣: ٣٤٠ ح ١٢، بحار الأنوار ٧: ٣٣٩ ح ٣٤، وج ٦٠: ١٠، وج ٩٩: ٢٢٢ ح ١٦.

٣- ٣ علل الشرائع: ٤٢٨ ب ١٦٣ ح ٢، وسائل الشيعة ١٣: ٣٤٠ ح ١٣، بحار الأنوار ٩٩: ٢٢٢ ح ١٧.

٤- ٤ علل الشرائع: ٤٢٩ ح ٣، وسائل الشيعة ١٣: ٣٤١ ح ١٤، بحار الأنوار ٩٩: ٢٢٢ ح ١٨.

ص: ٢١٦

٢٦- باب العلّة التي من أجلها وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يضعه في غيره، والعلّة التي من أجلها يقبل، والعلّة التي من أجلها اخرج من الجنّة، والعلّة التي من أجلها جعل الميثاق فيه

١- عن بكير بن أعين، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يوضع في غيره؟ ولأيّ علّة يقبل؟ ولأيّ علّة اخرج من الجنّة؟ ولأيّ علّة وضع فيه ميثاق العباد والعهد ولم يوضع في غيره؟ وكيف السبب في ذلك تخبرني- جعلت فداك- فإنّ تفكّري فيه لعجب؟

قال: فقال: سألت وأعضلت (١) في المسألة، واستقصيت فافهم، وفرغ قلبك، وأصغ سمعك، اخبرك إن شاء الله؛ إنّ الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهو جوهرة اخرجت من الجنّة إلى آدم عليه السلام فوضعت في ذلك الركن لعلّة الميثاق، وذلك أنّه لما أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريّتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان وفي ذلك المكان تراءى لهم ربّهم (٢)، ومن ذلك الركن يهبط الطير على القوائم، فأوّل من يبايعه ذلك الطير، وهو والله جبرئيل عليه السلام، وإلى ذلك المقام يسند ظهره، وهو الحجّة (٣) والدليل على القوائم، وهو الشاهد لمن وافى ذلك المكان، والشاهد لمن أدّى إليه الميثاق والعهد الذي أخذ الله به على العباد.

وأما القبلّة والالتماس فلعلّة العهد تجديداً لذلك العهد والميثاق، وتجديداً للبيعة، وليؤدّوا إليه في ذلك العهد الذي اخذ عليهم في الميثاق فيأتونه في كلّ سنّة،

١- ١ أي جئت بمسألة معضلة مشكّلة.

٢- ٢ تراءى: أي جبرئيل أو الحجر.

٣- ٣ الضمير إمّا راجع إلى الحجر أو الطائر.

ص: ٢١٧

وليؤدوا إليه ذلك العهد، ألا ترى أنك تقول: أمانتي أدبتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة، واللّه ما يؤدّي ذلك أحد غير شيعتنا، ولا- حفظ ذلك العهد والميثاق أحد غير شيعتنا، وإنهم ليأتونه فيعرفهم ويصدقهم، ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذبهم، وذلك أنّه لم يحفظ ذلك غيركم، فلكم واللّه يشهد، عليهم واللّه يشهد بالخفر (١) والجحود والكفر، وهو الحجة البالغة من اللّه عليهم يوم القيامة يجيء وله لسان ناطق وعينان في صورته الاولى يعرفه الخلق ولا ينكرونه، يشهد لمن وافاه وجدّد العهد والميثاق عنده بحفظ الميثاق والعهد وأداء الأمانة، ويشهد على كلّ من أنكر وجحد ونسى الميثاق بالكفر والإنكار.

وأما علّه ما أخرجّه اللّه من الجنة فهل تدري ما كان الحبر؟

قال: قلت: لا.

قال: كان ملكاً عظيماً من عظماء الملائكة عند اللّه تعالى، فلما أخذ اللّه من الملائكة الميثاق كان أوّل من آمن به وأقرّ ذلك الملك، فاتّخذّه اللّه أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن يجدّدوا عنده في كلّ سنّة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ اللّه به عليهم، ثمّ جعله اللّه مع آدم في الجنة يذكره الميثاق ويجدّد عنده الإقرار في كلّ سنّة، فلما عصى آدم فاخرج من الجنة أنساه اللّه العهد والميثاق الذي أخذ اللّه عليه وعلى ولده لمحمّد ووصيه، وجعله باهتاً حيراناً، فلما تاب على آدم حوّل ذلك الملك في صورة درّة بيضاء فرماه من الجنة إلى آدم وهو بأرض الهند، فلما رآه أنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنّه جوهرة فأنطقها اللّه عزّوجلّ فقال: يا آدم، أتعرفني؟

قال: لا.

قال: أجل، استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربّك، وتحوّل إلى الصورة التي كان بها في الجنة مع آدم، فقال لآدم: أين العهد والميثاق؟ فوثب إليه آدم عليه السلام وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبّله، وجدّد الإقرار بالعهد والميثاق، ثمّ حوّل اللّه

ص: ٢١٨

تعالى إلى جوهر الحجر درّة بيضاء صافية تضيء، فحملة آدم على عاتقه (١) إجلالاً له وتعظيماً، فكان إذا أعىى حملة عنه جبرئيل عليه السلام حتّى وافى به مكّة، فما زال يأنس به بمكّة ويجدد الإقرار له كلّ يوم وليله، ثمّ إنّ الله تعالى لما أهبط جبرئيل إلى أرضه وبنى الكعبة هبط إلى ذلك المكان بين الركن والباب (٢)، وفي ذلك المكان تراءى لآدم حين أخذ الميثاق، وفي ذلك الموضع ألقم الملك الميثاق، فلتلك العلّة وضع في ذلك الركن ونحى آدم من مكان البيت إلى الصفا وحواء إلى المروة، فأخذ الله الحجر فوضعه بيده (٣) في ذلك الركن، فلمّا أن نظر آدم من الصفا وقد وضع الحجر في الركن كبر الله (٤) وهلّله ومجّده، فلذلك جرت السنّة بالتكبير في استقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا، وإنّ الله عزّ وجلّ أودعه العهد والميثاق وألقمه إياه دون غيره من الملائكة؛ لأنّ الله تعالى لما أخذ الميثاق له بالربوبية، ولمحمّد بالنبوة، ولعلّى عليه السلام بالوصيّة اصطكّت (٥) فرائص الملائكة، وأول من أسرع إلى الإقرار بذلك الملك ولم يكن فيهم أشدّ حبّاً لمحمّد وآل محمّد منه، فلذلك اختاره الله تعالى من بينهم، وألقمه الميثاق، فهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة ليشهد لكلّ من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق (٦).

١-١ العاتق: ما بين المنكب والعنق.

٢-٢ قال الصدوق رحمه الله: جاء هذا الخبر هكذا، ومعنى قوله: إنّ الله أهبط إلى أرضه وبنى الكعبة أهبطهم إلى ما بين الركن والمقام، وفي ذلك المكان ثوابه جزيل لآدم فأخذ الميثاق.

٣-٣ أى بقدرته.

٤-٤ أى جبرئيل أو الحجر، ويحتمل آدم عليه السلام.

٥-٥ اصطكّت: اضطربت.

وأما سبب اصطكاك فرائصهم فقليل: كان ذلك لعلمهم بإنكار من ينكره من البشر، والظاهر أنّه كان للدهشة وعظم الأمر وتأکید الفرض وخوف أن لا يأتوا في ذلك بما ينبغي.

٦-٦ الكافي ٤: ١٨٤ ح ٣، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩١-١٩٢ ضمن ح ٢١١٤، علل الشرائع: ٤٢٩ ب ١٦٤ ح ١، روضة المتّقين ٤: ٧، وسائل الشيعة ١٣: ٣١٧ ح ٥، بحار الأنوار ١١: ٢٠٥ ح ٧، وج ١٥: ١٧ ح ٢٦، وج ٢٦: ٢٦٩ ح ٦، وج ٥٢: ٢٧٩ ح ٢ وص ٢٩٩ ح ٦٣، وج ٩٩: ٢٢٣ ح ١٩، مرآة العقول ١٧: ٤ ح ٣.

ص: ٢١٩

٢٧- باب علّة جعل السعي بين الصفا والمروة

١- عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله، قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لما خلف إسماعيل بمكّة عطش الصبيّ، وكان فيما بين الصفا والمروة شجر، فخرجت امّه حتّى قامت على الصفا، فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحد. فمضت حتّى انتهت إلى المروة فقال: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحد، ثم رجعت إلى الصفا فقالت كذلك حتّى صنعت ذلك سبعا فأجرى الله ذلك سنّه، فأتاها جبرئيل عليه السلام فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا امّ ولد إبراهيم.

فقال: إلى من وكلّكم؟

فقالت: أمّا إذا قلت ذلك فقد قلت له حيث أراد الذهاب: يا إبراهيم، إلى من تكلنا؟ فقال: إلى الله تعالى.

فقال جبرئيل: لقد وكلّكم إلى كاف. قال: وكان الناس يتجنّبون الممرّ بمكّة لمكان الماء، ففحص الصبيّ برجله فنبعت زمزم، ورجعت من المروة إلى الصبيّ وقد نبع الماء فأقبلت تجمع التراب حوله مخافة أن يسيح الماء ولو تركته لكان سيحاً. قال: فلمّا رأت الطير الماء حلّقت (١) عليه قال: فمرّ ركب من اليمن فلمّا رأوا الطير حلّقت عليه قالوا: ما حلّقت إلّا على ماء، فأتوهم ليستقونهم فسقوهم من الماء، وأطعموا الركب من الطعام، وأجرى الله تعالى لهم بذلك رزقا، فكانت الركب تمرّ بمكّة فيطعمونهم من الطعام، ويسقونهم من الماء (٢).

٢- عن الحسين بن أحمد الحلبيّ، عن أبيه، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام،

١- ١ تحليق الطير ارتفاعه في طيرانه.

٢- ٢ الكافي ٤: ٢٠٢، وعلل الشرائع: ٤٣٢ ب ١٦٦ ح ١، روضة المتّقين ٤: ٢٥، وسائل الشيعة ١٣: ٤٧٠ ح ١٠، بحار الأنوار ١٢: ١٠٦ ح ١٩، وج ٩٩: ٢٣٣ ح ٣، مرآة العقول ١٧: ٣٣.

ص: ٢٢٠

قال: جعل السعي بين الصفا والمروة مذلة للجبارين (١).

٢٨- باب علّة الهرولة بين الصفا والمروة

١- عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: صار السعي بين الصفا والمروة لأن إبراهيم عليه السلام عرض له إبليس، فأمره جبرئيل عليه السلام فشدّ عليه فهرب منه، فجرت به السنّة - يعني بالهرولة - (٢).

٢- عن الحلبي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: لِمَ جعل السعي (٣) بين الصفا والمروة؟

قال عليه السلام: لأنّ الشيطان تراءى لإبراهيم عليه السلام في الوادي فسعى، وهو منازل الشيطان (٤). (٥) ٢٩- باب العلّة التي من أجلها صار المسعى أحبّ البقاع إلى الله تعالى

١- عن معاوية بن عمّار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما لله تعالى منسك أحبّ إلى الله تبارك وتعالى من موضع المسعى، وذلك أنّه يذلّ فيه كلّ جبار عنيد (٦).

٢- عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من بقعة أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من المسعى لأنّه يذلّ فيه كلّ جبار (٧).

كتاب التحفة اللطيفة

١- ١ الكافي ٤: ٤٣٤ ذ ح ٣ و ٥، روضة المتّقين ٤: ٢٧، وسائل الشيعة ١٣: ٤٦٨ ح ٣ و ٤، مرآة العقول ١٨: ٧٢ ح ٥.

٢- ٢ علل الشرائع: ٤٣٢ ب ١٦٧ ح ١، روضة المتّقين ٤: ٢٦، وسائل الشيعة ١٣: ٤٧٠ ح ١١، بحار الأنوار ١٢: ١٠٨ ح ٢٣، وج ٩٩: ٢٣٤ ح ٤.

٣- ٣ المراد بالسعي هنا: الهرولة.

٤- ٤ في بعض المصادر: الشياطين.

٥- ٥ المحاسن للبرقي ٢: ٥٦ ح ٩٣، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٦ ضمن ح ٢١٢٤، علل الشرائع: ٤٣٣ ب ١٦٧ ح ٢، السرائر ٣: ٥٦١، روضة المتّقين ٤: ٢٥ و ٢٦، وسائل الشيعة ١٣: ٤٧٠ ح ١٢، بحار الأنوار ١٢: ١٠٨ ح ٢٤، وج ٩٩: ٤٣ ضمن ح ٢٩ وص ٢٣٤ ح ٥.

٦- ٦ الكافي ٤: ٣٤ ح ٤، علل الشرائع: ٤٣٣ ب ١٦٨ ح ١، روضة المتّقين ٤: ٢٦، وسائل الشيعة ١٣: ٤٧١ ح ١٣، بحار الأنوار ٩٩: ٢٣٤ ح ٦، مرآة العقول ١٨: ٧٢ ح ٤.

٧- ٧ الكافي ٤: ٤٣٤ ح ٣، من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٦ ذ ح ٢١٢٤، علل الشرائع: ٤٣٣ ب ١٦٨ ح ٢، روضة المتّقين ٤: ٢٦، وسائل الشيعة ١٣: ٤٧١ ح ١٤، بحار الأنوار ٩٩: ٢٣٤ ح ٧، مرآة العقول ١٨: ٧٢ ح ٣.

ص: ٢٢١

كتاب التحفة اللطيفة

في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة

تأليف: محمد بن خضر الرومي (ت: ٩٤٨ هـ)

إعداد: محمدرضا الأنصاري القمي

الرسالة التي بين يديك - أيها القارئ الكريم - مأخوذة عن مخطوطة تحتفظ بها مكتبة دير الاسكوريال بإسبانيا وهي في مجموعة برقم (١٧٠٨) وتبدأ رسالتنا من ورقة ٨٨ ب وتنتهي في ورقة ٩٣ ب، وعنوان الرسالة كما هو مثبت في صدر الرسالة هكذا: «كتاب التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة. تأليف العلامة الإمام شيخ الإسلام قاضي الحنفية بها الجلالى محمد بن خضر الرومي الحنفى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنّته. آمين.»

والرسالة كتبها الشيخ محمد بن خضر الرومي قاضي الحنفية بالمدينة المنورة والمتوفى عام ٩٤٨ هـ، وهي تتحدث عن سقوط أجزاء من سور المدينة وتهدم أعاليه وخوف أهالى المدينة المنورة من هجمات الأعراب عليهم والنهب والسلب المتواصل منهم، فاستلزم ذلك الاستنجاد بالخليفة العثمانى سليمان الأول (٩٢٧-٩٧٤ هـ) حيث أمر بإجراء تعميرات واسعة فى سور المدينة وأبراجها وأبوابها، فشرعوا بالتعمير عام ٩٣٩ هـ، وأكملوا بناء السور والأبراج، ثم وصل التعمير إلى جدران المسجد النبوي الشريف

ص: ٢٢٢

ومآذنه ومرافق أخرى في المسجد، والأعمدة والسقف والأرضية والمحراب والمنبر وغير ذلك. واستمرّ البناء مدّة عشر سنوات (من عام ٩٣٩ هـ لغاية ٩٤٨ هـ) مع انقطاع لعدّة أشهر في كلّ سنة لأسباب عديدة.

والرسالة تشرح مراحل التعمير والاصلاحات ومواقعها وتذكر أسماء المشرفين عليها وأسماء بعض المهندسين وعدد العمال وكميات الأموال المصروفة وحجم المواد الانشائية المستعملة في البناء من الأعمدة والحجر والمرمر والرخام والحديد وغير ذلك. كما تتحدّث الرسالة في طياتها عن أحوال المدينة المنورة الاجتماعية والسياسية، فتشير إلى بعض حالات القحط والجوع، كما تشير إلى الخلافات والنزاع القائم بين الأحناف (المدعومين من البلاط العثماني في الباب العالي) والشوافع، أثر تجديد محراب الحنفية في المسجد النبوي وتقديمه ليحاذى محراب الشافعية، وتقديم القاضي الحنفي على القاضي الشافعي في جميع الأمور، ممّا أثار حنق الشوافع (ووصل من بعض الشافعية بسبب ذلك كلمات).

ولا شك أنّ هذه الرسالة تنفع الدارسين عن المدينة المنورة وتطورات أحوالها.

(٨٨ ب) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، محمد وآله، وصحبه والتابعين. أمّا بعد، فهذه نبذة لطيفة، ونخبة شريفة، تتضمّن ما وقع من العمائر الشريفة، بسور المدينة النبوية، والمسجد الشريف، والمنازة السنية. وذلك أنّه لما أنهى إلى مولانا، السلطان الأعظم، والخاقان الأكرم، صاحب السيف والقلم، والبند (١) والعلم، ظلّ الله في الأرضين،

١-١ البند: علم الفرق التي يقودها القائد، تحت كلّ بند عشرة آلاف رجل، أو أقلّ أو أكثر.

ص: ٢٢٣

قهرمان (١) الماء والطين، قانع الكفرة والمبتدعة والمشركين، نصره الغزاة والمجاهدين، حسنه الله في الأرض، القائم بالسنة والفرض، خادم الحرمين الشريفين، والمحليين المنيفين؛ سلطان الغرب والعراقين، والشرق واليمن، والروم والحجاز وعدن، سلطان الإسلام والمسلمين، السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان أبو [المظفر] (٢) خان، السلطان سليمان شاه، ابن السلطان سليم شاه، ابن السلطان بايزيد، ابن السلطان محمد، ابن السلطان بايزيد خان، نصره الله تعالى نصراً عزيزاً مؤيداً، وفتح له فتحاً ميبناً سرمداً، وأدام أيام دولته الزاهرة، وجعلها مسعودة؛ [و] على أعدائها متظاهرة، بجاه سيد أهل الدنيا والآخرة.

إن سور المدينة قد تهدم أعاليه، وأشرف الباقي على السقوط بمعاليه، وأن أهل المدينة المنورة يحصل لهم بخراب السور ضرر كثير من العربان، وفساد عظيم على طول الزمان، وأنهم قد رفعوا شكواهم، وبثوا (١٨٩) نجواهم إلى مولانا السلطان الأعظم خلد الله دولته، فحينئذ برز الأمر العالي، من مولانا السلطان الأعظم المشار إليه - أعز الله نصرته - إلى وزيره المقام العالي، ذي العز المتعالي، مدبر الممالك الإسلامية، كافل الأقطار المصرية والحجازية، آصف عصره، ولقمان دهره، [حضرة] سليمان پاشا أعز الله تعالى مقامه، وأدام أيامه؛ بأن يتقدم المقام العالي بتجهيز المال من الخزانة الشريفة بالقاهرة المحروسة، لعمارة سور المدينة المنورة، وتجهيز ما يحتاج إلى ذلك من الدواب والعُدَد (٣) والمعلمين (٤) والبنائين والحمارين (٥)

١- ١ قهرمان: كلمة فارسية معربة، تعني الشجاع والغالب على الأعداء.

٢- ٢ في الأصل: كلمة ممسوحة.

٣- ٣ العدد: جمع عدة.

٤- ٤ المعلمين: صغار الهال.

٥- ٥ الحمار: صاحب الحمار وسائقه.

ص: ٢٢٤

وغيرهم، وتجهيز ما يحتاج ذلك من الغلال (١)، بالسمع والطاعة، وشمر على ساق الجد والاجتهاد، لما يعود نفعه لأشرف البلاد، وجهاز الأموال صحبة الجنب العالي الزينى محمود جلبى كاتب جدّة المعمورة، كان... وعينه أميناً على العمارة الشريفة، وجعل الناظر على العمارة الجنب العالي السيّد أحمد الرفاعى، شيخ الحرم الشريف النبوى، وجّهزت الجمال والبهاء نحو مائة جمل ومائة بهيم، صحبة أمير الحجّ الركب المصرى، وجّهزت الغلال؛ من القمح والشعير والفول من البحر على ظاهر المراكب الشريفة، إلى أن وصلت إلى الينبوع (٢)، وكان وصول ذلك كله فى غرّة سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، وكان المهندس على العمارة المذكورة المعلم على بن الصياد، والمعلم عبدالقادر القليوبى. وكان جملة البنائين والحجارين والنحاتين والعتالين (٣) والنجارين والطوايين (٤) والحمالين والترايين أكثر من ثلاثمائة نفرًا [نفرًا]، من غير الفعلة (٥) وتوابعهم.

(٨٩ ب) وكان فى خدمة العمارة الشريفة، من المماليك السلطانية نحو خمسون [خمسین] نفرًا، منها أرباب الخيل نحو خمسة وعشرين نفرًا، والباقيون رُماة بالبندق والقوس.

ثمّ إنهم شرعوا فى هدم سور المدينة المنورة، فأوّل ما هدم باب سويقة، غربى المدينة، المسمّى بباب المصرى، ثمّ هُدم أعالى الجدار الغربى من السور، من الباب الصغير الشامى إلى باب سويقة المذكورة، ثمّ من باب سويقة إلى الركن القبلى (٦)،

١-١ الغلال والغلة: الدخل.

٢-٢ كذا فى «الأصل» والصحيح: يبيع.

٣-٣ الظاهر أن المقصود من العتالين هم الحدادون.

٤-٤ الطوب: الآجر.

٥-٥ الفعل: صغار العمال.

٦-٦ القبلى نسبة إلى القبلة.

ص: ٢٢٥

وطول ذلك سبعمائة ذراع وأربعة عشر ذراعاً بذراع العمل، وإنما لم يُهدم إلى أساسه؛ لأنّ الجدار المذكور جدّده الملك الأشرف قايتباي (١)، وبناء بالحجر إلى أعالي العقود، التي من خلفه من داخل المدينة المنورة، وبناء [وبنى] أعاليه باللبن. فهَدَمُوا اللَّبْنَ المذكور، وعرضوه (٢) بالآجر، ورَمَمُوا ما احتاج فيه إلى الترميم.

ثمّ إنهم هدموا الباب الصغير الشامي، والباب الكبير الشامي، وشرعوا في بناء الباب المصري بالأحجار المنحوتة؛ بعد أن حفر له لذلك أساس جيّد، ثمّ إنّ بعض المهندسين ذكر للناظر أنّ الحجر المنحوت يذهب عليه مال عظيم، فأمرهم ببناء الباب الصغير الشامي بالحجر الغشيم (٣)، فلمّا أن كمل بناء الباب المصري والباب الشامي المذكور، وشاهد الناظر حسن الباب المصري بالحجر المنحوت، وقباحت الباب الشامي بالحجر الغشيم، أمرهم ببناء الباب الشامي الكبير بالحجر المنحوت.

ثمّ بعد مدّة يسيرة بعد الشروع في البناء، حصل بين الناظر - السيّد الرفاعي المذكور - وبين محمود چلبى الأمير المذكور شتآن (٤) عظيم، ثمّ انتقل محمود چلبى المذكور إلى رحمة الله تعالى في سابع عشر رمضان (١٩٠) المعظّم قدره، سنّة تسع (بتقديم التاء) وثلاثين وتسعمائة ودفن بيقع الغرق.

ثمّ إنّ الناظر المذكور باشر عمل العمارة الشريفة بنفسه، خصوصاً الباب الشامي الكبير والصغير، ثمّ انتقل إلى رحمة الله تعالى في عشر ذى الحجة الحرام

١- ١ من ملوك المماليك في مصر في القرن التاسع الهجري، قام هذا الملك بترميم المسجد النبوي الشريف ولا زالت ترميماته باقية، خاصيّة ترميم الحجرة النبويّة الشريفة وترميم حجرة فاطمة الزهراء عليها السلام، ولا زال اسمه باقياً على الشباك، الذي يحيط بالحجرتين الشريفتين.

٢- ٢ أى وسعوه وجعلوه أعرض من ذى قبل.

٣- ٣ الغشيم: الردى.

٤- ٤ التنافر والعداء.

ص: ٢٢٦

سنة تسع وثلاثين وتسعمائة [و] توجه غالب المعمارية إلى الحج إلى بيت الله الحرام، واستمرت العمارة بطالة (١)، وكان من قضاء الله وقدره أن مولانا الباشا المذكور عتق عوض (٢) الزيني محمود جلبى المذكور، بسبب مكاتبات السيد الرفاعي فيه، أميناً على العمارة الشريفة، وكاتب الأمين هو الجنب الزيني مصطفى جلبى، أحد ساعى الدولة العادلة العثمانية، والكاتب هو الزيني نصوح، أحد الأعيان من العساكر العثمانية بالطور (٣)، ووصل صحبتهم أيضاً مهندس على العمارة كلها من طائفة الأروام (٤)، يسمى مصطفى خليفه؛ فوصلوا جميعاً من البحر إلى المدينة المنورة غرة صفر الخير سنة أربعين وتسعمائة، ولما وصل إلى مولانا الباشا المذكور خبر وفاة السيد الرفاعي شيخ الحرم الشريف، وبرز أمره الكريم الزيني إلى مصطفى جلبى الأمير المذكور، بأن يضبط مملكات (٥) شيخ الحرم الشريف، ويأمر المنصب المنيف؛ إلى أن يرد من الأبواب الشريفة الجند كارية ما يعتمد عليه.

فاستمر الزيني مصطفى جلبى المذكور، مع الكاتب نصوح، والمباشر المذكور، والمهندس بخدمة سور المدينة المنورة، فشرع في هدم الجدار القبلى (٦) منه إلى الأساس، لكنه لم ينقض أساسه، وبناء بالحجر إلى أعاليه، (٩٠ ب) وجعل عليه الشرارييف (٧) الموجودة الآن، واستمر في بناء الجدار القبلى.

ثم إن الزيني نصوح الكاتب المذكور انتقل إلى رحمة الله تعالى فى سلخ ذى الحجة الحرام سنة أربعين وتسعمائة.

١- ١ أى متوقفة.

٢- ٢ بدل.

٣- ٣ هكذا فى الأصل.

٤- ٤ الأروام: جمع روم، ويقال لهم أيضاً الروملى نسبة إلى منطقة فى الجانب الأوروبى من البلاد العثمانية.

٥- ٥ الظاهر يقصد المناصب الموكولة إلى شيخ الحرم.

٦- ٦ نسبة إلى القبلة، أى السور الجنوبى من المدينة المنورة.

٧- ٧ الشرارييف: جمع شرفه.

ص: ٢٢٧

ثم وصل في العام المذكور من البحر إلى مكة المشرفة مولاي المعزّ الكريم العالي، المولوي الذخري، عين الأماثل والأدان، فخر الأماجد والأعيان، المتحصن بعناية الملك المعبود، الزيني محمود جلبى وهو متولى لمشيخة الحرم الشريف، وناظر على العمارة السلطانية.

فوصل إلى المدينة المنورة غرة سنة [١٠٠٠] وأربعين وتسعمائة، وباشر خدمة الحجر الشريف، وقام بالنظر على العمارة المنيفة كما ينبغي.

واستمر المهندس مصطفى خليفة المذكور، قائماً بهندسة البناء المذكور، من الركن الغربى من جهة القبلة إلى الباب الشرقى - باب بقيع الغرقد - وطول ذلك سبعمائة ذراع بذراع العمل، ثم انتقل المهندس المذكور إلى رحمة الله تعالى.

وكان لما وصل البناء إلى مشهد السيد اسماعيل (١)، أدخل بعض البناء داخل المدينة المنورة من غير أساس تحته، فبعد وفاته هدمه أمين العمارة الزيني مصطفى جلبى المذكور مع المهندس علي بن الصياد المذكور، [و] قاما ببناء باب البقيع أتم قيام، بعد أن وصلوا بأساسه إلى الماء، وشرعوا بهدم سور المدينة المنورة من باب البقيع من الجهة الشامية إلى أن وصلوا بالهدم إلى الباب الشامى الكبير، ونقض جميع أساسه، [و] بنى على هذه الهيئة الموجودة عليه الآن على زيادة الأحكام والإتقان، ثم قصر النفقة على العمارة، واقتضى الحال إلى أن توجه الأمين مصطفى المذكور للقاهرة المحروسة من البر (١٩١) صحبه القاصد، فوصل إلى القاهرة

١ - ١ هو إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، توفى في حياة أبيه ودفن بتربة له كانت تقع حتى السنوات الأخيرة خارج جدران بقيع الغرقد من الجهة الغربية. ثم إنه في سنة ١٣٩٥ هـ وعندما وصلت أعمال الهدم والتوسعة لمشروع توسعة الحرم النبوي الشريف إلى الشارع المحاذي للبقيع والواقع فيه قبر إسماعيل رحمه الله قام العمال بهدم القبر لأجل نقل رفاته إلى البقيع، لكنهم عثروا على جثته سالمة بعد مضي ما يقارب ثلاثة عشر قرناً، وقد شاهده كثير من زوار الحرم النبوي، ومنهم والدى الذى سمعت منه تفاصيل الحادث، فنقل الجثمان إلى البقيع ودفن فيه بالقرب من قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

ص: ٢٢٨

المحروسة، فوجد مولانا الباشا سليمان المذكور قد اعتد إليها، وكان قد صرف خسرو باشا، ثم إن الباشا سليمان دفع للأمين المذكور ما تحتاج إليه العمارة الشريفة من الأموال، وأمر نائب جده المعمورة بأن يدفع له جميع ما يحتاج إليه من الأموال، وجهاز من البحر غللاً كثيرة، وعين صحبته كاتباً على العمارة الشريفة؛ وهو الجناب العالي الزيني رمضان چلبى، ووصلاً جميعاً إلى المدينة المنورة سنة أربع وأربعين وتسعمائة، ووصل أيضاً في هذا العام من البحر عسكرياً معيناً [عسكر معين] بسبب الإقامة بالقلعة (١) التي بالمدينة المنورة، وهو نحو ستون [ستين] نفرًا رماءً بالبندق، وجعل عليهم باش (٢)، ويسمى دزدار، فوصلوا إلى المدينة المنورة، وكانت القلعة حينئذ لم يشرع في بنائها.

ثم إن الأمين مصطفى چلبى المذكور أتم باقي السور، وباب البقيع، وهدم القلعة القديمة، وكانت مبنية على هيئة القاعة من غير أبراج، ثم إن الأمين المذكور غيرها، وأحكم بناءها وشيد أبراجها، وأحدث لها جداراً وباباً من داخل المدينة المنورة، وجعل البناء محيطاً بها، وجعل بيوتاً للعسكر في داخلها، وجعل بيتاً لنائب القلعة على الجبل الذي هناك في محل القلعة، وذرع داير (٣) القلعة من الباب الشامي الكبير إلى الباب الصغير خمسمائة وثمانية عشر ذراعاً وذرع الجدار الشرقي لها من داخل المدينة المنورة مائة واحد وستون ذراعاً، وذلك بذراع العمل.

واستمر في بناء ذلك، وتكميل ما بقي من سور المدينة المنورة، إلى أن تم جميع

١-١ بنت الخلافة العثمانية قلعة عسكرية حصينة؛ لأغراض الدفاع عن المدينة ومحاربة الأعراب، وتأمين طريق الحجاج وغيرها. وكانت قلعة متينة مبنية من الصخر الأملس على ربوة صخرية في الجهة الشمالية الغربية من الحرم النبوي الشريف وكانت تسمى القلعة أو القشلة. وبقيت هذه القلعة تخدم الخلافة العثمانية حتى زوالها، ثم بقيت وكانت تعد من معالم المدينة في شارع العنبرية إلى أن رأيت الجرافات تهدمها وتزيلها ضمن ما هدمت من معالم المدينة القديمة - وهي الربوة الصخرية المبنية عليها سنة ١٤١٩ هـ.

٢-٢ باش: كلمة تركية تعني الرأس، أو القائد في الجيش.

٣-٣ أي المحيط.

ص: ٢٢٩

ذلك (٩١ ب) في النصف من شهر شعبان المعظم قدره، سنة ست وأربعين وتسعمائة، فكان مدة الإقامة بالبناء بسور المدينة سبع سنوات ونصف سنة، بما في ذلك من تخلل البطالات (١) المذكورة.

وفي هذا التاريخ تم بناء جميع سور المدينة المذكور، بما فيه الأبواب والأبراج من التجايف نحو أربعين ألف ذراعاً [ذراع]، وبدون التجايف المذكورة ثلاثة آلاف وأربعمائة واثنين وثمانين ذراعاً بذرار العمل.

وفي آخر الشهر المذكور توجه كل من الأمين مصطفى المذكور، والزيني رمضان جلبى الكاتب المذكور إلى الأبواب العالية (٢)، وسمعت من الأمين المذكور أن المصروف بسبب بناء السور المذكور على من تقدم ذكرهم من العسكر والبنائين وغيرهم، من الغلال كالتمح والشعير والفل، نحو خمسة عشر ألف أردب (٣)، والمصروف من الذهب السليمانى (٤) الجديد الوازن نحو مائة ألف ديناراً [دينار] ذهباً.

وكان المعزّ الكريم العالى، ذو الخصال الحميدة، والآراء السديدة الزينى محمود جلبى، شيخ الحرم الشريف النبوى وناظره، أعزه الله تعالى وأدام أيامه، توجه إلى الأبواب العالية السلطانية، فكان مدياً عرضه على مولانا السلطان الأعظم والخابان الأكرم (٥)، احتياج المسجد الشريف النبوى إلى بناء وترميم جدرانه، وهدم المنارة المسماة بالسنجارية (٦)، وغير ذلك من المشاهد والآثار.

١- ١ أى توقف العمل.

٢- ٢ الأبواب العالية، جمع الباب العالى، وهى كناية عن بلاط الخلافة العثمانية فى اسطنبول.

٣- ٣ أحد الأوزان المتعارفة فى تلك الأزمنة ويعدل كل أردب ما يقارب ٥٠ كيلوغراماً.

٤- ٤ الذهب السليمانى: الليرات الذهبية المضروبة فى عهد الخليفة العثمانى سليمان خان.

٥- ٥ من ألقاب الخلفاء العثمانيين، وهنا يقصد السلطان سليمان خان العثمانى.

٦- ٦ وهى المنارة، التى كانت قائمة فى الركن الشامى أى فى الشمال الغربى من المسجد النبوى.

ص: ٢٣٠

فبرز الأمر الشريف العالى ببناء ذلك، فجّهز مولانا المقام العالى، ذى [ذو] المجد المتعالى، من الجمال والدّواب والبنائين والحجارين والنحاتين، وجّهز من البحر ما يحتاج إليه من الغلال وجّهز من البحر (١) (٩٢) أيضاً الأهلّة (٢) المجهّزة من الأبواب الشريفة (٣)، برسم القبة المنيفة، فوصل إلى المدينة الشريفة، ووضّع الهلال على القبة الشريفة فى تاسع عشر شوال المبارك سنة ست وأربعين وتسعمائة، وهو الموجود على القبة الشريفة الآن، وهو من نحاس مطلى بالذهب، وأرسل أيضاً بخمسة أهلة؛ لكل منارة هلال، وللمنبر الشريف هلال أيضاً، ووضّع ذلك عليهم.

ويقال: إنّ المصروف على طلاء الأهلّة من الذهب السليمانى المسكوك ألف وثمانمائة ديناراً [ديناراً] ذهباً. وفى ذى الحجة الحرام سنة ست وأربعين وتسعمائة وصلت الجمال والبهايم المذكورة صحبة الأمين الذى عُيّن للعمارة الشريفة، وهو الجناب العالى الزينى حسن أحد المماليك السلطانية، وعدّها مائة جمل وخمسون بهيماً، ووصل من البرّ المعلمين المذكورين [المعلمون المذكورون].

وفى أوائل ربيع الثانى سنة سبع وأربعين وتسعمائة وصل الكاتب على العمارة، وهو الزينى عبدى چلبى، والمباشر على ذلك، وهو تاج الدين الخضيرى، وصحبهم الغلال الشريفة من القمح والشعير والفول. ثمّ إنّ أمين العمارة المذكور ورد بالمراسيم (٤) الشريفة، التى من مضمونها: أنّ ما

١- ١ أى حملت المؤن من الغلال وغيرها عن طريق البحر إلى جدّة، ثمّ المدينة المنورة.

٢- ٢ الأهلّة: جمع هلال، والمقصود هنا إرسال الأهلّة الذهبية المنصوبة على القبة النبوية الشريفة وعلى رؤوس المآذن.

٣- ٣ إشارة إلى الباب العالى مقرّ الخلافة العثمانية.

٤- ٤ يقصد بها الأحكام الصادرة من الخليفة أو الوالى بشأن أمر من أمور الدولة.

ص: ٢٣١

يحتاج إليه المسجد الشريف من العمارة يعمر، والنظر في جميع ذلك جزئياً و كلياً لمولانا المعزّ العالي، شيخ الحرم الشريف المذكور. فجمع مولانا شيخ الحرم الشريف السادة القضاة، والأمين المذكور، والمهندس على العمارة المذكورة وهو المعلم على بن تبك، ومن حضر من البنائين الواردين إلى المدينة المنورة والمقيمين بها، فكشفوا على المسجد الشريف النبوي، فكان مما رآه المهندس والبنائين [البنائون] في ذلك أنّ بعض جدار المسجد الغربي من باب الرحمة، محتاج إلى الهدم والإعادة، وأنّ الباقي (٩٢ ب) من الجدار الغربي مع الجدار الشرقي محتاج إلى الترميم، بهدم بعض أسافله، وترك العلو على حاله، وأنّ باب النساء محتاج إلى تقويته بأبراج خلفه من خارج المسجد، وأنّ المنارة السنجارية، التي هي في الركن الشامي من جهة الشرق، تحتاج إلى هدمها كلها.

فاقتضى الحال الشروع في الهدم والبناء، فأول ما بنى باب الرحمة، ورّم الجدار الذي يليه غربي المسجد النبوي، وكان مائلاً من جهة المنارة الخشبية، التي هي في الركن الشامي غربي المسجد النبوي، ليرى هل الميذ في النزاه (١) أم لا؟ ثم هُدمت المنارة المذكورة، ونقض أساسها، وزيد في الحفر على الأساس القديم؛ إلى أن وصل الماء، بحيث إنّ الماء تزايد على المعلمين، حتّى نقلوه بالقرب (٢)، فلما رأوا أيضاً نقله بالقرب لا يفيد، جعلوا ثلاثة دواوير كبار من الخشب السمر، ووضعوها في الماء، وبنوا على الأخشاب، إلى أن علا البناء على الأخشاب قدر قامه، ثم حفروا تحت الدواوير حتّى نزل بما عليها من البناء إلى أصل الأرض الطيبة، ثم أزيل الماء المجمع في جوف الدواوير، ودكّ وسطها بالحجر، الملونة الطيبة الجيدة، وكان

١-١ كذا في الأصل.

٢-٢ القرب: جمع قرية، وهي الوعاء الجدلي الذي يوضع فيه الماء.

ص: ٢٣٢

عمق أسسها ثلاثة عشر ذراعاً، بذراع العمل، وعرضه سبعة أذرع في سبعة أذرع، وبنيت بالحجر المنحوت. ثم لما وصل البناء إلى وجه الأرض، اختصر من عرضها ذراع، وبنيت على التربع إلى أن تعلت على سطوح المسجد فتمت. وفي أثناء ذلك هدم ما يحتاج من الهدم من الجدار الشرقي - جدار المسجد الشريف النبوي - ورمم، ولم يهدم شيء من أعاليه، وإنما نقض بعض أسافله من خارج المسجد، وبنى أيضاً باب النساء، وجعل له برجين عظيمين [برجان عظيمين] تقويةً. وكتب التاريخ على كل من البابين باب الرحمة، وباب النساء - باسم مولانا (١٩٣) السلطان الأعظم نصره الله تعالى وأدام أيامه. واستمرت العمارة في المنارة الشريفة، ثم في غرة محرم الحرام سنة ثمان وأربعين وتسعمائة توجه مولانا المعزّ الكريم العالی محمود جلبى شيخ الحرم الشريف المذكور إلى الأبواب العالیة؛ صحنه المصرى لعرض أحوال أهل المدينة المنورة، وما هم عليه من الأذى والشدة بسبب تأخير إرسال قمح الدشيشة وغيره، كتب الله تعالى سلامته وأنجح مقاصده آمين. ثم بيّض داخل المسجد الشريف النبوي واسطواناته مما كان محتاجاً إلى التبييض، فجاء على حاله، وكتب التاريخ أيضاً باسم مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى في جدار المسجد الشريف من جهة الغربى فى الخشب المسقوف برفوف عليه، كما جعل للملك الأشرف قايتباى فى الجدار القبلى والشرقى (١).

وكانوا فى أواخر سنة سبع وأربعين وتسعمائة ورد صحنه أمير الحاج المصرى، مراسيم شريفة من مضمونها تجديد محراب الحنفية وتقديمه ليحاذى

١ - ١ - زالت الكتابة باسم السلطان قايتباى موجودة على باب حجرة النبى صلى الله عليه وآله فى الجانب الشرقى وبالقرب من اسطوانة الحرس.

ص: ٢٣٣

محراب الشافعية (١)، وتقديم القاضي الحنفى على القاضي الشافعى فى جميع الأمور؛ من الجلوس والمصالح والأنظار وغير ذلك. وفى سابع عشر محرّم الحرام سنه ثمان وأربعين وتسعمائه، شرع فى بناءه محراب الحنفية، وجعل محلّه بين المنبر وحدّ المسجد النبوى محاذياً لمحراب الشافعية (٢)، وحصل من بعض الشافعية بسبب ذلك كلمات سامحهم الله فى ذلك، ولا شكّ أنّ الإمامين منزهين [منزهان] من ذلك، نسأل الله العظيم أن يوفقنا لاتباعهم فى العلم والعمل بحقّ محمد وآله وصحبه أجمعين. وفى ليلة مولد النبى صلى الله عليه وآله ثانى عشر ربيع الأوّل (٣) (٩٣ ب) تقدّم إمام الحنفية وصلى فى المحراب المذكور، وجعل من الروضة الشريفة إلى حدّ المسجد النبوى درابزين (٤) من الخشب أمام محراب الحنفية، وجعل مقابل الروضة المطهرة درابزين عالية تمنع ضرر المار لكى لا يقطع الصفّ، ثمّ مدّ الوتر الخشب الذى يوضع عليه القناديل الصغار فى الليالى الشريفة، فزيد فيه من الروضة المطهرة إلى حدّ المسجد النبوى، وكان أولاً إلى حدّ الروضة المطهرة فقط، وكان متعلّقاً إلى جهة المنبر الشريف. تمّ بذلك بحمد الله وعونه، والحمد لله.

مشاكل الحجاج

١ - ١ كانت الخلافة العثمانية تتبع المذهب الحنفى وتوجه بشتى الطرق والوسائل. منها تعيين القضاة والحكام من أتباع المذهب الحنفى، والمرسوم السلطانى بتقديم محراب الحنفية بحيث يحاذى محراب الشافعية وتقديم قاضى الحنفية على الشافعية يندرجان فى هذا المسعى.

٢ - ٢ لازال محراب الأحناف موجوداً غرب منبر النبى صلى الله عليه وآله، أمّا محراب الشوافع فلا أثر له اليوم.

٣ - ٣ اختلف فى تاريخ مولده الشريف صلى الله عليه وآله، وقد ذكر الرواة وأهل السير تواريخ متعدّدة، لكن المشهور عند أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله - وهم أدرى من غيرهم - أنّ مولده الشريف يوم السابع عشر من شهر ربيع الأوّل.

٤ - ٤ سياج خشبى.

ص: ٢٣٤

مشاكل الحجاج

السيد على قاضي عسكر

تقديم

كان منذ القدم ومازال للحج عند الإيرانيين مكانة كبيرة للغاية، وأوضح دليل على ذلك ما كتبه المسعودي (وهو مؤرخ عاش في القرن الرابع الهجري) حيث قال:

«... وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام، وتطوف به، تعظيماً له، ولجدها إبراهيم عليه السلام وتمسكاً بهديه، وحفظاً لأنسابها. وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك، وهو جد أردشير بن بابك، وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذي يرجعون إليه كرجوع ملوك المروانية إلى مروان بن الحكم، وخلفاء العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب. ولم يل الفرس الثانية أحد إلا من ولد أردشير بن بابك هذا، فكان ساسان إذا أتى البيت طاف به وزمزم على بثر إسماعيل، فقليل: إنما سميت زمزم لزمزمت عليها، هو وغيره من فارس، وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذه البثر. وفي ذلك يقول الشاعر في قديم الزمان:

ص: ٢٣٥

زَمَزِمَتِ الْفَرَسُ عَلَى زَمَزِمٍ وَذَاكَ مِنْ سَالِفِهَا الْأَقْدَمِ
وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام بذلك، فقال من كلمة:

وما زِلْنَا نَحْجُّ الْبَيْتَ قَدَمًا وَنُلْفِي بِالْأَبَاطِحِ آمِنِينَ
وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق يطوف دينا

فطاف به، وزمزم عند بئر لإسماعيل تروى الشارينا
وكانت الفرس تهدى إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان، وجواهر، وقد كان ساسان بن بابك هذا، أهدى غزاليين من ذهب وجوهرًا
وسيوفًا وذهبًا كثيرًا فقذفه [فدفن] في زمزم.

وقد ذهب قوم من مصنفى الكتب فى التواريخ وغيرها من السير، أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة، وجرهم لم تكن ذات مال
فيضاف ذلك إليها، ويحتمل أن يكون لغيرها، والله أعلم. ^(١) ومنذ ذلك الوقت وحتى عام ٤٣٨ هـ وهو العام الذى حج فيه ناصر
خسرو القباديانى (٣٩٤ - ٤٨١ هـ) وكان إسماعيلى المذهب، ودون خلاله يومياته عن الحج، لم يقدم أحد على تأليف كتاب حول
الحج وكيفية أداء الإيرانيين له، وإن كان قد ورد ذكر مكة والحرم الشريف فى أشعار بعض شعراء القرنين الثالث والرابع، وهو ما يدل
صراحة على حضور هذه المقدسات فى أدبيات ذلك العصر.

ويعدّ (رودكى) وهو أقدم شعراء الفرس (م ٣٢٩ - ٣٣٠ هـ)، أول من ذكر الكعبة فى أشعاره، حيث قال:

مكى به كعبه فخر كند مصريان به نيل ترسا به اسقف وعلوى به افتخار جدّ ^(٢)

١-١ مروج الذهب ١: ٢٦٥، طبع دار الأندلس، بيروت، ١٣٨٥ هـ

٢-٢ «فليفتخر المكي بالكعبة والمصري بالنيل، والنصراني بالأسقف والعلوي بجده».

ص: ۲۳۶

وقال في بيتين آخرين:

از کعبه کلیسا نشینم کردی آخر در کفر بی قرینم کردی

بعد از دوهزار سجده بر درگه دوست ای عشق چه بیگانه ز دینم کردی (۱)

وأنشد (بسام كورد)، وهو شاعر عاش في القرن الثالث الهجري، وكان من الخوارج الذين ظهروا في عهد (يعقوب ليث)، قطعة شعرية من أبيات خمسة يمدح فيها الأخير لتغلبه على عمار الخارجي وانتصاره عليه، وجاء ذكر مكة والحرم في بيتين من تلك الأبيات وهما:

مكه حرم كرد عرب را خدای عهد تو را كرد حرم در عجم

هر که درآمد همه باقی شدند باز فنا شد که ندید این حرم (۲)

ومنذ ذلك الوقت تطوّر هذا الفنّ من الشعر واتّسع، فقام العديد من شعراء الفرس بإنشاد القصائد حول مكة والمدينة، إمّا صراحةً أو تلميحاً إليهما باستخدام بعض العبارات التي تخصّ هذين الحرمين الشريفين. ومن ذلك قول الشاعر:

به موقف عرفات وبه مجمع عرصات به حشر ونشر وبقا ولقا وهور وقصور

۱- ۱ «لقد أنسيتني الكعبة وجعلتني من رواد الكنيسة، فأصبحت في الكفر فريداً، فبعد أدائي لألفي سجدة عند عتبة الحبيب، جعلتني أيها الحبّ غريباً عن ديني». كتاب حج در آئینه شعر فارسی: ۲۱.

-۲

۲ «جعل الله مكة حرماً آمناً للعرب، وجعل عهدة وملكك حرماً للعجم، فخلد كل من عاش عهدة، وفنى من لم ير هذا الحرم». المصدر السابق.

ص: ٢٣٧

به قدس وكعبه وجودى ويثرب وعرفات به حق زمزم وركن ومقام ومسجد نور (١)

وتجدر الإشارة إلى أن أغلب يوميات الحج، التي زينت المكتبة الأدبية الفارسية بعد ناصر خسرو هي تلك التي تعود إلى عهد الصفويين ثم القاجاريين؛ وذلك للتطور الثقافي الذي بدت ملامحه واضحة على المجتمع في ذلك العصر، وللدافع الأدبي الذي كان مسيطراً على الأشخاص وعلى مختلف الطبقات الاجتماعية، خاصة العلماء والمثقفين، وكذلك أصحاب المناصب الحكومية، وشغفهم في تدوين الأخبار والمعلومات المتعلقة بالحج، وتسجيل خواطرهم، وكتابة ذكرياتهم الحلوة منها والمرّة. ولا ننسى ما للتخصّص العلمي والميول الفكرية لدى الكتاب من أثر واضح وسمه مميزة تضع بصماتها بوضوح على يومياتهم المكتوبة.

فمنهم من عمد إلى جمع المعلومات التاريخية، ومنهم من ركّز اهتمامه على الناحية الجغرافية. ومن الكتاب من أخذ في وصف المنازل والأماكن في الطريق إلى الحرم المكي، في حين تطرّق آخرون إلى بيان الأوضاع الاجتماعية للناس في تلك الفترة والإشارة إلى نماذج من سلوكهم. لكن الوجهة الرئيسية لأغلبهم كانت تتجه نحو إرشاد الحجاج من بعدهم؛ ليتفادوا قدر الإمكان المشاكل والصعوبات التي قد تصادفهم في رحلتهم إلى الديار المقدسة.

ومهما يكن من أمر فإن الاختلاف الموجود بين الرؤى لدى مؤلفي اليوميات أصبح العامل الأساس، الذي ساعد في جمع قدر لا يُستهان به من المعلومات حول حقبة معينة من الزمان. فمثلاً كان يضطرّ بعض الرحالة إلى البقاء مدة أطول في محلّ

١ - ١ «وَحَقَّ الْمَوْقِفُ فِي عَرَفَاتٍ وَعَرَصَاتِهَا وَالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَالْبَقَاءِ وَاللِّقَاءِ وَالْحُورِ وَالْقُصُورِ، وَقُدْسِيَّةِ الْكَعْبَةِ وَجَبَلِ الْجُودَى وَيَثْرِبَ وَعَرَفَاتٍ، وَزَمْزَمَ وَالرَّكْنَ وَالْمَقَامَ وَمَسْجِدَ النُّورِ». المصدر السابق.

ص: ٢٣٨

أو مكان ما أثناء الطريق؛ وذلك لعدم توفّر وسائل النقل السريعة كما هو الحال في عصرنا الحاضر، وكذلك لندرة الطرق الواصلة بين تلك الأماكن، وهو ما اضطرّهم للمكوث أطول فترة ممكنة في تلك المناطق التي نزلوا فيها وجعلهم يتعرّفون عليها وعلى أهلها فراحوا يدونون أسماءها وأسماء المناطق المجاورة لها وما فيها من آثار ومعالم وكتابة خصوصياتها وتثبيت كلّ ذلك على صفحات مؤلفاتهم. ومع ذلك، فقد دوّن بعض المؤلفين الأسماء بصورة مغلوطة، أو اشتبهوا في بيان الخصائص الأخلاقية والاجتماعية لسكان تلك المنطقة أو المدينة أو القرية في ذلك الزمن.

ويرجع السبب في ذلك إلى حصول أولئك الرّحالة على تلك المعلومات من أشخاص غرباء أو أمّيين أو لا يملكون المعلومات الكافية والمطلوبة. ولحسن الحظ، فإنّ مثل هذه الحالات من الأخطاء يمكن تصحيحها بالرجوع إلى المصادر التاريخية الموثوقة. هذا وتمتاز بعض اليوميات بخصائص وميزات معينة؛ وذلك لكونها مصاغة بشكل أبيات شعرية. ويمكن الإشارة إلى كتاب (فتوح الحرمين) ل (محيى اللارى) - القرن العاشر - ومنظومة لسيدة إصفهانية (في القرن الثاني عشر) باعتبارهما أهمّ اليوميات على هذا الصعيد. (١) وتجدر الإشارة إلى أنّ الكثير من الرّحالة عمد إلى تخصيص الجزء الأعظم من يومياته؛ لبيان الصعوبات والمشاكل الكبيرة في ذلك الزمان. ولا يخفى ما لذلك من أهمية كبيرة خاصة بعد مقارنة تلك الحالات مع الواقع الموجود في وقتنا الحاضر. لكن كل ذلك لم يكن ليمنع الحجيج من شدّ رحالهم إلى تلك الديار المقدسة وأداء مراسم الحجّ؛ تلك الفريضة الإلهية المقدسة، لما كانوا يحملونه من حبّ لها وتعلّق بزيارة ما في تلك البلاد من آثار وأماكن تهفو إليها قلوب المؤمنين.

١- ١ قام الشيخ الفاضل رسول جعفریان بتحقيق هاتين اليوميتين، وتمّ طبعهما.

ص: ٢٣٩

فقد أنشد الشاعر حافظ الشيرازي:

در بیابان گر به شوق کعبه خواهی زد قدم سرزنش ها گر کند خار مگیلان غم مخور (١)
 وأما نحن، فهدفنا من كتابه هذه السطور هو سرد قسم من تلك المشاكل والصعوبات التي كانت تواجه الحجيج في رحلتهم إلى الديار المقدسة، وما لاقوه من مكن وشدائد، مستندين على أقوال الرحالة أنفسهم:

١- صعوبة الطرق والمواصلات:

إن صعوبة الطرق والمواصلات هي في الواقع واحدة من تلك المشاكل الرئيسية، التي كانت تواجه الحاج في الزمن الغابر. وقد ورد ذكر ذلك بوفرة في يوميات الرحالة وأشعار الشعراء الفرس، فقد أنشد الخاقاني البيت التالي واصفاً ذلك بقوله:

گر زخم یافته است از رنج بادیه دیدار کعبه مرهم راحت رسان شده (٢)
 وفي أبيات أخرى يصف الشاعر نفسه بعض ما يعانيه فيقول:

ساربانان به وفا بر تو که تعجیل نمای کر وفای تو زمن شکر موفا شنوند
 حاش لله اگر امسال ز حج وامانم نز قصور من وتقصیر تو حاشا شنوند

-
- ١-١ «إن كنت تريد قطع الأشواط والسير في البرية شوقاً للوصول إلى الكعبة، فلا تخش ملامه أحد ولا تحزن». ديوان حافظ: ١١٢.
 ٢-٢ «إذا كان ما ألقاه من صعوبات في طريقى إلى الكعبة أمراً لا يمكن احتماله، فإن رؤيتها هو البلمس الشافى الذى يُريحنى ويزيل عني ثقل تلك الصعوبات».

ص: ۲۴۰

دوستان یافته میقات و شده زی عرفات من به قید و ز من آوازه به بطحا شنوند (۱)

وقال شاعر آخر هو (أنوری) - م ۵۸۳ هـ:-

خوان خواجه کعبه است و نان او بیت الحرام نیک بنگر تا به کعبه جز به رنج تن رسی

بر نبشته بر کران نان او خط سیاه لم تكونوا بالغیه إلبشق الأنفس (۲)

وقال الشاعر (خواجوی کرمانی) بهذا الخصوص أيضاً:

به راه بادیه هر کس که خون نکرد حلال حرام باد مر او را وصال بیت حرام (۳)

وأما (مولوی) فقد أنشد الأبيات التالية:

عزت مقصد بود ای مُمتَحَن پیچ پیچ راه و عقبه و راهزن

۱-۱ «أيها الجمال! عجل بالرحيل وأوف بوعدك، ولك مني جزيل الشكر. وإن عجزت عن الذهاب إلى الحج هذا العام لا سمح الله فليس ذلك لتقصير مني ولا منك. لقد وصل الأصحاب الميقات ووطأوا عرفات، في حين ما زلت أسيراً، أقطع طريق البطحاء». ديوان الخاقاني: ۱۰۲.

۲-۲ «إن مائدة الخواجه هي الكعبة وخبزا البيت الحرام، فتأمل فإنك لن تصل إلى الكعبة إلا بتحمل المشاق. فقد كتب علينا بقلم غليظ: لم تكونوا بالغیه إلبشق الأنفس» اقتباساً من الآية الكريمة ۷ من سورة النحل. كتاب «حج در آئینه شعر فارسی»: ۴۴.

۳-۳ «حرام علی من لم یرق دمه وهو فی طریقہ نحو الکعبه وصال بیت الله الحرام». ديوان خواجوی کرمانی: ۳۳.

ص: ٢٤١

عزت كعبه بود آن ناحیه دزدی اعراب و طول بادیه (١)

ويقول الشاعر المعروف (سعدى):

سارباناً جمال كعبه كجاست كه بمردیم در بیابانش (٢)

وكذلك أنشد الشاعر (جامى) يقول:

گر آرى رو در آن كعبه چو ريگ گرم زیر پا سپردن بايدت سر كوه آتش در بیابانش (٣)

ولا- يخفى أن إحدى المشاكل المستعصية، التى يواجهها الحجيج فى الطريق إلى مكة هى هبوب الرياح السود الحارة والخطرة

المعروفة ب (السموم)، وهى رياح طالما جلبت المشاق لهم، وربما تسببت أحياناً فى موت العديد منهم.

وكتب مؤلف كتاب (تمدن اسلامى) «الحضارة الإسلامية» فى معرض حديثه عن المهالك، التى تصادف الحاج فى طريقه نحو

الكعبة، يقول:

«هبت عام ٤٠٢ هـ ریح سوداء على قافلة الحجيج، فطمست بهبوبها مصادر المياه، فهلك معظمهم من جزاء ذلك، حتى قيل: إن كأس

الماء صار يُباع بمئة درهم.» (٤)

١-١ «إن عزّة المقصد أيها الممتحن يكمن فى تلافيف الطريق وعقباته، وقطاع الطرق. واعلم أن حبّ الكعبة ومعزّتها عندك يُحتمل

عليك تحمّل اللصوص والبدو وأعباء الطريق» [المترجم]. شرح مثنوى مولوى للعلامة الجعفرى ١٢: ٤٣٢.

٢-٢ «يا جمال! أين جمال الكعبة؟ لقد فدينا أرواحنا فى صحرائه». غزليات سعدى: ٢١٥.

٣-٣ «لا تُبال بحر الحصى تحت قدميك. فلو أردت الوصول إلى الكعبة؛ عليك أن تتحمّل جبلاً من النار». ديوان جامى: ٤٩.

٤-٤ تمدن اسلامى ٢: ٥٤.

ص: ٢٤٢

وذكر (مير سيد أحمد هدايتي) كذلك في يومياته:

«قبل يومين تعرض ستون أو سبعون نفرًا هنا (في جدّة) إلى السموم، وهلكوا جميعاً» (١) وأما الشاعر (نزاری) فقد وصف السموم في شعره بأنها أطيب من ظلال شجرة طوبى لمن يريد وصال حبيبه، وهو ما يدلّ على حبه العميق للكعبة والرغبة الشديدة التي تحدوه للوصول إليها. فهو يقول:

رندگان ره كعبه را ز غایت شوق سموم بادیه خوش تر ز سایه طوبی (٢)

وأورد (سنائي) الشاعر المعروف بعضاً من مشاكل الطريق ومشاقه في المقطوعة الشعرية التالية:

پای چون در بادیه خونین نهادیم از بلا همچو ریگ نرم پیش باد سرگردان شویم
زان یتیمان پدر گم کرده یاد آریم باز چون یتیمان روز عید از درد دل گریان شویم
از پدر وز مادر وفرزند وزن یاد آوریم ز آرزوی آن جگر بندان جگر بریان شویم
همرہان حج کرده باز آیند با طبل و علم ما به زیر خاک در، با خاک ره یکسان شویم
قافله باز آید اندر شهر بی دیدار ما ما به تیغ قهر حج کشته غریستان شویم

١-١ «داستان باریافتگان»: ١٥٠.

٢-٢ الحج في مرآة الشعر الفارسی: ٤٨.

ص: ٢٤٣

همرهان با سرخرویی چون به پیش ماه سیب ما به زیر خاک چون در پیش مه کتان شویم
دوستان گویند حج کردیم و می آیم باز ما به هر ساعت همی طعمه دگر کرمان شویم
نی که سالی صد هزار آزاده گردد منقطع هم دریغی نیست گر ما نیز چون ایشان شویم (١)
ولا ريب في أن الطرق الجبلية، والمعابر الضيقة للوديان، والسبل المتعرجة، والبراري الجرداء الخالية من الماء والخضرة؛ كل ذلك زاد
من خطورة الوضع الذي كان يعانيه الحجيج.
وكان على الحجاج الإيرانيين أن يسلكوا واحداً من الطرق الأربعة المعروفة إذا أرادوا الذهاب إلى الحج، وتلك الطرق هي:
طريق البحر، وذلك عن طريق إحدى الموانئ الإيرانية الواقعة على الخليج إلى ميناء (جدة)، حيث يُنقل الحجيج من ميناء (بوشهر) و
(بندر عباس) و (بندر لنگه) وبعض الموانئ الأخرى نحو اليمن مروراً ببحر عُمان والمحيط الهندي، ثم الدخول إلى البحر الأحمر
والرسو في ميناء (جدة).

١- ١ «فلما أن وطئت أقدامنا البادية بعد مشقة وجه عظيمين، أصبحنا كرمال الصحراء التي تتقاذفها الرياح وترمي بها هنا وهناك.
فتذكرنا اليتامى الذين فقدوا آباءهم، وشرعنا نذرف الدموع من الألم كاليتامى يوم العيد. ثم تذكرنا آباءنا وأمهاتنا وأولادنا وزوجاتنا،
فدخلت اللوعة قلوبنا وأحرق الحزن أكبادنا. فأما الذين أدوا فريضة الحج فقد بدأوا بالعودة إلى ديارهم وأوطانهم ترافقهم طبول الفرح
وأعلام الفخر، وأما نحن فقد أصبحنا نحن والتراب سواء. وبدأت قوافل الحجاج تمرّ بالقرب منّا راجعة إلى بلادها، في حين ما زلنا
نعانى وطأة العذاب والمرارة في الصحراء. فترى وجوه الذين حجوا البيت زاهية في ضوء القمر، ووجوهنا نحن يعلوها لون الغبرة.
فالإخوة فرحون بما نالوا ويتواعدون للمجيء ثانية، ونحن ما فتئنا أن أصبحنا لقمة سائغة لديدان البر والقفر. فياليتنا نكون من جملة
تلك الألوف المحررة كل عام». ديوان سنائي: ٤١٦.

ص: ٢٤٤

وأما الطريق الآخر فهو الطريق المعروف بالجبل أو نجد، ويبدأ من العراق إلى جزيرة العرب. وقد كان السير في هذه الطريق خطيراً للغاية، حتى إن بعض العلماء قام بتحريم السفر خلاله في ذلك الزمان. ومن ذلك ما أصدره المرحوم الشيخ فضل الله النوري المتوفى عام ١٣٢٠ هـ بهذا الشأن.

طريق الشام، وهو الطريق الذي اعتاد الحجيج على السفر خلاله إبان العهد الصفوي وبداية العهد القاجاري. ويمرّ هذا الطريق بحلب ودمشق وصولاً إلى المدينة المنورة، وهو أطول من طريق نجد، لكن وبسبب توفر المياه وكثرة المراتع والأراضي الخضراء فيه، يعدّ أقلّ خطورةً وأندر سوءاً من غيره.

طريق تركيا ومصر وجدة، حيث كان الحجاج الإيرانيون ينطلقون في البدء من (بادكوبه) و (تفليس) ثم يسلكون طريق البحر الأسود إلى إسطنبول، ومن هناك يركبون الباخرة ويسيرون في البحر الأحمر حتى يصلوا إلى ميناء (يثع) أو (جدة).

ويعدّ طريق الجبل أو نجد الذي كان يُسيطر عليه آل رشيد من أصعب الطرق المذكورة وأخطرها؛ وذلك للضغوط والأذى اللذين كان الحجيج يلاقيهما من أمير الجبل وأعوانه، ومن العشائر التي كانت تسكن تلك المنطقة، والذين اعتادوا الهجوم على قوافل الحجيج وسرقة أموالهم ونهب ممتلكاتهم، مما اضطر شهيد المشروطة في إيران المرحوم الشيخ فضل الله النوري إلى إصدار فتوى حرّم فيها السفر في ذلك الطريق. وجاء في نصّ الفتوى المذكورة ما يلي:

«... لقد ثبت لدينا اليوم أنّ السفر عن طريق الجبل ذهاباً وإياباً مظنون الضرر، مألّ وعرضاً ونفساً، بل هو مؤكّد الضرر. وعلى هذا فإنّ السفر في هذا الطريق حرام. فإن احتمل أحدهم الضرر أو قال بعدم وقوعه قطعاً، فلا أقلّ من أن نتبع الاحتمال العقلاني، وهذا يكفي في حرمة الإقدام ... ومن محاسن الصدق فإن العبد لله وخلال تشرفي بزيارة النجف الأشرف والعتبات المقدسة سنحت لي

ص: ٢٤٥

الفرصة للالتقاء بعدد من العلماء الأعلام وحجج الإسلام في تلك البقعة الشريفة، فألفت أن جميع العلماء قد اتفقت كلمتهم على حرمة سلوك طريق الجبل ذهاباً وإياباً على نحو لا يقبل الشبهة بعد سماعهم لمظالم الحجيج وتراكم شهاداتهم حول ما حصل لهم. وهذا خير دليل على مصداقية هذا الحكم ومرضاة صاحب الشريعة عليه. وواضح أن مخالفة رأى هذا الجمع من العلماء هو أمر حرام في حد ذاته. (١) ولا شك في أن السبب الرئيس وراء هذا التحريم هو المخاطر التي قد يواجهها حجاج بيت الله الحرام في ذلك الطريق وتعريض أموالهم للسرقة والإغارة والنهب والسلب. وكذلك سوء معاملة الحملدارية واضطرار الحجيج إلى دفع الرشوة لقطاع الطرق لمنع أو تقليل تصرفاتهم اللإنسانية معهم.

٢- التقلبات الرديئة:

وأما المشكلة الأخرى التي يواجهها الحجيج هي رداءة وسائل النقل. فقد كانت أغلب وسائل النقل آنذاك هي الدواب، خاصة الجمال.

وقد كتبت ابنه (فرهاد ميرزا) في يومياتها تقول:

«... إن الحجيج يعانون إما من قلة الجمال أو من سيرها البطيء وبشكل لا يمكن معه للقلم تصويره.» (٢) وقال الحاج الشيخ (جعفر ترشيزي) يوماً لأمين الدولة: «إنه بينما كنت على ظهر دابتي مشغولاً بالتهجد، والليل قد انتصف، فإذا بالسير يسقط من على ظهر الدابة، وإذا بي أسقط معه كذلك، وبهذا تخلفت عن القافلة. لكن القدر ساعدني، حيث وجدت همياني قد سقط معي أيضاً. فوجدني عربّي أسمر على هذه الحال، فرأف بي وترحم على حالي، وأسرع إلى داره فرجع ومعه رجل آخر يجزّان

١- ١ كتاب أداء الإيرانيين للحج في عهد القاجاريين، لرسول جعفريان: ٢١.

٢- ٢ مجلة ميقات الحج، العدد ١٩: ٧٨.

ص: ٢٤٦

وراءهما جملاً. فأخذاني إلى مضيف القبيلة وبقيتُ لديهم أربعين يوماً أعالج من الكسور التي أصابتنى. وبعد أن عُوِّفْتُ وتمائلتُ إلى الشفاء، أخذني ذلك العربي وأوصلني إلى النجف». (١) ويُقال: إنَّ معتمد السلطان، رئيس السَّقاء عند ناصر الدين شاه، أوصى الزَّوَّار الذين أرادوا السفر عبر طريق الجبل وعلى لسان نائب الصدر عام ١٣٠٥ هـ بقوله:

«على الحاج أن يكون قادراً على ركوب الهودج أو التَّخت. ولا- تنسوا أن تحملوا الماء معكم لتُزِيلُوا به مشقَّة الطريق عنكم. وليعلم الذين يريدون السفر مترجِّلين أنَّهم إنَّما يعرَّضون أرواحهم بذلك إلى التهلكة، ولا- يحق لهم أن يُصبحوا عِبئاً على الآخرين». (٢) وكتب (مير سيد أحمد هدايتي) يذكر بعضاً من مصاعب الطريق وقلة الإمكانيات، حيث قال:

«... فتحرَّكت القافلة لأربع ساعات بقين لغروب الشمس، وعند الغروب وصلنا إلى وادٍ عريض وبدأنا بالصعود. وكانت الطريق زلقة بسبب الرمل الناعم، وقد تشابكت أنواع كثيرة من الأشجار على جانبي الوادي، خاصة شجرة (أم غيلان)، فكان الوادي يبدو وكأنه غابة كثيفة بأشجار خاوية. فوصلنا في أوَّل الليل إلى سفح جبلٍ شاهق يُدعى (جبل غاير)، ولذلك يدعى الطريق من مكة إلى المدينة ب (طريق غاير). فكان لزاماً علينا أن نعبر في ذلك الممر الضيق والمُلتوى.

فأمروا المسافرين جميعهم بالنزول عن الجِمال وجعلوها تسير في صفٍّ، الواحد تلو الآخر. ولم تكن معابر (جبل غاير) ضيقة وكثيرة الالتواء فحسب، بل صخرية

١-١ سفرنامه أمين الدولة- ١٣١٦ هـ، باهتمام إسلام كاظمية: ٩٠.

٢-٢ كتاب أداء الإيرانيين للحج في عهد القاجاريين، لرسول جعفریان: ١٩.

ص: ٢٤٧

وشديدة الانحدار وغير متناهية، بحيث تُزهق روح المسافرين وتقضى على ما بقى لديهم من الصبر والعزيمة؛ فلذلك اضطررنا جميعاً إلى السير على الأقدام حتى صباح اليوم التالي. فكنا نشاهد على جانبي الطريق وفي كل خطوة نخطوها جمالاً ساقطاً في جوف الوادي، إما ميتة أو تكاد. وقد اعتاد الجمالون على نقل حمولة الجمل الساقط من جمالهم إلى جمل آخر، وترك الجمل الساقط وحيداً في تلك المنطقة.» (١) السفر بالباخرة:

وكان بعض آخر من الحجيج يضطر إلى السفر إلى الحجاز بالباخرة. وكانت البواخر قدرة للغاية وتفتقر إلى أبسط الخدمات الاجتماعية والمرافق الصحية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كادت أمواج البحر الهائج ودواره تودي بالمسافرين إلى شفير الهاوية والهلاك. وفعلاً قضى بعض منهم نحبهم، وقذفوا إلى البحر، فحرم هذا المسكين من حج بيت الله الحرام. وكتب (ظهير الملك) الذي وُفق للحج عام ١٣٠٦ هـ عن الحالة المزريّة داخل البواخر، خاصة عند إحرام الحجيج بالقرب من (يلملم) فقال:

«إنّ القذارة والوساخة تقطر من أبدان أصحاب البواخر والسفن. وهم الآن يتهيئون للإحرام؛ فأى إحرام هذا الذي لا يلبسون فيه ما يستر أبدانهم، ولا وشاحاً يغطى رؤوسهم، وهم يغتسلون وعوراتهم مكشوفة لعدم وجود ما يسترهم؟! وأى غسل هذا الذي يؤدون؟! وأى أوانٍ وسخة يستخدمون؟! وأى ماء قدر به يغتسلون...؟! المكان كلّ قدر، سبحانه الله، إنّها مشكلة عويصة حقّاً!» (٢)

١-١ «داستان باریافتگان»: ١٨٤.

٢-٢ يوميات ظهير الملك، باهتمام رسول جعفریان، تراث اسلامی ایران، المجلد الخامس: ٢٥٥.

ص: ٢٤٨

وأما المشكلة الأخرى التى يواجهها الحجيج هى سوء معاملة أصحاب البواخر والسفن لهم، أو كما وصف (ميرزا عبد الغفار خان نجم الملك منجم باشى) الذى كان يستخدم العمّال الأجانب، حيث قال: إنّ الحجاج الذين كانوا يُضطرون إلى السفر إلى الحجاز عن طريق البحر، كانوا يعانون بشدّة من سوء معاملة أصحاب السفن وبعض المستخدمين لهم، إضافةً إلى أسلوبهم الفظّ وغير المهذب. وكتب حول ذلك فقال: «كانت هناك باخرة تعود إلى ابن المرحوم الحاج زين العابدين، التاجر الشيرازى والمقيم فى بومباى، وكان فيها مُستخدم أجنبى غير مؤدّب، وفاسد وطّماع إلى حدّ بعيد. والمشكلة أنّ جميعهم يتظاهر بالإسلام، لكنهم لا يتورعون عن فعل أى منكر وقبيح على الإطلاق، ويسرقون وينهبون بلا حدود. ومع أنّ الباخرة المذكورة كانت حديثة الاستخدام لنقل الحجاج وأمتعتهم، ومع أنّ صاحبها المسكين كان يجاهد؛ لكى تكون لباخرته سمعة طيبة حتى يستميل الحجاج لركوبها، ويجنى ما قسم له الدهر من الأرباح، لكن، وعلى غير ما كان يشتهى، لم يكن الذين وكلّهم للإشراف على باخرته كفؤين ولا حريصين، فكانوا يزجون بالحجاج المساكين داخل مخازن ضيقة وعلى أرضية الباخرة. ماذا أقول عمّا كان يلاقيه أولئك المساكين من صعوبات ومشاكل. كان كثير منهم يتعرض إلى الأمراض بسبب تلوث الهواء فى المخازن وتنتاته. ولما لم تكن هناك أدوية ومواد صحيّة كافية، كان العديد من الحجاج يقضى نحبّه، وتُرمى جثته فى البحر فيكون طعاماً للأسماك». (١) ٣- سوء معاملة الحملدارية (مسؤولى القوافل) للحجيج:

وأما المشكلة الأخرى التى كانت تُصادف الحجيج هى المعاملة غير الإنسانية لهم من قبل بعض الحملداريّة والمطوفين الذين كانوا يُرافقونهم فى تلك الرحلة.

ص: ٢٤٩

فالحملدارية هم أشخاص يرافقون الحجاج في رحلتهم، يأخذون على عاتقهم الاهتمام بشؤونهم منذ خروجهم من محل سكنهم حتى عودتهم إليه كما هو المفروض، إلا أنهم ولغرض حصولهم على أرباح أكثر كانوا لا يتورعون عن أي عمل قبيح أو أذى. وبهذا الصدد كتب مؤلف كتاب (تير أجل در صدمات راه جبل) يقول:

«عمدت زمره من العرب والعجم الذين لا ينتمون إلى أي دين أو مذهب، ممن يسمون أنفسهم بالحملدارية، إلى استغلال عباد الله أبشع استغلال. هؤلاء الأفراد يطوفون مدن إيران وقراها كل عام، متلبسين بلباس باطنه المكر والخداع، ويحاولون إقناع الناس البسطاء للسفر عن طريق الجبل، مضمّنين لهم أنه أفضل الطرق من حيث الأمان والهدوء وقصّيره ورخصه، ويعدونهم عبر موافق غليظة بأنهم سيأخذونهم من محل سكنهم إلى مكة المكرمة ويعودون بهم في أحسن حال وراحة بال. لكن، وبمجرد وصولهم النجف الأشرف واستلامهم لثلث المبلغ المقرّر لهم، يقوم مناديتهم وينادي أن أجره الجلوس في الهودج مئتان وخمسون تومانا والركوب مئة تومان. فمن كان دفع أقل من ذلك حسب المكاتب السابقة يقطعون منه الباقي في الطريق. فيصبح الحجيج ويمتعضون، فيقومون بإسكاتهم وتهديتهم، فيرى الحاج المسكين نفسه قد دفع ثلث المبلغ ولما يبلغ مرامه. فإذا رفض الدفع لم يحصل على شيء سوى أمتعته، فيضطر المسكين إمّا إلى الاستدانة متحملاً الذلّ والعار، أو بيع أمتعته أملاً في الحصول على الراحة والاستقرار... وبعد الخروج من النجف واليأس من العودة إلى الديار، يقومون بالتضييق على الحجيج في المأكّل والمشرب بشكل لم يره أذلّ الأسرى. فهم يضيّقون على الحجيج حتى في إعطائه الماء للطهارة والوضوء» (١)

ص: ٢٥٠

وكتب الحاج (ميرزا على الأصفهاني) حول سوء معاملة الحملدارية للحجيج يقول:

«إبتليت إحدى النساء المحترمت، من العائلة المالكة في (تويسرگان)، وهي شابة في مقتبل العمر، بالماليخوليا في مدينه (كظيمه) وبسبب ذلك، وضعت جنينها في الطريق ولما يبلغ السبعة أشهر. فعمد العكام الظالم (على ما نُقل) بدفن ذلك الجنين البريء حيًّا! وعلى أثر ذلك، وبسبب مشاهدة الأم لهذا المنظر، فقدت المسكينه عقلها، واختلت أعصابها، واطلمت الدنيا في عينيها. فلو كانت هذه المجلّمة المحترمة في وطنها وبين أهلها وأرادت الولادة لحفّ بها الخدم والحشم، ولتوفّرت لها كل أسباب الراحة والاستقرار، من القابلات وأدوات الولادة الكاملة والصحية، لكنها الآن تضع جنينها في وسط الصحراء، بعيدة عن أهلها، في هودج في وسط الطريق! يا إلهي! ما الذي حدث لأبناء عمومته وأقاربها عند سماعهم عن حالة هذه المسكينه وكيفيه وضعها لحملها، ودفن طفلها بهذه الكيفية؟! وما هي أسيرة المرض والألم، حتى لبث نداء ربّها في الساعة الخامسة وست دقائق ليلاً، حيث نزلت عليها الرحمة الإلهية، ففارقت تلك العفيفة المحترمة هذه الحياة بهدوء وسكينه! لقد أدمت مصيبتها القلوب حقاً... وتمّ دفن تلك المرحومة في الصحراء تحت ثرى الغربة. لا- حول ولا قوة إلا بالله.» (١) وكان للمطوفين أحياناً نفس الأسلوب الذي كان يستخدمه الحملدارية مع الحجيج. فقد كانوا يُجبرون الحجاج على دفع إتاوات ورشاوى، بعيداً عن أى مذهب أو دين.

كتب (نجم الملك منجم باشي) حول ذلك فقال:

«جرت العادة على هذه الحال سنوات عديدة، حيث يقوم كلّ حاج بدفع

ص: ٢٥١

ريالين إفرنجيين (ويعادل ذلك اثني عشر ألف دينار) إلى السيد حسن المطوف ليقسمها بعد ذلك على الخدام والسدنة. فهذا الرجل المتوحش والقليل الأدب يقتحم هو وجماعته من الخواجهات والعسكر خيم الحجاج في أنصاف الليالي لتحصيل تلك المبالغ. ويقوم أحياناً بالإغارة ليلاً على الحجاج وهم نيام لوحدهم أو مع عيالهم دون إذن وبلا وازع. ثم يبتزون منهم المبالغ عنوة مستخدمين أحسن الأساليب.» (١) وكتبت ابنة (فرهاد ميرزا) كذلك في يومياتها تقول:

«اليوم، بقي بعض الحجيج في المدينة (المنورة) عند خروجنا منها؛ لأنهم دخلوها بينما كنا نروم الخروج منها، ومنهم من جاء عن طريق (يثع) ومنهم من استطاع الفرار من (رابغ)، وقد أعطوا الحملدار مبلغ ألف ريال كإتاوة، فأخذها وهرب. وقطع بعض الرجال الطريق على الحجيج في (رابغ) وطالبوهم بدفع الإتاوة، ولما كان هؤلاء الحجيج المساكين قد أعطوا جميع أموالهم إلى الحملدار، فقد أُجبروا على البقاء هناك، لكن بعضهم استطاع الفرار والخلاص من أيديهم. ويبدو أن الحجاج الذين جاءوا عن طريق (يثع) قد قابلوا الشريف هناك. وقد أراد هؤلاء الأشرار من قبل تمرير هذه الحيل والألاعيب علينا يوم تحررنا من المدينة، وعندما لم يتمكنوا من ذلك معنا استغلوا هؤلاء الحجيج المساكين...» (٢) ٣- حيل الحملدارية والأعبيهم:

يُمارس جماعة من الحملدارية بعض الحيل والخدع مع الحجيج أثناء مسيرهم إلى الحج. ومن جملة تلك الحيل، ما أورده صاحب كتاب (تير أجل در صدمات راه جبل):

١-١ سفرنامه شیرین وپر ماجرا، مجله میقات الحج، العدد ١٩: ١٨١.

٢-٢ سفرنامه مکه، بقلم ابنة فرهاد ميرزا، مجله میقات الحج، العدد ١٧: ٩٢.

ص: ٢٥٢

«أولاً: لَمَّا كان أغلب الحجاج يفضلون السفر بطريق البحر هذه الأيام، وإنَّ معظم حجاج البحر يصلون إلى مكة قبل حجاج طريق الجبل؛ لهذا يُحاول الحملدارية الوصول قبل الحجاج إلى مكة خلسةً قبل يوم أو يومين متجاوزين بذلك الإحرام، فيرتدون أفخر الملابس ويقومون باصطياد ضحاياهم بلسان ناعم، خاصةً القرويين والرعيا السذج، فيعطونهم الجمال ليذهبوا بها إلى منى وعرفات. وبعد رجوع الحاج من هناك يُصَفِّون حسابهم معه وينتهى كل شيء حسب الظاهر. لكنهم فى طريق العودة يطالبون الحاج المذكور بأجرة ركوبه الجمل الذى أخذه إلى منى وعرفات، ولا ينفع حينئذ صراخ الحاج عندما يريد إفهامهم أنه قد صَفَّى الحساب مع أولئك الرجال وبضمنه أجرة ركوب الجمل المذكور.

فيضطر المسكين إلى دفع الأجرة وقدرها تومان واحد مقابل كل جمل.

ثانياً: وقد يتفق بعض الحملدارية مع هذا النوع من الحجاج ويتم صفقته معهم شفهيًا، ثم يقول الحملدار: الآن وقد تم كل شيء فليدفع كل واحد منكم (٤) تومات ليطمئن قلبى! وفى الوقت المناسب، خاصةً عند خروج الحجاج ورجوعهم وانشغالهم بعدة أمور، يأتى إلى الحجاج وهم فى عجلة من أمرهم مع شخص يؤيده كذباً أنه يطلبه فعلاً، قائلاً لهم: إنه اشترى من هذا الشخص بغيراً ويريد بعض المال منهم لأداء دينه! فيقولون له: حسنٌ، اعطه وسجل ذلك على الحساب. فيقول مستعجلاً كذلك: لا وقت لدى الآن. تحاسبوا أنتم معه أو اعطوه ثلث المبلغ على الحساب! وعندئذ يعطونه أو يعطون المُرسل من قبل أمير الحاج مبلغ ليرة أو إمبريال واحد! وعند خروج الحجاج من المدينة واطمئنان الحملدار أن لا طريق للعودة أمام الحاج، تبدأ محاسبته ويبدأ بالمماطلة والتسويف، ويصرخ الحاج! فإذا احتكموا إلى الشرع، يُؤمر الحاج بدفع مبلغ ما إلى الحملدار. وهكذا، يجنى الأخير بعض المال بهذه الحيلة وهى على أنواع كثيرة، لكننا سنكتفى بهذا المقدار.

ص: ٢٥٣

ثالثاً: قد يحصل على الأغلب أن يدفع الحاج الإتاوة ويأخذ وصلًا بذلك، وعند المحاسبة ينكر الحملدار أنه كان قد قبض من الحاج أى مبلغ، وأنه (أى الحملدار) قام بإعطاء الوصل إلى الحاج الذى وعده بإعطائه الإتاوة فيما بعد. ثم يقتاد المسكين إلى أمير الحاج فيخبره الأخير أن أى وصل لا يحمل ختمه يُعتبر باطلاً، وأن على الحجاج أن لا يُعطوا أى مبلغ للحملدار دون علمه، مما يضطر الحاج المسكين إلى دفع تلك الإتاوة ثانية. فإذا كان الحاج ذا قوة وبأس، يقتادونه إلى الشرع، فيتم إرغامه على دفع المبلغ كله أو نصفه بعد القسم أو المصالحة!

رابعاً: يتعهد الحملدارية فى النجف أو مكة المكرمة فى المقاوله التى تتم بينهم وبين الحجيج بالالتزام بأخذهم إلى المكان المقصود بمبلغ معين يتضمن تحمّل الحملدارية كل المصاريف فى الطريق ودون أى استثناء. وقد يُكتب ذلك بالتفصيل أيضاً، لكنّ الحملدارية لا يوفون بأى التزام يُذكر». (١) ٥- المخاطر والسرقات:

يُعتبر قطع الطريق أو السرقة من بين المشاكل الكبيرة الأخرى، التى كان يواجهها حجاج بيت الله الحرام. يقول الشاعر الفارسي الكبير (سعدى) فى كتابه المشهور (گلستان): «كنت فى أطراف مكة لا أقوى على المشى من قلة النوم، ومع ذلك قلت للجَمال: أتركنى لحالى!». أتركنى لحالى!

پای مسکین پیاده چند رود کز تحمل ستوده شد بُختی

تا شود جسم فربهی لاغر لاغری مرده باشد از سختی (٢)

١- ١ کتاب تیر أجل در صدمات راه جبل، مجله میقات الحج، العدد ٣٥: ٩٩.

٢- ٢ «وترى هذه الرجل المسكين تقطع الطريق حافية؛ متحملة كل المشاق، حتى يغدو الجسم الناصع ضعيفاً هزيلًا، والجسم الضعيف يصير ميتاً من شدة الصعوبات، وأما الإبل القوى فيمدح فى هذا الطريق فقط» [المترجم].

ص: ٢٥٤

فأجاب: يا أخى! إن الإحرام أمامك واللص وراءك. فإذا ركبت نجوت، وإذا تخلفت هلكت!

وأما (مولوى) فقد أنشد الأبيات التالية لنفس الغرض:

عزّت مقصد بود اى مُمتَحَن پيچ پيچ راه و عقبه و راهزن

عزّت كعبه بود آن ناحيه دزدى اعراب و طول باديه (١)

وأنشد (جنيد الشيرازى) البيتين التاليين واصفاً اللصوص وقطاع الطرق:

مباز عشق اگرت طاقت ستم نبود كه در طريق وفا جز بلا و غم نبود

حريم كعبه مقصود بى حرامى نيست تو را كه خوف بود راه در حرم نبود (٢)

ويصف (ميرزا على الأصفهاني) اللصوص والإغارة على أموال الحجيج بقوله:

«بعد أن تحركنا من المدينة وسرنا مسافة قصيرة، لاحظنا أن الحملدار قد انحرف في مسيره عن (مسجد الشجرة)، فبدأت الهواجس

تنتابنا والأفكار تأخذنا في سبب عدم مرورنا بالمسجد المذكور. وقال مسؤولو القافلة: إنه لا يمكننا المرور بمسجد الشجرة وإن علينا

أن نحرم بمحاذاته.

فنزلنا عن جمالنا واغتسلنا وأدينا تلبية الإحرام. فبينما كان جمع منا مشغولاً بالتلبية، وكان جمع آخر قد انتهى من ذلك، تغمرنا حالة

الخشوع والخضوع والتوجه نحو الباري عز وجل، تعالت أصوات الطلقات النارية خلف القافلة،

١-١ مَرَّت ترجمة هذين البيتين في ص ٥.

٢-٢ «لا تخسر الحب إذا لم تكن قادراً على تحمّل الظلم والقهر، واعلم أنك لن تصادف شيئاً في طريق الوفاء إلا البلاء والهم. واعلم

كذلك أن حرم الكعبة لا يخلو من اللصوص، فإن كنت ممن يخاف فلن تجد طريقك إلى ذلك الحرم». ديوان جنيد الشيرازى: ١٩.

ص: ٢٥٥

واستعرت نيران الحرب والفتنة.

فأسرع الحجاج المساكين إلى ركوب جمالهم وهم حفاة وانطلقوا هاربين، في حين ما انفك الغزاة يواصلون إطلاق النيران. وأما المسؤولون عن القافلة، فلكى يُبعدوا عن ساحتهم كل شبهة، راحوا يتحركون هنا وهناك متظاهرين بالدفاع والمقاومة. فيما تزايد إطلاق العيارات النارية من الجبال المحيطة. وكانت قافلة الحجاج بالطبع هي الهدف المقصود. فجفلت على أثر ذلك بعض الجمال وتفرقت مرتبكة هنا وهناك، وسقطت الكثير من الهودج من على ظهورها. فاستغل الجمالون الخبثاء هذا الوضع وبدأوا بنهب أموال الحجاج. بل وكانوا يُسقطون الأحمال والحجاج المساكين من على ظهور الجمال. وما فتئت أعداد اللصوص تكثر وتزداد، وبدأت الطلقات النارية تتجه نحو القافلة من ثلاث جهات. وهكذا تجسست أمامنا أبشع الأعمال. فالجمال بدأت بالهروب واحدة تلو الأخرى، والأمتعة والهودج طريحه الأرض، وظل المعتمرون المحرمون يتراكمون على صخور الصحراء وأحجارها، ويدوسون الأشواك حفاة، حيارى لا يعلمون شيئاً عن مصيرهم.

وأما النساء المجللات، فقمّن بالهروب حفاة على غير هدى كذلك، وهنّ لباسات لباس الإحرام، ينشدن الخلاص والنجاة. لكن الغزاة الطغاة لم يكونوا ليعطوا أحداً فرصة الهروب أو الفرار. الحق أن ذلك المنظر كان يمثل مشهداً من مشاهد يوم القيامة! فالطلقات النارية تمرّ بالقرب من آذان المسلمين، الذين تعالت صيحاتهم وأصواتهم وملأت أركان الصحراء قائلين: وا محمداً! كان مثلهم كمثل قطع الغنم الذى تلاافته الذئاب. وسقطت جموع الأطفال الأبرياء والمرضى المساكين والنساء الخائفات تحت أقدام الجمال، وظلّوا هدفاً للطلقات النارية وهم محاصرون بين الجبال وحجارة الصحراء. كان ذلك تقدير العزيز القهار! وظلت الحالة هكذا مدة ثلاث ساعات تقريباً، وتمّ للصّوص ما أرادوا من تخويف الحجاج

ص: ٢٥٦

برصاصاتهم، ومال مقدّم القافلة نحو واد قريب على الجهة اليمنى من القافلة. فاشتد الأمر هناك، وسقط الكثير من الهواج على الأرض، فكان حالها بشكل لا يمكن للقلم أن يوصفه. الحق أن ذلك المنظر كان يعبر عن مصداق الآية القائلة يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (١)

. إضافة إلى كل ما لاقاه الحجيج من الخوف والرهبه والتعب والهروب حفاً على صخور الصحراء وحصاها، فقد أخذ الظمأ منهم كل ما ادخروه من طاقة، ويبست أفواههم حتى من اللعاب. وسمعت السيد المسكين يقول: لم أعد أرى شيئاً، واطلمت السماء والأرض أمامي.

گر نویسم شرح آن بی حد شود مثنوی هفتاد من کاغذ شود (٢)

وعلى كل حال، فقد وصل الجمالون الزنادقة إلى ما أرادوا ولعبوا لعبتهم مع الحجاج، فكانوا يلقون الحاج من على ظهر دابته ويسرقون متاعه. وأضحت تلك الأجساد الرقيقة الوديعه طعماً لرصاص أولئك الظالمين الذين انشغلوا بالنهب والسلب، وانهمك كل امرئ فيما يعنيه، فلا يعلم منهم الحي ولا الميت. وأخيراً، نزلنا من ذلك الوادي وإذا بمحيا المدينة الطيبة يتجلى من بعيد، ولاحت السكك الحديدية، وعلم عساكر القطار بالأمر فهرعوا للنجدة، واقتتلوا مع أعداء الدين وتمكنوا من طردهم والحيلولة بينهم وبين ملاحقة قافلة الحجيج الذين تطلّعوا إلى المدينة، بين مسلوب ومنهوب ومجروح وجائع وظمآن وحافٍ وعريان، في حال يرثى لها. ونزلوا بظهر المدينة، بينما ظلّ كثيرون منهم في ذلك الوادي المهول، يتخطفهم الموت من كل جانب، لا يقوى واحد منهم على السير. وكانت حصيلة الحادثة أن سقط الكثيرون برصاص الأعداء، وجرح عدد آخر، ونُهبت الليرات والأمتعة والصكوك والذهب والحلي والسجاد، وأشياء أخرى لا يمكن للقلم أن

١- ١ سورة عبس: الآية ٣٤.

٢- ٢ «ولو أردتُ شرح ذلك المنظر وتدوينه على الورق لاحتجْتُ إلى سبعين منّا من الورق.».

ص: ٢٥٧

يحصيها جميعاً...» (١) وقد أشارت ابنة (فرهاد ميرزا) أيضاً إلى بعض الجرائم التي ارتكبها أولئك اللصوص الجفأ وقطاع الطرق الأجلاف، وصرّفهم اللّا إنسانى مع الحجيج، فقالت:

«تخلف عنا يوم الأحد حاج من جرجان، وكان لزوجته كذلك هودج في قافلتنا، فلما وصلنا منزلاً في الليل، علمنا بأنه ظلّ في الصحراء. فبعث المسؤولون عن القافلة رجلاً للبحث عنه، فعاد به صباح يوم الثلاثاء. ثم تبين بعد ذلك أنّ فارسين من الأعراب وآخر كان راجلاً قد سأله عن سبب تخلفه عن القافلة.

فأجابهم هذا المسكين التعيس أنّ السبب في ذلك هو بعيره الذي توقّف ولم يعاود السير! فقالوا له: إذا أعطيتنا نقوداً فسوف نحمل لك أمتعتك. على كلّ حال حمل أولئك الرجال أمتعة هذا الحاج على جمالهم وبدأوا بالسير ببطء حتى اختفوا عن أنظار ذلك المسكين. فاضطر الرجل إلى السير مشياً وكانت معه ستون توماناً، أخذوها منه وقسموها عليهم أمامه، وفكروا في النهاية التخلّص منه بقتله، فندب المسكين حاله وتمسك أمامهم، فانصرفوا عن قتله، واستعاضوا عن ذلك بضربه حتى كاد يهلك، ثم خلعوا عنه ملابسه الداخلية واخلوا سبيله قائلين له: اذهب في هذا الاتجاه إلى أى مكان تريد! فقضى الحاج المسكين تلك الليلة في عرض الصحراء يبكى ويصيح حتى اليوم التالى؛ فعثر عليه الرجال الذين ذهبوا للبحث عنه، فأركبوه بعد أن كان على شفير الهاوية.» (٢) وتضيف ابنة (فرهاد ميرزا) في مكان آخر من يومياتها قائلة:

«تحرّكنا يوم الخميس، لخمس ساعات بقين على الغروب، من (بئر خلع). وقبل وصولنا المنزل في الليل، تعالت الأصوات من الجهات الأربع قائلة:

١-١ سفرنامه حج لميرزا على الأصفهاني: ١٩٣ و ١٩٤.

٢-٢ سفرنامه مكه بقلم ابنة فرهاد ميرزا، مجلة ميقات الحج، العدد ١٧: ٧٤.

ص: ٢٥٨

لصوص ... لصوص!. ثم تبين أنّ اللصوص قد سرقوا هميان ابن الحاج عبد الهادي الإسترابادي الذي يُتاجر في بغداد، مع رزمه ثيابه من تحته. فكانوا يرمون بالحجارة على المشاعل لإطفائها؛ ليتمكنوا من التحرك خلال صفوف الحجيج ويقوموا بهذه الحركات، كما قيل عن (حسين كُرد) في الكتب من أنه...» (١) ثم تُضيف:

«وما إن وصلنا منزل (ربّ الحسان) وأراد الحجاج المساكين أخذ قسط من الراحة حتى ارتفعت الأصوات تصيح: لصوص ... لصوص! فعلمنا بعد حين أنّ متاع (حسن خان نامي) من أهالي شيراز، قد سُرق. لكن (حسن) هذا أبدى شجاعة وجرأة، حيث طارد اللص، والليل قد بلغ منتصفه، لكن اللص استطاع أن يضربه على رأسه، فرجع المسكين برأس مشدوخ. وقد كان متاع (حسن خان نامي) يحتوى على شيء من الرز والدقيق وملابسه بالطبع. وهكذا فلم يبق له إلا- رأسه المكسور...» (٢) وقد أورد (ميرزا داود) وزير الوظائف آنذاك وقائع فظيعة في يومياته تُشير بوضوح إلى أنّ القتل والنهب والإغارة على أموال الناس كان أمراً عادياً. يقول ميرزا داود:

«ومن الحوادث المروعة التي حصلت في الطريق في ذلك الوقت، هي أنّه كان يوجد شاب (وهو ابن أخي مقوم باشي)، وكان يتمتع بشخصية متميزة بين الحملدارية. وقد اعتاد هذا الشاب الوسيم على ركوب الفرس. وكان يوجد في (بئر جديد) مكتب للتلغراف وبئر كبيرة وخمس خيام يسكنها الأعراب. وتقع (بئر جديد) على بعد منزلين من (هدية). وصلنا هناك بعد غروب الشمس بساعة،

١-١ المصدر السابق: ١٧.

٢-٢ المصدر السابق: ٨٥.

ص: ٢٥٩

وكان الشاب المذكور قد وصل قبلنا إلى هناك بوقت قصير، وذلك لشراء العلف من أولئك الأعراب، فحدث جدال بينه وبين البائع حول سعر العلف، فضرب الشاب الأعرابي على رأسه بعود خيزران كان في يده، فبادر الأعرابي بضرب الشاب بطلق نارى من بندقيته اعتاد أولئك الأعراب حملها معهم، وأصاب ظهر الشاب فسقط مقتولاً في الحال. ثم سارع الأعرابي إلى جبل لا يبعد عن المكان سوى مئة قدم وجلس هناك يراقب قافلة الحجيج، بينما انشغل أهله وأمه بالبيع والشراء، وكأن شيئاً لم يحصل. وخلال هذه المدة تم غسل جثة الشاب ودفنها، وغاب الأعرابي عن الأنظار!

فعمد (عبد الرحمن پاشا) إلى القبض على رجلين من الأعراب وزجّهما في السجن ساعات قليلة. وقيل: إنه قد أُصْدِرَ أمرٌ بالقبض على القاتل وإرساله إلى الشام بعد عشرين يوماً، لكن لا أحد يعلم متى سيتم تسليم المطلوب! لقد قُتِلَ الشاب المسكين دون أى مبرر. وبالرغم من محاولات (السلطان) لإشاعة الأمن والاستقرار، إلّا أنّ حالة الفوضى واللأمن ما زالت تسود الوضع هناك. ويعمد الأعراب للصوص إلى مطاردة القوافل حتى (معان) للتربص بمن يتخلف عن القافلة، أو القيام بسرقة متاع شخص ما في ظلمة الليل. فما فقد لن يُستردَّ أبداً! (١) ٦- مشكلة الحجر الصحي الذي يواجهه الحجيج:

توجد في المدن الواقعة على الطريق، وكذلك في بداية الدخول إلى (جدة) أماكن وُضِعَتْ خصيصاً لحجر الحجاج صحياً. حيث ينزل الحجيج من المراكب وتبدأ عملية تعقيم ملابسهم وأمتعتهم، وإجراء الكشوفات الصحية عليهم بعد ذلك، فإذا اكتشفوا عند أحدهم علامة لمرض ما، يقومون بحجره صحياً ولعدة

ص: ٢٦٠

أيام. وبالرغم من أهمية هذا العمل وضرورته، فقد كانت تلك مشكلة حقيقية يواجهها الحجاج هناك، وذلك بسبب سوء معاملة المسؤولين عن الشؤون الصحية للحجاج والعقبات التي يضعونها أمامهم. إضافة إلى التأخير الزائد عن حده في الحجر الصحي، إلى درجة يحاول معها بعض الحجاج الهروب من المسؤولين والنجاء بأنفسهم.

وحول هذا الموضوع كتب (الجزائري) في يومياته ما يلي:

«كانت إحدى المشاكل التي تصادف الحاج الإيراني وغير الإيراني فيما يتعلق بمسألة الحجر الصحي، هي إيقافهم عراء في طابور أمام الطبيب واضعين ملابسهم وأمتعتهم في صندوق كبير، ثم يضعون ذلك الصندوق في جهاز للبخار حتى يتم تعقيم الملابس التي فيه تماماً، ثم يحجرون على الحجاج هناك عدة أيام، قد تصل أحياناً إلى عشرة أيام أو اثني عشر يوماً، ثم يسمحون لهم بالعودة بعد ذلك إلى البواخر من جديد.» (١) وعند عودة القوافل من الحج، يتعرض الحجاج في بعض المناطق أحياناً إلى التأخير بسبب إجراء الحجر الصحي عليهم من جديد. وقد كتب (اعتماد السلطنة) في تقرير له عن حجه في عام ١٣٦٣ هـ حيث قال:

«يوضع كل من يأتي عن طريق الحجاز والشام في حجر صحي مدة اثني عشر يوماً، سواء عليه أكان ينتمي إلى طبقة اجتماعية راقية أم متدنية. وقد عُتِنَ ناظرٌ لهذا الغرض؛ يقوم بأخذ مبلغ قدره اثنان وعشرون قرشاً ونصف القرش (أو ما يُعادل أربعة آلاف وأربعمائة دينار إيراني) عن كل مسافر يُطْلَق سراحه من الحجر الصحي.» (٢)

١- ١ كتاب حج گذاری ایرانیان در دوره قاجار- أداء الإيرانيين لمراسم الحج في العهد القاجاري: ١٤.

٢- ٢ كتاب سفرنامه میرزا علی خان بقلم اعتماد السلطنة: ١٤١.

ص: ٢٤١

٧- المعاملة السيئة التي يتلقاها الحجيج عند وصولهم جدة:

لا- شك في أن أهم المسائل التي يجب مراعاتها في تاريخ السياحة والسفر هي معاملة المسؤولين للسياح أثناء وصولهم إلى البلد المقصود. ولا ريب كذلك في أن المعاملة السيئة التي يتبعها بعض المسؤولين في ذلك البلد، واستخدامهم العنف والقسوة في التعامل مع السياح ستترك آثارها السلبية عليهم، فيعودوا إلى أوطانهم محملين بذكريات لا تسر، وقد يعمدون إلى كتابته كل ذلك في مؤلف يضعونه في متناول أيدي الأجيال القادمة من بعدهم.

لقد وصف (ميرزا داود) وزير الوظائف آنذاك طريقة وصوله إلى جدة أيضاً حيث قال:

«وصلنا الجمارك في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة الأحد بعد عناء وتعب شديدين، لقد كان المنظر هناك يشبه يوم المحشر إلى حد كبير، فالزحام خانق في البواخر وفي الممرات الخاصة بالذهاب والإياب، وقد قيل لنا: إن أحد الشيوخ من (بخارى) قد سقط تحت أقدام الجمع الحاشد وقضى نحبه! الحق أنه لم يكن هناك مكان في هذا العالم أسوأ من (جدة)، حيث يؤخرون الناس مدة من الزمن في البواخر وخاصة الرعايا الإيرانيين، حيث يبعث سعادة (مفخم السلطنة)، أخى السفير الكبير (البرنس أرفع الدولة) مبعوثاً من قبله، فيصعد المبعوث المذكور إلى ظهر السفينة وهي راسية ويقوم بعد الحجاج الإيرانيين؛ ليأخذوا خمسة قروش عن كل مسافر من صاحب الطراد. وأما الرعايا الروس والإنكليز وغيرهم فيؤخذ من كل واحد منهم قرشين اثنين فقط، وأما الإيرانيون فيأخذون منهم سبعة قروش ونصف القرش عن كل واحد، ولا ينفع حينئذ صراخ صاحب الطراد وهو يقول:

إن في الطراد اثنين وخمسين مسافراً وحسب! فالمبعوث عن القنصل يلح قائلاً: بل هم سبعة وخمسون مسافراً، وأنت معهم كذلك، فيكون المجموع ثمانية وخمسين!

ثم يدخلون المسافرين بعد ذلك إلى مكان ضيق يحيط بهم جدار وموانع

ص: ٢٤٢

خشيشة وقضبان حديدية، ويسمونه ب (القفص)، وهذا القفص هو مكان الحجر الصحي. يأخذون من الرعايا الأجانب مبلغ قرشين ونصف القرش فقط، بينما يقبضون من الإيرانيين ما يعادل نصف مجيدي على حساب الحجر الصحي المذكور. ومن جهة أخرى يقوم حضرة القنصل الإيراني بتقاضى خمسة قروش من كل حاج إيراني مسكين، مُسلماً إياه ورقة صغيرة كإيصال للمبلغ، وعند الباب يقوم شخصان بأخذ هذه الورقة من صاحبها ثم يُخرجونه من ذلك القفص ليدخلوه قفصاً آخر لا يقل عن الأول. فالزحام هو هو، والحجيج المساكين عراة في ذلك الجو القارس. فيقوم أحدهم بأخذ البطاقة ومبلغ قرشين عن كل واحد كذلك ويسلمه ورقة صغيرة؛ يأخذونها منه عند الباب. وعند ذلك فقط يُسمح للحاج بالخروج من الحجر الصحي! وبعد هذا، يستلمه الحمال ثم يذهب به إلى مقر إقامته. ويطالب الحمال الحاج هناك بمبلغ تومانين اثنين مقابل حمله الأمتعة. وقلنا للحمال مرّة: إنّ هذا كثير! فأجاب بالعريية: مكتوب على ...! ثم يتبين أنّ هذا الحمال يقسم المبلغ المذكور ويعطى نصفه إلى السيد القنصل! مسكين هو الحاج الإيراني! (١) ٨- ابتزاز الحجيج:

إنّ أهم مشكلة تصادف الحجّاج في رحلتهم هي تعود الحملدارية ومسؤولي القوافل، والعشائر في الطريق، ورجال الأمن على ابتزاز الحجيج وأخذ الأموال منهم، ويسمون ذلك بال (خاوة) أو (اخوة). وكتب محمد ولي ميرزا القاجارى فى عام ١٢٦٠ هـ حول ذلك فقال: «... فى طريق الجبل يقومون بأخذ (٧٢) إخوة (وتعادل الإخوة الواحدة غازيين اثنين أو ٨٥٠٠ دينار متداولاً آنذاك) ... ويأخذون من الأعاجم (غازيين اثنين) ومن العرب غازياً واحداً، ونصف غازى من المرأة العربية وغازياً واحداً

ص: ٢٤٣

من المرأة الفارسية، بينما لا يأخذون من الهندي ولا الدرويش شيئاً. ويعادل الغازي (٤٢٥٠) ديناراً متداولاً. (١) وذكر مؤلف كتاب (تير أجل در صدمات راه جبل) ما يشبه الكلام الذي ذكره محمد ولي ميرزا، حيث قال:

«يقوم شيخ الجبل خلال ذهابه إلى مكة المكرمة بأخذ حوالي (٣٠) توماناً من الحاج الإيراني إن كان رجلاً، بينما يأخذ من المرأة الإيرانية والرجل العربي نصف ذلك المبلغ، في حين يأخذ ربع المبلغ المذكور من المرأة العربية، ولا يأخذ من أهل السنة شيئاً، أو ربما أخذ شيئاً قليلاً. وعند العودة يأخذ من كل واحد حوالي (١٠) توماتان دون استثناء. ويتم تعيين شخص من قبل شيخ الجبل مع جماعة من قطاع الطرق لعد أنفار الحجاج، بعد غلقهم معظم الطرق؛ لكي لا يتسنى لأحد الهرب من أيديهم. وأما الحملدارية، فلكي ينجوا من دفع تلك (الخواه)، يقومون بممارسة شتى الأفعال مع الحاج المسكين. فيغيثون هيئة الرجل الفارسي ليبدو عربياً، ويلبسون بعض الرجال ثياب النساء، أو يركبون شخصين مثلاً في هودج واحد، أو يخفون آخر داخل الأمتعة والأحمال، أو يجعلون السيد جمالاً، أو يأمرهم جماعة أخرى بالسير على الأقدام مع الفقراء، وهكذا! فيكون نصيب أولئك المساكين إما السجن والضرب بالعصا أو البقاء في البرد أو الحر في تلك الصحراء، دون طعام أو شراب! وقد تدوم عملية التنكر هذه ليلة أو اثنتين، وعلى المتنكر تحمّل مشاقها من ظلمة وخوف وجزع قبل وصوله المنزل الآخر. ولا خيار للحاج المسكين في قبول مثل تلك اللعبة الدنيئة، خوفاً من تلك الجماعة أن يوقعوه في تهلكة جديدة أو تسليمه جمالاً لا يحق له ركوبه من بداية الرحلة حتى النهاية.

فإذا نجح الحملدار في تمرير حيلته هذه على اللصوص، كان ذلك في مصلحته حيث

ص: ٢٦٤

سيوفَ بذلك مبلغ (٣٠) توماناً في الذهاب و (٢٠) في الإياب، ومع ذلك فهم لا يشكرون الحاج على صنيعه لهم ولا حتى بجرعة ماء أو اعفائه من مبلغ ما.» (١) وكتب المرحوم (مير سيد أحمد هدايتي) حول هذا الموضوع فقال:

«اليوم هو السبت، الثالث من صفر، وقد استطاع الحملدارية أخذ ما أرادو من ضعفاء الحجيج بعد صراخ وعراك. ثم علمنا أن (شيخ المحل) لن يأذن للقافلة بالتحرك حتى تُدفع له (الخواوة) وحقّ العبور. وبعد جدال طويل ذهب معاونو الحملدارية إلى هناك. وعقب انقضاء مدة ساعة، رجعوا وقد جمعوا من أصحابهم بعض المال وقدموه إلى شيوخ المحل وحصلوا على إذن للعبور...» (٢) ٩- شحّة المياه:

وكانت شحّة المياه في بعض المناطق من ضمن المشاكل التي كان يواجهها الحجيج في سفرهم. وقد أشار السيد محسن الأمين إلى هذا الأمر بقوله:

«كانت هناك شحّة في المياه في منطقة (بئر الدراويش) وقد حرّم الذين وصلوا متأخرين من الماء! حتى إنّ بعض الحمير والجمال هلكت نتيجة العطش...» (٣) وكتب (ميرزا داود) وزير الوظائف، حول ظمأ الحجيج وشحّة المياه في بعض المناطق يقول:

«لا أستطيع نسيان منظر تلك المرأة المصرية التي جاءتنى لتريني أن لسانها قد يبس من العطش، وعرضت عليّ سواراً في يدها مقابل جرعة ماء! فلما أعطيتها الماء ورفضت أخذ السوار منها، عمدت إلى يدي فقبلتها، وأرادت السجود أمام شخصي الحقيق! لقد وهبت اليوم كلّ ما كان لدى من ماء فلم يبقَ لدى شيء منه

١- ١ كتاب تير اجل در صدمات راه جبل، مجله ميقات الحج، العدد ٣٥: ٩٣.

٢- ٢ كتاب داستان باريافتگان: ٢١٦.

٣- ٣ كتاب پا به پای امين جبل، مجله ميقات الحج، العدد ٢٨: ٢١٩.

ص: ٢٦٥

حتى للوضوء، ولم أستطع كذلك التطهر من النجاسة، فقد شربوا حتى ماء النارجيلة! وصلنا بعد ظهر اليوم إلى (بئر العلم) ولم يكن فيها ماء كذلك.

سبحان الله! لم يبق لدى الناس أى مقدار من الصبر. فجاوزنا (بئر العلم) حتى وصلنا (بئر درويش) لساعة بقيت للغروب. كان يشتغل عندى شاب شامى لم يتجاوز العشرين من عمره اسمه (عبد الله)، وكان هذا الشاب شجاعاً وذكياً، ذهب بعد ظهر اليوم حاملاً معه بعض القرب وركب حماراً وغاب عن الأنظار، ثم عاد لساعتين بقين لوصولنا إلى المنزل وقد ملأ قربتين بالماء فسلمهما إلينا، ثم أسرع إلى قربته أخرى وأخذها وذهب فى عجلته من أمره، وكان يردد قوله: إن الماء قليل هنا! وقد يشح هذه الليلة أيضاً. فأعطيت قربته من تينك القربتين إلى الجمع هناك.

فلما وصلنا المنزل الآخر جاء الشاب (عبد الله) حاملاً معه قربتين مملوءتين بالماء كذلك. كان الزحام شديداً عند البئر وكان الماء قليلاً لا يكفى الجميع. ربما شح الماء فى الغد أيضاً. وأما العبد لله فلم أضع فى فمى جرعة ماء واحدة طيلة اليومين الماضيين. كانت معى بطيخه وكنت آكل منها كلما شعرت بالعطش. رجع اليوم جماعة من الحجيج، حوالى عشرة أشخاص، مع اثنين من الحملدارية كانوا قد ذهبوا لجلب الماء. وتبين أن ستة من الأعراب قد سلبوهم أموالهم وأمتعتهم وثيابهم! لكن المسئول عن قافلتنا كان قد وصل بعدهم، وكان سالماً حيث لم يتعرض إلى السلب والنهب. كان الماء قليلاً وشحيحاً جداً حتى منتصف هذه الليلة، ولا سؤال للناس هنا إلا عن الماء. وازداد الماء بعد منتصف الليل بعض الشيء، فاستطاع الأشداء والأقوياء من الحصول على ما أرادوا منه، ثم حصل المشاة المساكين أيضاً على الماء وارتاح بال الجميع. قيل: إن (١١) نفرًا من أهالى المغرب كانوا قد هلكوا من العطش.» (١)

ص: ٢٦٦

هذا وقد سرد (ميرزا داود) قصة محزنة حيث قال:

«وأما الحادثة العجيبة التي وقعت لنا ونحن في الطريق بين (مكة) و (المدينة)، فهي أنه لما تحركنا من (أبيار حسن) في اليوم التالي، وقد أخذ العطش والجوع من الحجاج كل مأخذ، خاصة المشاة منهم، وبالتحديد المغاربة، كنا نصادف في الأزقة باستمرار بعض الزنوج يسألوننا عن الماء والطعام، بينما كنا جالسين على جانب الزقاق نتناول طعام الغداء. وفي هذه الأثناء جاء صبي لا يتجاوز عمره (١٢) أو (١٣) سنة يتكذى منا، فرمى إليه والدته (ميرزا عليقلي) قطعة من الخبز، فهرع صبي آخر ليحمل قطعة الخبز، فاشتبك الصبيان مع بعضهما! وبينما هما على تلك الحال إذ مرّ بغير يحمل على ظهره هودجاً وأمتعة، فداس على ظهر الصبي الأول فسقط على الأرض، ثم عاد البعير وداسه برجله ثانيةً وجاوزه! فشعرت أن الصبي قد أصيب في ظهره، وعنفت والدته (ميرزا عليقلي) على رميها للخبز! لكنها كانت محقة في ذلك، ولم يكن أمامها غير هذا الفعل، فلا يمكننا التغاضي عن سؤال السائلين ونحن نجلس ونتناول الطعام، خصوصاً إذا كانوا بسن هؤلاء الصبية. وبعد ربع ساعة، جاء شخصان ورفعوا ذلك الصبي ووضعاه على ظهر البعير وربطاه به بعد أن حرك عينيه بعض الشيء. وعلمنا بعد ذلك من (حاجي محمد علي) المسؤول عن الهودج، أن الصبي قد توفي!

ولقد تألمت كثيراً لهذه الحادثة وكذلك جميع الموجودين في المنزل. إذ كنا نروم الحصول على الثواب فقتلنا نفساً بغير نفس ولا فساد في الأرض! لقد مرّ علينا ذلك اليوم وليلته كأصعب ما يكون، والله هو العالم.

وفي اليوم التالي وعند وصولنا إلى (المدينة) رأيتُ وكأنّ الصبي راكباً على ظهر البعير وصحته جيدة، وكانت في يده قطعة من الخبز يأكل منها! لكنّ عينيه ما زالتا تبدوان ضعيفتين ولا يقوى على فتحهما كثيراً. فسررتُ لذلك وفرحت لبقائه حيّاً.

وكان الباشا قد أركبه دابةً حتى المدينة المنورة. وفي اليوم التالي أبدى الباشا اهتمامه

ص: ٢٦٧

بالحجيج، فأركب المشاء منهم، وجاءوا بالماء بعد فرسخين أو ثلاثة.» (١) ١٠- المشاكل الصحية:

تعدّ مشكلة العلاج والأمور الصحية الأخرى من المشاكل المهمة التي كانت تُصادف الحاج في رحلته. فلم يكن بإمكان الحجيج الحصول على المستلزمات الصحية والعلاجية أثناء الطريق أو في مكة والمدينة على حدّ سواء، ممّا كان يؤدي في كثير من الأحيان إلى وفاء العديد منهم في الطريق، أو تعرّض بعض آخر إلى أمراض والتهابات مزمنة ظلّوا يعانون منها لعدة سنوات. وأما المسافرون بالبواخر والسفن فكانوا عاجزين عن معالجة بعض الأمراض غير المعروفة؛ لعدم وجود طبيب على ظهر السفينة.

وصوّر المرحوم (مير سيد أحمد هدايتي) - م ١٢٦٤ هـ - الحالة داخل السفينة بقوله:

«... أصيب معظم المسافرين ببقع وبثور حمر على أجسامهم. وعند الغروب قضى أحد المسافرين الأتراك نحيبه بسبب ذلك، وألقى بجسده إلى البحر. (٢) وفي اليوم التالي تعرّضت السفينة إلى عاصفة بحرية وتعلّات الأمواج في البحر كالجبال، وأخذت تقذف بالسفينة يمنة ويسرة، وتساقط الركاب بعضهم فوق بعض، فلم نستطع أداء الصلاة قياماً. وأصيب معظم المسافرين بالإسهال والغثيان، فكانت نتيجة ذلك أن توفي ثلاثة أشخاص وألقى بجثثهم إلى البحر بعد غسلها وتكفينها.» (٣) ثم أضاف قائلاً:

«... وأما أنا فقد ابتليت بداء البحر ... وبقيت منهك القوى حتى الظهر، ثم

١- ١ المصدر السابق: ١٦٧.

٢- ٢ كتاب داستان باريافتگان: ١١١.

٣- ٣ المصدر السابق: ١١٢.

ص: ٢٦٨

فقدتُ بعد ذلك وعيى! وعندما فتحتُ عينيّ لساعتين أو ثلاث بقين للغروب، رأيت أصحابي مجتمعين حولي وهم يسقونني عصير البطيخ، وإذا بجسمي كله محمّر وقد انتشرت البثور عليه وانتابتني الحمى ... وكان الحجاج في جدّة يُصابون بحمّى خاصّة تدوم حوالي يومين أو ثلاثة ثم يُشفون منها.» (١) وكتب (ميرزا علي خان اعتماد السلطنة) حول مرضه وعدد من الحجاج قائلاً:

«والمعتاد تحرّكنا من (مزيرب) الخربة يوم الثامن والعشرين من شوال. ولا أظنّ أنّ هناك مكاناً في الدنيا أتعس من (مزيرب) ماءً وهواءً، حيث يُصاب أغلب الحجيج الإيرانيين الذين يمكثون فيه بالأمراض، ويهلك معظمهم بسبب تلك الأمراض. ومن جملة المعروفين الذين تعرّضوا لذلك هي زوجة (سليمان خان قاجار) بنت (حاجي رضا قلي خان قاجار) وكانت امرأةً وحيهةً وجميلةً، حيث توفيت في منزل (تبوك) الذي يبعد أربعة عشر منزلاً عن المدينة. فدفع مبلغ (١٢٠) توماناً إلى الحملدار لتُحمل جنازتها وتُؤخذ إلى المدينة خُفية حيث دُفنت في البقيع؛ لأنّ أهل السنّة هناك لم يكونوا يسمحوا بتحريك الجنازة من مكانها. وامرأة أخرى (جارية تركية) كذلك من (مهد عليا) وهي والدّة (أقدس همايوني) و (رفيع خان نائب فراش باشي) تعرّضت لمثل هذا الحادث، وغيرها كثير.

وأنا شخصياً كنتُ من ضمن المرضى بل الموتى آنذاك لولا-رحمة الله، حيث تعرّضنا إلى حمّى قبل ثلاثة أيام من تحرّكنا من (مزيرب) فاتصلنا بميرزا محمود حكيم باشي (والد الشاه) لكنه لم يهتمّ بالأمر. كان معنا الطبيب (حيدر خان شيرازي) المقيم في (الشام) لكنه قال: بأنه لا يعلم شيئاً عن الطبّ، وأعطاني ثلاثة أنواع من الدواء في يوم واحد، فأصابني قلبية حرقّة شديدة، بل لظي مشتعلّة،

ص: ٢٦٩

والعياذ بالله. وأدى ذلك إلى إصابتي بالغيوبة في نفس اليوم الذي كنا نروم التحرك من (مزيرب). فعلم (حاجي آقا محمد حكيم التبريزي) ابن المرحوم الطبيب (آقا إسماعيل) بالأمر، وبسبب ما كان بيننا من ودّ وصداقة، أسرع إلى هناك ودرس حالتني فطلب نقالة في الحال ووضعني عليها، وهيّا لي الطعام والدواء. وعند (عين الزرقاء) على بعد ثلاثة منازل من (مزيرب) يئس الجميع مني حيث كنتُ فاقداً للوعي ولا أعلم شيئاً عن نفسي». (١) وكتب (ميرزا داود) وزير الوظائف، عن مرض أحد أصدقائه وهو (حاجي آقا نور الدين گنابادي) الذي أودى في النهاية بحياته في المدينة، حيث قال: «عندما كنتُ راجعاً من الحرم ليلاً، صادفتُ (حاجي آقا نور الدين گنابادي) فسألته عن أحوال أخيه (آقا جلال الدين) فأجاب: أنه مريض منذ مجيئه بالأمس.

وقبل يوم من وصولنا وأثناء نزولنا لتناول طعام الغداء، كان هودجهم قد استقرّ بالقرب منّا، فرأيتُه وسألته عن أحواله، وقد لاحظتُ ورماً تحت عينيه وفي قدمه، فسألته عن ذلك، فأجاب: ليست حالتني على ما يرام، وأنا مُصابٌ بالإسهال كذلك. فقلتُ له: ربما كان ذلك بسبب التيس والانباض. وأوصيته بتناول دهن الخروج عند وصوله إلى المدينة، وعلمتُ أنه لم يعمل بنصيحتي، فلما زرته في المرة القادمة شاهدتُ أنه موضوع لجهة القبلة وهو في حالة اللاوعي، وقد أتوا إليه بالطبيب بعد أن غطّوا رجله بشمع الخردل. فعدتُ إلى منزلي في الساعة السادسة، وتناولتُ شيئاً من الطعام ثم خلدتُ إلى النوم. وعند الصباح الباكر جاء نفر وأعلمونا أنّ (آقا جمال) قد توفي! فهنئاً له! لقد قبضت روحه في ليلة الجمعة التي صادفت يوم عاشوراء. سبحان الله! لم يقسم الله لهذا الرجل العودة إلى إيران ليتابع أعماله من جديد، فشاء سبحانه أن يقبض روحه هنا. فقمْتُ من مكاني وذهبتُ

ص: ٢٧٠

لتهيئة مراسم الجنازة. وتم دفنه في (البقيع) بمحاذاة الحرم الشريف من جهة القبلة أمام قبر السيدة (فاطمة بنت أسد عليها السلام) وجاء نفر من طرف دائرة المحاسبة وطالبوا بتسليم أمواله ومتعلقاته ليجردها بيت المال. فكلمتهم بحدة، فأسفر ذلك عن نتيجة إيجابية، فاكثفوا بتدوين اسمه، ورحلوا بعد أن طلبوا منا دفع ثلاث أو أربع ليرات، فمنعتهم من دفع ذلك أيضاً» (١) - ١١ - عدم الاهتمام بأعمال الحجيج ومناسكهم:

لقد كان على الحجيج تحمّل الكثير من المشاق؛ لكي يتمكنوا من أداء مراسم الحج بشكل صحيح ومقبول. وكان التأخير الحاصل في تحرّك القوافل أو الإسراع في لبس الإحرام وأداء الأعمال الأخرى كالطواف والسعي، كان كلّ ذلك وغيره يسبب المشاكل للحجيج. وقد شرح مؤلف كتاب (تير أجل در صدمات راه جبل) تاسع مشاكل سفره إلى الحج كما يلي:

«تاسعاً: عدم التوقّف في الميقات لغرض الإحرام، وهذا ظلم عظيم يكابده الحاج، رغم أنّ ذلك لا يدرّ عليهم أى نفع أو فائدة. فرغم مجيء هؤلاء المساكين من بلاد نائية، وتحملهم لكلّ تلك المصاريف والمشاق لأداء فريضة الحج بدءاً بالإحرام الذي يجب أن تُقام طقوسه في الميقات، فيبادر هؤلاء القوم لحرمانهم من ذلك. وكما هو معلوم لأهل العلم فإنّ أداء مقدّمات الإحرام كتنظيف البدن وتطهيره والتنوير والغسل والصلاة وذكر التّبة والنطق بها، وغير ذلك من الأمور التي يجب تلقينها للحاج، كلّ ذلك لا يمكن أدائه بدون وجود المنزل الخاص بها. وكانت عادة أمير الحاج خلال السنوات الماضية التوقّف هناك في وسط النهار مدة ساعتين. لكن ما العمل؟ فلم يصل الحجيج بعد. يجب على الحاج أن يتغلب أولاً على خوفه ويحذر قطاع الطرق والتخلف عن القافلة. وإذا فعل ذلك فلن يبقى له أى وقت كافٍ

ص: ٢٧١

لتبديل ملابسه وأداء التلبية. وإذا حسبنا تكاليف الماء الذى يحتاجه الحاج فقد تصل تلك التكاليف إلى خمسين تومانا، هذا إذا كان قد تأخر عن الركب، وإذا كان موجوداً فى القافلة فلن يكون لديه الوقت الكافى لفعل ذلك. وبالجمله فإنّ الحاج غالباً ما يُحرم من فيض الإحرام.»

وذكر فى يومياته أيضاً:

«... وأسوأ ما فى الأمر هو وصول الحاج على الأغلب إلى مكه فى السابع من ذى الحجة، فيتوجب عليه حينئذ الإحرام فى الثامن (من الشهر المذكور) ليتهيأ لمراسم الحج، ثم الذهاب إلى منى. وهناك، وبين العدد الهائل من الحجيج الذى يزيد على مئة ألف، يتخبط الحاج المسكين يومين وليلة وهو يجهل كيفية تأديته لمراسم الحج. فأى الأعمال يؤدى؟ فعند وصوله عليه أن يبحث عن منزل له ونقل حاجياته إليه وغير ذلك، ولهذا لن يبقى لديه الوقت الكافى لأداء أعمال العمرة من غسل وطواف وتقشير ومستحبات أخرى. فهو لن يجد الوقت الكافى لفعل ذلك أبداً، فالوقت قصير ولن يستطيع الحاج إلا أداء اليسير من تلك الأعمال. وإذا بفريضة الحج التى جاء من أجلها تبدو وكأنها عمرة وليست حجاً! فهذا ما يصادفه الحاج، خاصة عند وصوله إلى عرفات ومنى، حيث يرى كل أعماله وقد ذهبت هباءً. وفى مكه كذلك لا يجد الحجيج وقتاً كافياً للاستفسار والسؤال عن شىء لتعويض ما فاتته. لكن إذا وصل الحجيج قبل يومين أو ثلاثة من ذلك، فلن يعانى من هذه الأمور بالطبع. فالمساكين رغم تحملهم كل تلك المشاق والكفارات فهم لا محالة عائدون بخفى حنين!» (١) ١٢- عدم رعاية الشؤون الصحية فى الأماكن المقدسة:

وأما المشكله الأخرى التى يعانىها الحجاج هى عدم رعاية الشؤون الصحية

ص: ٢٧٢

في الأماكن المقدسة خاصة في الحرمين الشريفين.

فقد كتب (ميرزا عبد الغفار خان نجم الملك منجم باشي) - ١٢٩٦ هـ - بهذا الخصوص قائلاً:

«إن الصفا والمروة جبلان صغيران يقعان على أطراف المسجد الحرام على بُعد ٣٠٠ ذراع ... وبينهما سوق ومعبر عام. ويقع المسجد الحرام على جانب من ذلك المعبر في حين تحتل بعض العمارات والدكاكين الجانب الآخر منه. وتعتبر هذه البقعة من الأرض مقدسة وطاهرة للغاية، فلا شك في أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبعض الأنبياء في السابق والأئمة الطاهرين والأولياء قد مروا بهذه البقعة مراراً وتكراراً.

ومع ذلك فإن أهالي مكة قد حوّلوا هذه البقعة إلى أفذر ما يمكن تصوّره، وأصبحت مأوى لكلاب مكة قاطبة.» (١) وقال في مكان آخر من يومياته ذاكراً مشاهداته في مسجد النبي صلى الله عليه وآله:

«لقد رأينا بأم أعيننا في المسجد النبوي جماعة من الهنود وقد أقاموا هناك؛ بادية عليهم علامات القذارة والوساخة. وكان يدنهم كل يوم الجلوس على البُسط النظيفة، منشغلين بقتل القمل، والاضطجاع والتحرك هنا وهناك بكل وقاحة، دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض على ما يقومون به. (٢) ولفقدان المستلزمات الضرورية في منى أثناء تقديم القرابين، يضطر بعض الحجيج إلى نحر الذبيحة هناك أمام الخيم، ورمى اللحوم وفضلات الحيوانات في نفس المكان تحت أشعة الشمس المحرقة! فينتج عن ذلك فساد تلك اللحوم وانتشار الأمراض المختلفة.

إضافة إلى ذلك فقد اعتاد بعض الأهالي هناك أو الحجيج القادمين من بلدان

١- ١ مجلة ميقات الحج، العدد ١٩: ١٧٨.

٢- ٢ كتاب سفرنامه شیرين وپر ماجرا، مجلة ميقات الحج، العدد ١٩: ١٨١.

ص: ٢٧٣

أخرى إلى تقطيع لحم الذبيحة ونشرها في الهواء الطلق؛ لتجفّ وتتمّ الاستفادة منها طوال السنة، وهو عامل مساعد لنشر الأمراض.»
وكتب (نجم الملك منجم باشي) حول ذلك فقال:

«إنّ الذبائح التي تُقدّم في عرفات تؤول معظمها إلى جماعة من السّود، حيث يتمّ نشر تلك اللحوم على صخور الجبال وتحت أشعة الشمس؛ لتجفّ بسرعة، تمهيداً لخزنها لتكون ذخيرة لهم طوال العام.» (١) ويضيف قائلاً:

«لقد تمّ حفر بعض الخنادق لدفن دماء القرابين وفضلات الحيوانات، لكن الحجيج لا يعيرون أى اهتمام لذلك، فكلّ منهم ما زال يذبح قربانه أمام خيمته؛ ولهذا السبب فقد أصبح الجوّ هناك موبوءاً إلى درجة كبيرة بالرغم من جمع تلك الفضلات بالتدريج...»
(٢) ١٣- المعاملة غير الإنسانية التي يعامل بها المرضى والموتى:

لقد كان التعامل الذي يُبدية بعض الحملدارية مع المرضى بل وحتى مع جثث الموتى مزريراً للغاية، ولا يحتاج هذا الأمر إلى شاهد ممّا كتبه الرحالة، فهم متفقون على هذا.

١٤- التمييز في معاملة الحجيج:

إنّ مشكلة اتباع أسلوب التمييز في المعاملة هي من ضمن المشاكل التي كانت تصادف الحجيج الإيرانيين، بل وغير العرب عموماً.
كتب (ميرزا عبد الغفار خان نجم الملك منجم باشي) الذي تشرفّ بأداء مراسم الحجّ في عام ١٢٩٦ السطور التالية حول هذا الموضوع فقال:

١- ١ المصدر السابق ١٩: ١٧٧.

٢- ٢ المصدر السابق.

ص: ٢٧٤

«إنَّ ما رأيته أنا، سليل الخانات، في أرض الحجاز، زاد من دهشتي بسبب اعتبار العجم هناك أناساً مغضوباً عليهم وحقراء في نظرهم. وبالرغم من تمتع الحجاج بشيء من الرفاهية هذا العام نتيجة الجهود التي بذلها (حاجي ميرزا حسن) المفوض المقيم في جدة، فما زالت هناك بعض الأخطار التي تواجهنا، خاصة في المدينة المنورة، حيث يعتبرون دم الأعجمي وماله حلالاً عليهم ومباحاً لهم، ولا يتورعون عن إيذائه أبداً. وحتى (السيد حسن مطوف) المكلف والمسؤول عن المطوفين الإيرانيين من قبل (معين الملك) يتصرف بشكل لا أخلاقي معهم...» (١) ويضيف (ميرزا عبد الغفار خان) قائلاً:

«أراد أحد المزارعين الإيرانيين التشرف بالطواف في بيت الله الحرام. فوضع نعله في شاله وربط الشال على ظهره ودخل المسجد الحرام. فلمحه أحد خواتم الحرم وضربه على ظهره عدة ضربات بالهراوة وهو يطوف! فشاهد أحد أقرباء المسؤولين في (البيت الإيراني) الحادثة من بعيد، وأخبر قريبه المسؤول عن ذلك، فأمر الأخير بالقصاص من ذلك الخواجة. فأخذ ذلك الخواجة بإذن حضرة الشريف والباشا المسؤول عن مكة وضرب في نفس المكان الذي ضرب فيه ذلك المزارع.

ومثل هذه الانتقادات لا توجه إلا نحو الإيرانيين دون العرب الذين اعتادوا على حمل نعولهم تحت آباطهم والدخول إلى المسجد دون أن يتعرض لهم أحد.» (٢) وكتب في مكان آخر من يومياته يقول:

«ومن جملة ما رأيته من الامتيازات التي تُعطى إلى العرب في جميع أنحاء الجزيرة العربية هي أنه إذا حصلت منازعة بين عربي وأعجمي، يحق للعربي المذكور توجيه أي نوع من التهم إلى الأعجمي أو سبه بشتى أنواع السب، في حين

١-١ مجلة ميقات الحج، العدد ١٩: ١٨١.

٢-٢ المصدر السابق: ١٨٢.

ص: ٢٧٥

لا يحقّ للأعجمي التكلم ببنتِ شفء، وإلّا فسيهجم عليه الأعراب هناك ويضربونه حتى الهلاك.» (١) ١٥- أخذ الرشوة مقابل الزيارة: وأخذ الرشوة هي كذلك من ضمن المشاكل التي كانت تُصادف الحجاج، حيث كان مسؤولو الأماكن المقدسة وحراسها يُطالبون الحاج بمبالغ من المال، فيضطر الزوّار الذين يرغبون في الدخول إلى المسجد الحرام، أو الذهاب إلى البقيع لزيارة الأئمة إلى دفع مثل تلك المبالغ وإعطاء الرشوة، وإلّا حرموا من ذلك كلّ.

وكتب الكازروني الذي تشرف بالحجّ سنة ١٩٣٦ م بهذا الصدد ما يلي:

«لم يتمكن الحقيّر من دخول المسجد الحرام مع (حاجي شيخ عبد الحميد) إلّا بعد دفعنا لريالين إفرنجيين.» (٢) وأما (ميرزا داود) وزير الوظائف فكتب يقول:

«تشرفتُ بزيارة الحرم الطاهر ليلة الجمعة، في السادس والعشرين من الشهر، الساعة الثالثة، فرأيتهم يبادرون بفتح باب البيت العتيق. فقررت الدخول إلى البيت غير مبالٍ بما يكلفني عملي هذا، وكنت حاملاً للمصحف الشريف، فوصلتُ إلى السّلم مع مطوّف كان يرتدي العمامة، فسمعتَه يقول بالعربية لرجل أعرابي يرتدي عمامة بيضاء عند الباب وقد فتحه قليلاً: إنّ هذا السيّد يريد الدخول وسيدفع لك ريالاً! فأجابه بالعربية كذلك: ما يخالف! (لا بأس). فأخذ العربيّ الريال، ثم وضعتُ قدمي على السّلم، ومدّ الشيخ المسنّ يده فمسكتها ودخلتُ الكعبة الشريفة وشرعتُ بتلاوة الأدعية. وكان هناك شابّ يجلس خلف الباب، فلمّا رآني دخلتُ وطاب لي المقام، جاء نحوي ووقف بجانبني ثم همس في

١- ١ المصدر السابق: ١٨٢.

٢- ٢ كتاب سفرنامه كازروني ميراث اسلامي ايران، المجلد الخامس: ٣٦٨.

ص: ٢٧٦

أُذنى قائلاً: عليك أن تدفع لى مجيدياً واحداً! فقد دفعتَ (١٢) قرشاً فقط، ويتوجب عليك دفع الباقي أو الخروج! ويبدو أنه كان (ابن شيبه)! فلم أرَ بُدّاً من ذلك فدفعتُ إليه ريالاً فى الحال.» (١) وأما فى المدينة فكان الأمر أسوأ من ذلك، كان الحرس الموجودون فى البقيع يأخذون من الناس مبالغ للسماح لهم بالدخول إلى البقيع.

وقد كتب (ميرزا عبد الغفار خان نجم الملك منجم باشى) حول ذلك فقال:

«يُشرف على مقبرة البقيع (مقابر أهل البيت) بوابٌ كرىه المنظر، عبوس، يحمل بيده هراوة. يقوم وبقسوة بأخذ (صاحبقران) (٢) من كلِّ إيرانى يؤدّ الدخول إلى البقيع بقصد الزيارة. فإذا أراد الزائر نفسه الدخول إلى ذلك المكان خمس مرات فى اليوم، توجب عليه دفع خمسة قرانات! وإذا تمّ للزائر دخول المكان، يعمد البواب (اللعين) إلى طرده بعد وقت قصير، ولمّا ينتهى المسكين بعد من الزيارة!» (٣) كتب (محمد ولى ميرزا) الذى تشرف بالحجّ سنة ١٢٦٠ هـ بهذا الشأن حيث قال:

«كانوا يأخذون مبلغ ألف دينار من كلِّ واحد يريد الدخول إلى البقيع، وثلاثة قروش ممن يريد الدخول إلى الفناء هناك، ويعادل القرش الواحد عباسياً واحداً. ويأخذون مبلغاً من المال كذلك عند قبّه حرم البقيع، إذا أُريد زيارة السيدة فاطمة (ع) حتى يتمكّن الزائر من تقبيل الضريح المبارك.» (٤) وكتب (فراهانى) عام ١٣٠٢ ما يلى:

«يقوم قليل من الحجاج من أهل السنة بزيارة قبور الأئمة فى البقيع ومع ذلك

١- ١ كتاب سفرنامه ميرزا داود وزير الوظائف: ١٣١- ١٣٠.

٢- ٢ عملة قديمة.

٣- ٣ مجلة ميقات الحجّ، العدد ١٩: ١٨٢.

٤- ٤ كتاب به سوى أم القرى: ٢٤٩.

ص: ٢٧٧

فلا أحد يأخذ منهم شيئاً، في حين لا يُسمح لأى من الحجاج الشيعة بالدخول إلى هناك إلّا بعد دفعهم لمبلغ معيّن، وبعد دفعهم المبلغ يُسمح لهم حينئذ فقط وبدون تقيّة بالزيارة كيفما شاءوا. (١) وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ (ميرزا معصوم نائب الصدر شيرازى) الذى تشرف بزيارة المدينة المنورة عام ١٣٠٥ هـ، كان قد اعترض على المسؤولين هناك بسبب عدم وضعهم المصابيح للإنارة فى الليل، وكذلك على أخذهم المال من الناس للسماح لهم بالزيارة، فقليل له: إذا دفع لنا مبلغ (١٥٠٠) تومان سنوياً، فسوف نتعهد بإنارة المكان، والكفّ عن أخذ أى مبلغ من العجم عند دخولهم هناك! (٢) ١٦- جهل الحجيج اللغة العربية:

وأما المشكلة الأخرى التى تُصادف الحجاج هى عدم تكلمهم اللغة العربية، وهو السبب الرئيس الذى كان يحول بينهم وبين بيان ما يريدون للآخرين، أو فهم ما يُقال لهم، خاصة عند مرورهم بالمدن والقرى الواقعة فى طريق رحلتهم؛ ولذلك كانوا يقعون فى عدة مشاكل، وربما فقدوا حياتهم نتيجة لذلك.

وما زال هذا الواقع موجوداً حتى الوقت الحاضر، حيث لا يتمكن الكثير من الحجاج القادمين من أقطار إسلامية مختلفة من التحدّث إلى الحجاج الآخرين.

فربما جلس بعضهم إلى جانب بعض آخر ساعات طويلة فى الحرم الشريف دون أن يتعرّف أحدهم على الآخر، أو ينبس معه ببنتِ شفة!

وختاماً:

لقد استطاع مؤلفو الكتب الخاصة بالرحلات كتابةً يومياتهم بدقّة واصفين ما لاحظوه من نواح اجتماعية واقتصادية ولم ينسوا حتّى الأحوال المناخية التى

١- ١ كتاب ميراث اسلامى ايران، المجلد السادس: ٧٧٧.

٢- ٢ كتاب تحفة الحرمين: ٢٥٧؛ و حج كذارى ايرانيان در دوره قاجار: ٧١.

ص: ٢٧٨

صادفتهم في سفرهم فضلاً عن الحُكَّام الذين كانت لهم اليد الطولى على أرض الحجاز في الزمن الغابر، وتمكنوا من تسجيل العديد من ملاحظاتهم، وذكر الكثير من المشاكل التي كان يتعرض لها كل واحد منهم. وإذا رُمنا التَّطرق إلى كلِّ ما جاء في تلك اليوميات، فلن يتَّسع هذا الكتيب الصغير لاحتواء ذلك. لكنَّ الأمل يحدونا في أن نجد الفرصة المناسبة في المستقبل بإذن الله لنضع الكثير من المعلومات حول ذلك في متناول يد القراء وذوى العلاقة على السواء.

وبهذه المناسبة، نودُّ الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أنَّ الكثير من المشاكل والصعوبات، التي تطرَّقا إليها في الصفحات السابقة قد تمَّ القضاء عليها في الوقت الحاضر بفضل الله تعالى ولطفه، حيث يتمتَّع حجاج الأقطار الإسلامية اليوم بأفضل طرق المواصلات والتَّقل الحديثة كالطائرات مثلاً، وينعمون بأعلى درجات الرفاهية والتغذية المناسبة، إضافة إلى حالة الأمن والاستقرار عند أدائهم لمراسم الحجِّ، ممَّا يَسِّر لهم أداء هذه الفريضة العزيزة في أقصر وقت وأقلَّ مجهود، والعودة إلى أوطانهم سالمين غانمين. فلا أقلَّ من أن يشكروا الله على نعمه، ويسعوا جاهدين إلى الاستفادة من هذه الفرصة الثمينة إلى أقصى حدٍّ ممكن لتنمية العناصر الروحية والمعنوية داخلهم، وكذلك الوصول إلى الهدف الذي تنشده لهم الآية الشريفة لِيشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ.

نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا جميعاً للوقوف على هذه المسؤولية الخطيرة والمهمة، ليتسنى لجميع حجاج بيت الله الحرام أداء مراسم الحجِّ المبرور والمقبول إن شاء الله، بروح متألِّقة وأخلاق حميدة وسلوك منسجم مع التَّعاليم الدينية والإسلامية، والرجوع إلى بلدانهم في أمن وسلام.

معجم ما كتب في الحج و الزيارة (١٢)

ص: ۲۷۹

معجم ما کتب فی الحجّ و الزیارة (۱۲)

۱۸۸۱- گزارش آتش سوزی مسجد نبوی در سال ۸۶۶ هجری و بنای مجدد آن از زبان یک شاهد عینی
(ترجمه فارسیه ل (رسالة هداية التصديق الى حكاية الحريق) لفضل الله ابن روزبهان خنجی ت ۹۲۷ هـ)

رسول جعفریان

میقات حج: س ۳: ع ۱۰ (زمستان ۱۳۷۳ ش) ص ۱۰۶-۱۱۶.

۱۸۸۲- گزارش از اعزام دانشجویان به عمره

(بالفارسیه)

میقات حج: ع ۲۲ (زمستان ۱۳۷۶ ش) ص ۱۵۲-۱۶۲.

۱۸۸۳- گزارش از دو باز سازی کعبه و مسجد الحرام

محمد رضا فرهنگ

میقات حج: ع ۲۰ (تابستان ۱۳۷۶ ش) ص ۱۰۴-۱۱۴.

۱۸۸۴- گزارش از طرح قربانی حج سال ۱۳۷۲

(بالفارسیه)

طهماسب مظاهری

میقات حج س ۲: ع ۷ (بهار ۱۳۷۳ ش) ص ۶۷-۸۰.

۱۸۸۵- گفتگو با نماینده محترم ولی فقیه در امور حج و زیارت پیرامون حج

ص: ٢٨٠

(بالفارسية)

ميقات حج. س ٣: ع ١٠ (زمستان ١٣٧٣ ش) ص ١٥٦-١٧٣.

١٨٨٦- گوشه‌ای از اسرار حج

(بالفارسية)

جعفر سبحانی

ميقات حج س ٢: ع ٨ (تابستان ١٣٧٣ ش) ص ٣٢-٣٦.

١٨٨٧- لييك اللهم لييك: هنا الكعبة المشرفة وهذا هو البيت الحرام

محمد طنطاوى

العربي (الكويت) ع ٧ (١٩٥٩/٦ م) ص ٢٣.

١٨٨٨- لقاء الحج يكشف لنا الطريق

أبو عمر

لواء الاسلام (القاهرة) س ٤٥: ع ٤ (١٩٩٠/٦ م) ص ٢٠-٢١.

١٨٨٩- لقاء مع المؤرخ الحجازي عاتق ابن غيث البلادي

ميقات الحج. س ٣: ع ٦ (١٤١٧ هـ) ص ١٩٥-٢١٦.

١٨٩٠- لقاء وحوار (حول الحج)

ميقات الحج: ع ٩ (١٤١٩ هـ) ص ٢٠٧-٢٣٧.

١٨٩١- لقاءات مجلة الموسم حج عام ١٤٠٨ هجرية

بدر رشاد الدوبي

التضامن الاسلامي (مكة المكرمة) س ٤٣: ع ٧ (١٩٨٨/٩ م) ص ٧٦-٨٥.

١٨٩٢- للحجاج... وغيرهم

محمد سيد طنطاوى

منبر الاسلام (القاهرة) س ٤٩: ع ١٢ (١٩٩١/٦ م) ص ٦-١٠.

١٨٩٣- اللطائف المنيفة في فضل الحرمين وما حولهما من الاماكن الشريفة

عبدالله عبدالقادر المصري الحنفى الفيومى ت ١٠١١ هـ

ظ

المنهل (جده) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤/١٤١٠ هـ / ١٠-١١/١٩٨٩ م) ص ٢٠٦.

١٨٩٤- لماذا اختار النبي المدينة موطناً لهجرته؟

محمد خليفه التونسي

الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ٣٤ و ٣٥ (١٣٩١ هـ) ص ٩٠-١٠١.

ع ٣٦ (١٣٩١ هـ) ص ٩١-٩٩.

ص: ٢٨١

ع ٣٧ (١٣٩١ هـ) ص ١١ - ٢٠.

١٨٩٥- لماذا بعث الرسول في مكة؟

عبدالقادر أحمد عطا

القاهرة: دار الاعتصام.

١٨٩٦- لماذا ظهر الاسلام في جزيرة العرب؟

أحمد موسى سالم

بيروت: دار الجيل، ١٩٧٧ م، ٣٣٥ ص، ط ٢، ١٩٨١ م، ٣٣٥ ص.

١٨٩٧- لماذا ظلت مكة ملتقى العلم والثقافة؟

عبدالمنعم الجداوى

الهلال (القاهرة) س ٩٦: ع ٧ (١٩٨٩ / ٧) م) ص ١٠٠ - ١٠٧.

١٨٩٨- لماذا لا يجوز لغير المسلمين دخول مكة والمدينة والاقامة فيها؟

عبدالوارث كبير

العربي ع ٨٤ (١١ / ١٩٦٥ م) ص ١٤٤.

١٨٩٩- لمحات فنية من آيات الحج

محمود البستاني

مبقات الحج: ع ١٠ (١٤١٩ هـ) ص ٦٢ - ٧٠.

١٩٠٠- لمحات في نشوء الحركة العلمية في الحجاز في صدر الاسلام: دور المسجد في حياة المسلمين ولا سيما الحياة العلمية خلال

تلك الفترة.

سامي الصفار

في:

الندوة العلمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء الراشدين.

(الرياض: كلية الآداب - جامعة الملك سعود، ١٥ - ١٢ / محرم / ١٤٠٤ هـ).

١٩٠١- لمحات من فلسفة الحج في الاسلام

عبدالنافع محمود

الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ١٠٨ - ١٠٩ (١٣٩٧ هـ) ص ٥ - ٨.

١٩٠٢- لمحة تاريخية عن المدينة المنورة

علي حافظ

المنهل (جدة) حج ٢٧: ج ١٠ (١٠ / ١٣٨٦ هـ / ١ / ١٩٦٧ م) ص ١٢٩٢.

ج ١٢ (١٢ / ١٣٨٦ هـ / ٤ / ١٩٦٧ م) ص ١٤١٧.

١٩٠٣- لمحة عن الحج ومناسكه

محمد جواد حجتى كرمانى

ص: ٢٨٢

مِيقَاتُ الْحَجِّ: ع ٨ (١٤١٨ هـ) ص ٧٩-١٠٣.

١٩٠٤- لَمَحَةُ فِي بَعْضِ آيَاتِ الْحَجِّ

عبدالله خياط

المنهل (جدة) حج ١١: ج ٩- ١٠ (١١- ١٢ / ١٣٧٠ هـ / ٨- ٩ / ١٩٥١ م) ص ٣٨٩- ٣٩٤.

١٩٠٥- لَمَنْ هَذِهِ الدَّوَارِسُ فِي جَنَابَاتِ الْعَقِيقِ

أحمد سباعي

المنهل (جدة) حج ٢: ج ١٠ (٩ / ١٣٥٧ هـ / ١٠ / ١٩٣٨ م) ص ٢٢- ٢٧.

١٩٠٦- اللّٰهجات العاميّة في الحجاز ونجد، اسباب حدوثها وردّها الى اصولها الصحيحة

عبد القدوس الانصاري

المنهل (جدة) حج ٢: ج ١ (١٢ / ١٣٥٦ هـ / ٢ / ١٩٣٨ م) ص ٣- ٧.

١٩٠٧- ليالي مكة

على الجمبلاطي وعبد المنعم قنديل

مصر: دار النهضة، ٢٢١ ص، ٢١ سم.

١٩٠٨- ليشهدوا منافع لهم

وهبة الزحيلي

مِيقَاتُ الْحَجِّ ع ٢ (١٤١٥ هـ) ص ٢٨- ٣٩.

١٩٠٩- ليلة مكة

(على هامش رحلتى فى الحجاز)

عبد الكريم جرمانوس

الرسالة (القاهرة) س ٥: ع ٢٠٧ (٢١ يونيو ١٩٣٧) ص ١٠١٨- ١٠٢٠.

١٩١٠- مأساة المدينة المنورة

عبد الحق النقشبندى

المنهل (جدة) مج ٢٣: ج ٥ (٥ / ١٣٨٢ هـ / ١٠ / ١٩٦٢ م) ص ٢٧٩- ٢٨٢.

١٩١١- ماء الموائد

(رحلة إلى مكة والمدينة)

عبد الله بن محمد العياشى ت ١٠٩٠ هـ

فاس: ١٣١٦ هـ، ١٨٩٠ ص (هجريه).

فاس: ١٣٩٧ هـ (اوفسيت).

١٩١٢- مائدة الزائرين

(وهو كبير جامع لأنواع الزيارات)

محمد جعفر الاسترآبادى الشريعتمدار ت ١٢٦٣ هـ

ظ: الذريعة ٩ / ١٩.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ١٠ / ٦٣.

ص: ٢٨٣

مائدة الزائرین الصغیرة

(مختصر من كتابه «المائدة» المبسوطه، اقتصر فيه على خصوص الزيارات، التي يمكن الإتيان بها على الوجه المأثور).

ظ: الذريعة ٩/ ١٩.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠/ ٦٤.

١٩١٣- ١٠٠ سؤال حول الحج، العمرة، الزيارة

فاروق فهمي

القاهرة: ١٩٨٥ م، ٩٦ ص.

١٩١٤- ما الذي سيحدث في موسم حج هذا العام؟

أحمد أبو كف

التصوف الإسلامي (القاهرة)

س ١٠: ع ٦ (٥/ ١٩٨٨ م) ص ٣٠- ٣٢.

١٩١٥- ما انفرد به أهل مكة

محمد بن حبان بن أحمد ابن حبان ت ٣٥٤ هـ

ظ المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣- ٤/ ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٨

١٩١٦- ماذا بعد مؤتمر الحج الأكبر؟

محمود عبد الوهاب فايد

الاعتصام (القاهرة) س ٥٠؛ ع ٤ (٨/ ١٩٨٨ م)

ص ١٦- ١٨.

١٩١٧- ما رأيت وما سمعت

(مذكرات لرحلة الزركلى للحجاز سنة ١٣٤٠ هـ)

خير الدين الزركلى

مطبوع في ٢٥٦ ص.

١٩١٨- ما لا تعرفه عن المقصورة النبوية والقبّة الخضراء

عبد الستار محمد فيض

الوعى الإسلامى س ٢٥: ع ٣٠١ (٨/ ١٩٨٩)

ص ١١٠- ١٢٣.

١٩١٩- ما هي الاستطاعة، ومن هو المستطيع؟

جعفر شهيدى

ميقات الحج ع ٢ (١٤١٥ هـ) ص ١٦١- ١٦٩.

١٩٢٠- مبادئ فن الميقات

محمد بن يوسف الخياط

مكة المكرمة: المطبعة الميرية،

١٣٢٣ هـ (ضمن مجموعة من ١ - ١١).

ص: ٢٨٤

١٩٢١- مباني حج إبراهيمي از دیدگاه امام خمینی قدس سره (بالفارسیه)

محمد محمدی ری شهری

میقات حج س ١: ع ٢ (زمستان ١٣٧١ ش)

ص ٣١-٤١.

١٩٢٢- مبانی دینی برائت از مشرکان (بالفارسیه)

جواد ورعی

میقات حج: ع ٢٥ (پاییز ١٣٧٧ ش) ص ٢٩-٤١.

٢٦٤ (زمستان ١٣٧٧ ش) ص ٢٧-٤٢.

١٩٢٣- متى حدثت الهجرة إلى المدينة المنورة؟

مصطفى رجب

منار الإسلام س ١٦: ع ١ (٧/ ١٩٩٠ م)

ص ٣٤-٣٥.

١٩٢٤- مثير شوق الأنام إلى حج بيت الله الحرام

محمد بن علي ابن علان

(٩٩٦-١٠٧٦ هـ)

ظ المنهل (جلد٥) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣- ٤/ ١٤١٠ هـ / ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م) ص ٢٠٧.

١٩٢٥- مثير عزم الساكن إلى أشرف الأماكن

(في تاريخ مكة والمدينة)

ابن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧ هـ)، تحقيق:

مرزوق علي ابراهيم

الرياض: دار الراية، ١٤١٥ هـ.

١٩٢٦- المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة

إبراهيم الدسوقي

منبر الإسلام س ٤٨: ع ١ (٨/ ١٩٨٩ م)

ص ٣٠-٦٣.

١٩٢٧- المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة في عصر الرسالة

أكرم ضياء العمرى

المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤١٥ هـ.

١٩٢٨- المجتمع الإسلامي في مكة

عبد العزيز كامل

بيروت: مطابع معنوق اخوان، ١٩٦٧، ٩٢ ص.

١٩٢٩- مجتمع الشناقطة في المدينة المنورة

محمّد صالح حمزة عسيلان
جامعة الملك سعود، كلية الآداب،

ص: ٢٨٥

١٤٠٤ هـ (رسالة ماجستير).

١٩٣٠- مجتمع قريش السياسى والدينى فى عام الفيل: أضواء على أحناف النصارى واليهود
عطا الله جليان

بيروت: مؤسسة دار الكتاب الحديث، ط ١، ١٩٨٧ م، ٢٠٠ ص، ٢٢ سم.

١٩٣١- المجتمع المدنى: جهاد ضدّ المشركين

أكرم ضياء العمرى

المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤١٥ هـ.

١٩٣٢- المجتمع المدنى فى عهد النبوة:

خصائصه وتنظيماته الأولى

(محاولة لتطبيق قواعد المحدثين فى نقد الروايات التاريخية)

أكرم ضياء العمرى

١٩٣٣- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية،

١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ١٨٨ ص، ٢٤ سم

(المجلس العلمى - إحياء التراث الإسلامى، ١٠).

١٩٣٤- مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها

أكرم ضياء العمرى

الرابطه (مكة المكرمة) س ٢١: ع ١ (١ / ١٤٠٣ هـ / ١١ / ١٩٨٢ م) ص ٦٤ - ٧٥.

١٩٣٥- مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها

حسن خالد

بيروت: دار النهضة العربية،

١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦، ٣٢٠ ص، ٢٤ سم.

١٩٣٦- مجتمع المدينة المنورة فى عصر النبوة كما يصوره القرآن

محمد لقمان الأعظمى

القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الآداب،

١٩٨٨ م (رسالة دكتوراه).

القاهرة: دار الاعتصام، ٥١٠ ص، ٢٤ سم.

١٩٣٧- مجتمع المدينة المنورة وتنظيم القبائل سياسياً واجتماعياً فى عصر الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم (١ - ١١ هـ / ٦٢٢ -

٦٢٣ م)

عبدالله بن عبد العزيز بن إدريس

الرياض: جامعة الرياض، كلية الآداب، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

(اطروحة ماجستير)،

ص: ٢٨٦

الرياض: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، ط ١، ١٤٠٢ هـ: ١٩٨٢ م، ٢٧٩ ص.

المنهل (جدة) مج ٤١: ج ٧٢٦ (٦-٧ / ١٤٠٠ هـ، ٥-٦ / ١٩٨٠ م) ص ٤٧٧ - ٤٨٠.

١٩٣٨- مجلس في فضل يوم عرفة

ابن ناصر الدين وابن حجر

تحقيق: محمد عوامة

جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية.

١٩٣٩- مجمع الزيارات

(في زيارات الأئمة عليهم السلام، بالفارسية).

عناية الله بن غيب الله

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٦٩.

١٩٤٠- مجمع المقال في الزيارات والأعمال

محمد صالح آل طعان البحراني

ت ١٣٣٣ هـ.

ظ:

الذريعة ٢٠ / ٤٥.

الموسم مج ٣: ع ٩، ١٠ (١٤١١ هـ) ص ٤٣٧.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٦٩.

١٩٤١- مجمع المناسك ونفع الناسك في نسك الحج وفضائل الحرمين والقدس والحجاج والمجاور على الفضيل

رحمة الله بن عبد الله السندی الحنفی

الاستانة؛ ١٢٨٩ أو ١٢٩١ هـ، ٤٣٠ ص.

١٩٤٢- المجموع الظريف في حجة المقام الشريف

الأشرف قايتباي، عن حج الأشرف قايتباي

أحمد بن يحيى المعروف بابن الجيعان ت ٩٣٠ هـ

العرب. س ١٠: ج ١٠٢٩، ص ٦٥٩ (حمد الجاسر).

١٩٤٣- مجموعة الأدعية والزيارات

خ: الرضوية، ١٠٧ ورقة، من وقف المولى على أصغر، سنة ١٢٥٠ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٦٥.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٧٤.

١٩٤٤- مجموعة الأدعية والزيارات

ص: ٢٨٧

خ: الرضوية، من وقف محمد المتخلص بعصار سنة ١٣٠٩ هـ.

ظ: الذريعة ٦٥ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٧٦ / ١٠.

١٩٤٥ - مجموعة الأدعية والزيارات

خ: الرضوية، من وقف محمد إبراهيم سنة ١٢٥٧ هـ.

ظ: الذريعة ٦٤ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٧٥ / ١٠.

١٩٤٦ - مجموعة الأدعية والزيارات

خ: الرضوية، من وقف المولى محمد حسن

ظ: الذريعة ٦٤ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٧٥ / ١٠.

١٩٤٧ - مجموعة الأدعية والزيارات

خ: الرضوية، ١٠٩ ورقة، ١١٧٧ هـ.

ظ: الذريعة ٦٤ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٧٥ / ١٠.

١٩٤٨ - مجموعة الأدعية والزيارات

خ: الرضوية، ٨٠ ورقة،

تاريخ الوقف ١٢٧١ هـ، بخط غلام رضا الخراساني

ظ: الذريعة ٦٥ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٧٥ / ١٠.

١٩٤٩ - مجموعة الأدعية والزيارات

خ: الرضوية، ١٢٧٧ هـ، بخط محمد رحيم الكرمانی

ظ: الذريعة ٦٤ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٧٦ / ١٠.

١٩٥٠ - مجموعة الأدعية والزيارات

عبد الخالق اليزدي

خ: الرضوية في ٣ مج

ظ: الذريعة ٦٥ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٧٥ / ١٠.

١٩٥١ - مجموعة الأدعية والزيارات

محمد طاهر بن مقصود على الاصفهاني

كتبه سنة ١١٢٩ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٦٥.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٧٦.

١٩٥٢ - مجموعة الأدعية والزيارات

ص: ٢٨٨

جمال الدين محمد بن محمد رضا بن حسن بن يحيى بن أحمد بن علي النقيب
ظ: الذريعة ٦٥ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٧٦ / ١٠.

١٩٥٣ - مجموعة الأدعية والزيارات المأثورة المعتبرة

علي بن عبد الخالق الحسيني الرازي، فرغ من بعض أجزاءها سنة ١١٧٥ هـ.

ظ: الذريعة ٦٧ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٧٦ / ١٠.

١٩٥٤ - مجموعة الأدعية والزيارات وبعض الأذكار

حسين القاري بن رضا علي الهندي

ظ: الذريعة ٦٥ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٧٥ / ١٠.

١٩٥٥ - مجموعة أدعية وزياره الحج

النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤، ٦٤ ص، ٢٤ سم.

١٩٥٦ - مجموعه شعر بقيق

(بالفارسية)

باهتمام: محمد علي مجاهدي

سازمان أوقاف وأمور خيريه، ط ١، ١٣٧٢ ش، ٦٥٣ ص، ٢٤ سم.

١٩٥٧ - مجموعة مقالات في الحج

طهران: مؤسسة الحجر، ط ١، ١٣٦٤ ش، ٣١٢ ص، ٢٤ سم.

١٩٥٨ - المحاسن اللطيفة في معاهد المدينة الشريفة

شمس الدين محمد ابن طولون الصالحي

ت ٩٥٣ هـ

ظ: الفلك المشحون ٤٦.

معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وآله ٩٧.

١٩٥٩ - محاضرات في الحج والعمرة

محمد رشدي محمد اسماعيل

القاهرة: ط ١، ١٩٨٦ م، ١٤٢ ص.

١٩٦٠ - محاولة لوضع أطلس للسيرة النبوية الشريفة والعصر النبوي

حسين مؤنس

المؤرخ العربي (بغداد): ع ١٦ (١٩٨١ م)

ص ٢٢٢ - ٢٥٥.

الفكر الإسلامي س ١٢: ع ١ (١٤٠٣ / ١٩٨٣ م) ص ٦٨ - ٧٣.

١٩٦١-المحبوبة مدينة الحبيب

ناجي محمد حسن عبد القادر

ظ: موسوعة الأدباء والكتّاب

ص: ٢٨٩

٢٥٧/٢.

العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (٢٢١/١٤١٧ هـ) ص ٤٦١.

١٩٦٢- المحتوى المكبروبى لهواء منى فى موسمى حج ١٣٩٨ / ١٣٩٩ هـ.

جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ٣٠ ص.

١٩٦٣- محبة الحاج

أبو محمد الكعبى الأهوازي

قم: نشر نهضت، ط ١، ١٤١٣ هـ، ١٤٣ ص، ١٧ سم.

١٩٦٤- محرّك سواكن الغرام إلى حج بيت الله الحرام

مرعى بن يوسف الكرمى

ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤ / ١٤١٠ هـ / ١٠-١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٨.

١٩٦٥- محرمات إحرام

پژوهشى گسترده در معانى و مفاهيم اصطلاحى و فقهى (حج) (بالفارسية)

على حجتى کرمانى

مىقات حج س ٢: ع ٦ (زمستان ١٣٧٢ ش)

ص ٥٩-٦٩

١٩٦٦- محظورات الحج

محمد الهادى أبو الأجنان

الهداية (توس) س ١٥: ع ٦ (٥ / ١٩٩١ م) ص ٣٤-٣٧.

١٩٦٧- محل دفن عبدالله پدر رسول خدا صلى الله عليه و آله

(بالفارسية)

محمد صادق نجمى

مىقات حج: ع ٢٢ (زمستان ١٣٧٦ ش) ص ١٠٢-١١٤.

١٩٦٨- محمد فى المدينة

مونتجومى وات

تعريب: شعبان برکات

بيروت: المكتبة العصرية، (د. ت)، ٥٩٣ ص.

١٩٦٩- محمد فى مكة

مونتجومى وات

تعريب: شعبان برکات

بيروت: المكتبة العصرية، (د. ت)، ٢٧٦ ص.

١٩٧٠- محمد ويهود الجزيرة

ج، ج.

مجلة الثقافة س ٧؛ ع ٣٦٤ (ديسمبر ١٩٩٥ م) ص ٩-١١.

ص: ٢٩٠

١٩٧١- المختار عن شعراء المدينة المنورة في العهد السعودي

عبد الحق عبد السلام نقشبندی

(١٣٢٢-١٤٠٢ هـ)

ظ: معجم مؤرخي الجزيرة ١٤٥.

العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (٢٢١/١٤١٧ هـ) ص ٦٤١.

١٩٧٢- مختصر أعمال حجّ التمتع: مع شرح الأماكن والمساجد المقدسة في مكة المكرمة

روح الله الخميني قدس سره

قم: المنار، ١٣٧٥ ش، ٤٨ ص، ٢١ سم.

١٩٧٣- مختصر تبصرة الناسكين بسنن الحجاج والمعتمرين

محسن آل عصفور

قم: أنوار الهدى، ١٤١٥ هـ، ٣٨٤ ص.

١٩٧٤- مختصر عجالة القرى في تاريخ أم القرى

تقى الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي ت ٨٣٢ هـ

خ: مكتبة المرعشي النجفي ١٤٨ ص، ٢٢* ٥، ١٣ سم.

١٩٧٥- مختصر فضائل المدينة المنورة

خليل إبراهيم

جدة: دار المطبوعات الحديثة،

١٤٠٩ هـ: ١٩٨٩ م، ٨٠ ص.

١٩٧٦- مختصر لطيف في مناسك الحج والعمرة

محمد بن موسى القرى، ت ٨٩٠ هـ،

خ: افغانستان، ضمن مجموعة برقم ٢٢٢.

١٩٧٧- مختصر مزار البحار

بعض الفضلاء من أهل استرآباد

مازندران

ظ: الذريعة ٢٠/٢٠٨.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٢/١٠.

١٩٧٨- مختصر مزار التهذيب

محمد الجاوجاني

فرغ منه سنة ١٢٣٩ هـ

ظ: الذريعة ٢٠/٢٠٨.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٢/١٠.

١٩٧٩- مختصر معجم معالم مكة التاريخية

عائق بن غيث البلادى

مىقات الحج ع ٣ (١٤١٦ هـ) ص ١٤١-

ص: ٢٩١

١٦٠

ع ٤ (١٤١٦ هـ) ص ١٩٣ - ٢٠٤.

ع ٥ (١٤١٧ هـ) ص ٢١٨ - ٢٢٧.

ع ٧ (١٤١٨ هـ) ص ٢٢٤ - ٢٤٢.

١٩٨٠- المختصر من كتاب نشر النور والزهر

(تراجم أفاضل أهل مكّة في القرن العاشر حتى الرابع عشر الهجري)

تأليف: عبدالله مرداد أبي الخير

اختصره: محمّد سعيد العامودي، وأحمد علي

الطائف: نادي الطائف الأدبي، ٢ مج:

٤٦٥ ص.

١٩٨١- مختصر مناسك الحج

(بالفارسية)

ابراهيم الميلاني

طهران: انتشارات سعدی

١٣٥١ ش، ٩٤ ص، ١٧ سم.

١٩٨٢- مختصر مناسك الحج

الحسين بن عبيدالله بن إبراهيم الغضائري ت ٤٠١ هـ

ظ:

رجال النجاشي ٦٩.

الذريعة ٢٢: ٢٦١.

١٩٨٣- مختصر مناسك الحج

الأصل: حجة الإسلام الشفتي

المختصر: ميرزا فتح الله الحسيني التستري المعروف بكمپاني

ظ: الذريعة ٢٠/ ٢١٢.

١٩٨٤- المختصر الوجيز في مَنْ رحلوا إلى بلد الله العزيز

أمحمد بن علال البخلاخي

المنهل (جدة) مج ٥١: ع ٤٧٥ (٣- ٤ / ١٤١٠ هـ)

ص ١٣٠ - ١٩٣

١٩٨٥- مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة اسطنبول

خليل الساحلي اوغلي

في: الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ١٣٩٧ هـ - ٤ / ١٩٧٧ م).

ظ: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج ٢ (١٩٧٩ م) ص ١٤٥ - ١٦٢.

١٩٨٦- مخطوطات في مكتبة الحرم المكي

نوري القيسي

الرسالة الإسلامية (بغداد)

ع ٢٥ و ٢٦ (١٣٩٠ هـ) ص ٢٨ - ٤٢.

ص: ٢٩٢

١٩٨٧- المخطوطات والوثائق العربية لتاريخ الجزيرة العربية في تونس
رشاد الإمام

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ج ٢ (١٩٧٩ م) ص ١٧٧-١٨٣.

المؤرخ العربي: ع ٦، ص ١٤٥-١٥٣.

١٩٨٨- مخطوطة الدرّة الثمينه في أخبار مكّة والمدينه

عبد محمود نور الدائم

تاريخ العرب والعالم س ٣: ع ٣٤ (آب ١٩٨١ م)

ص ٣٧-٤٣ (يحيى محمد ابراهيم).

١٩٨٩- مخطوطة مهمّة لكتاب أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام

حافظ غلام مصطفى

مجلة المجمع العلمي الهندي مج ١: ج ١

(يونيو ١٩٧٦ م) ص ٦٩-٩٠.

١٩٩٠- مخطوطة نادرة لكتاب قديم في منازل مكّة

محمد حسن آل ياسين

الأقلام (بغداد) س ١: ع ٦ (١٩٦٥ م) ص ١٤٠-١٤٣.

١٩٩١- مدائن صالح وما جاورها

رانا احسان الهى

الرسالة الإسلامية (بغداد)

ع ٤٦ (١٣٩٢ هـ) ص ٢٤-٣٥.

مدارس مكّة

ناجى معروف

بغداد: ١٩٦٦ م.

١٩٩٢- مدخل لرحلة الحضيكي الحجازية

عباس الجرارى

مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج ٢

(١٩٧٩ م) ص ٣٧٣-٣٨٤.

١٩٩٣- المدن العربية في القرن الأول الهجرى

عادل نجم عبو

مجلة آداب الرافدين ع ١٣ (نيسان ١٩٨١ م)

ص ٥٨٣-٦٠١

١٩٩٤- مدنا في الموسوعات العلمية الحديثه، جدّه

في دائرة المعارف الإسلامية البريطانية

عبد القدّوس الأنصاری

المنهل (جلد) مج ۲۷: ج ۱ (۱۰/۱۳۸۶ هـ / ۱/۱۹۶۷ م) ص ۱۱۵۷ - ۱۱۶۰.

۱۹۹۵- مدیریت در کاروانهای حج

ص: ٢٩٣

على ورسه‌ای

طهران: مشعر، ط ١، ١٣٧٥ ش، ٨٨ ص، ٢١ سم.

١٩٩٦- مدینتا الإسلام المقدّستان، مکة المکرّمة والمدینة المنوّرة: مهبط الوحی وموطن الرسول ودار هجرته.

جدّة: دار الریشه، ط ١، ١٩٩٢ م، ١٣٤ ص (خراطة)، ٢٠ سم.

١٩٩٧- مدینتا الحجاز: مکة والمدینة فی العصر الجاهلی وعصر الرسول صلی الله علیه و آله

أحمد إبراهيم الشریف

القاهرة: جامعة عين شمس، کلیة الآداب، ١٩٩٣ م، ٢٦٤ ص (رسالة ماجستير).

المدینة

روبرت بارک- ارسنت برجس- رودرک ماکنیزی

ترجمة: سید عبد العاطی، وأبو بکر أحمد باقادر.

جدّة: وكالة تبر للدعاية والنشر، والإعلام، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ٣٠١ ص.

المدینة

أبو الحسن علی بن محمّد بن عبد الله بن أبی سیف المدائنی (١٣٥- ٢١٥ هـ).

ظ: الفهرست لابن النديم ١١٥.

المدینة

علی بن أحمد العقیقی العلوی

ظ: معالم العلماء ٦٨.

١٩٩٨- مدینه از دیدگاه جهانگردان اروپایی

جعفر الخياط، محمّد رضا فرهنگ

میقات حج: ع ١٧ (پاییز ١٣٧٥ ش) ص ١٤٢- ١٨٥.

ع ١٩ (بهار ١٣٧٦ ش) ص ١٤٨- ١٦٤.

١٩٩٩- المدینة اليوم

محمّد صالح البلیهشی

المدینة المنورة: نادى المدینة الأدبی.

ط ١، ١٤٠٢ هـ، ٣٤٦ ص، ٢٤ سم.

المدینة بین الحاضر والماضی

(دراسة)

الشریف إبراهيم بن علی العیاشی ت ١٤٠٠ هـ

المدینة المنورة: المكتبة العلمیة، بیروت- مؤسسه الأصمعی، ١٩٧٢،

ص: ٢٩٤

٤٠٠ ص.

٢٠٠٠- مدينة جدّة

عبد الوهاب السنوسي

المنهل (جدّة) مج ٢٤: ج ٩ (١٣٨٣/٩ هـ - ١٩٦٤/٢ م) ص ٥٤٤.

٢٠٠١- مدينة در زمان هجرت رسول خدا صلى الله عليه و آله

رسول جعفریان

مقيقات حج: ع ٢٠ (١٣٧٦ ش)

ص ٩١-١٠٢.

٢٠٠٢- مدينة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم

سلمان غفاری

طهران؛ انتشارات بنیاد همدی، ط ١، ١٣٦٢ ش.

٢٠٠٣- مدينة الرسول تحتضن أول ندوة عن المدينة العریة وتراثها الحضاری عدد خاص بمناسبة انعقاد ندوة المدينة المنورة

على حسون

مكة المكرمة؛ مجلة المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠١ هـ.

٢٠٠٤- مدينة شناسی

(بالفارسیة)

محمّد باقر النجفی

أكاديمية العلوم الإسلامية، ط ١، ١٣٦٤ ش، ٤٣٥ ص.

٢٠٠٥- مدينة العرب فی الجاهلیة والإسلام

محمّد رشدى

المقتبس: مج ٦، ص ٣٨٣-٣٨٤ (محمّد كرد على).

٢٠٠٦- المدينة فی صدر الإسلام: الحیاة الأدبیة

محمّد العید الخطراوی

المدينة: مكتبة دار التراث، ١٤٠٤ هـ، ١٢١ ص.

دمشق- بیروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٩٨٤ م، ٤٨١ ص، ٢٤ سم (دراسات حول المدينة المنورة، ٦).

٢٠٠٧- المدينة فی العصر الأموی (دراسة سیاسیة وإدارية واجتماعية واقتصادية وفكرية).

محمّد محمّد حسن شرّاب

المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ط ١، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م، ٤٣٢ ص، ٢٤ سم.

٢٠٠٨- المدينة فی العصر الجاهلی

ص: ٢٩٥

(الحياة الأدبية)

محمّد العيد الخطراوي

المدينة المنورة: دار التراث، ١٤٠٤ هـ، ٦٢٤ ص.

٢٠٠٩- المدينة في العصر الوسيط

عبد الأحد السبتي وحليمة خرجات

بيروت: المركز الثقافي العربي.

٢٠١٠- المدينة قاعدة الإسلام

عبد العزيز كامل

الرسالة س ٢٢: ع ١١٢١ (يوليو ١٩٦٥ م) ص ١٥-١٩.

٢٠١١- المدينة المنورة

المعرفة (موسوعة) مج ١٠ (١٩٨١ م)

ص ١٦٨١-١٦٨٣.

٢٠١٢- مدينه منوره

(بالفارسية)

صائح لمعى مصطفى

ترجمة: صديقه وسمقى

طهران: وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى، سازمان چاپ وانتشارات، كانون پرورش فكرى كودكان ونوجوانان، ط ١، ١٣٧٢ ش، ٣٤٠ ص.

٢٠١٣- المدينة المنورة

عمر فاروق السيد رجب

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومعهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧ م سلسلة الدراسات الخاصة برقم ٩.

الفكر العربى ع ٣٠ (كانون الأول ١٩٨٢ م) ص ١٩٩-٢٠١.

٢٠١٤- المدينة المنورة

محمّد بك ليب البتانونى

نقلها: محمّد فريد وجدى، فى:

دائرة معارف القرن العشرين، ١٠/٩١٣-٩٢٦.

بيروت: دار المعرفة، ط ٣، د. ت.

٢٠١٥- المدينة المنورة

(تحليل جغرافى للمدينة وأقليمها بالمملكة العربية السعودية)

محمّد شوقى بن إبراهيم مكى

[بريطانيا]: ١٩٨٢ م، ٢٣١ ص.

٢٠١٦- المدينة المنورة

محمّد صالح البليهي

(د. م): الادارة العامة للنشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب، (الكتاب، ٧).

٢٠١٧- المدينة المنورة

ص: ٢٩٦

محمّد محمّد حسن شرّاب

(د. م): دار التراب - دمشق: مؤسسه علوم القرآن، ١٤٠٤ هـ.

٢٠١٨ - المدينة المنورة

محمود الشرقاوي

ظ: المدينة اليوم ٢٢، العرب. س ٣١.

ج ٧، ٨ (١، ٢/ ١٤١٧ هـ) ص ٤٦٤.

٢٠١٩ - المدينة المنورة أول عاصمة للدولة الإسلامية

محمّد بدر الدين خليل

العربي: ع ٧٣ (١٢/ ١٩٦٤ م) ص ٦٨.

٢٠٢٠ - المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ

عاصم حمدان على حمدان

المدينة: نادي المدينة المنورة الأدبي، ط ١، ١٩٩١ م، ١٤٢ ص، ٢٤ سم.

٢٠٢١ - المدينة المنورة بين عطر النبوة وذكريات التاريخ وحرارة الإيمان

أحمد أبو كفّ

التصوّف الإسلامي س ١٠: ع ١٠ (١٠/ ١٩٨٨ م)

ص ٢٤ - ٢٧.

٢٠٢٢ - المدينة المنورة بين الماضي والحاضر

إبراهيم على العياشي

المنهل (جدّة) مج ٢٣: ج ٤ (٤/ ١٣٨٢ هـ / ٩/ ١٩٦٢ م) ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

٢٠٢٣ - المدينة المنورة: تطورها العمراني وتراثها الحضاري

صالح لمعي مصطفى

بيروت: دار النهضة العربية، ط ١، ١٩٨١ م،

٣٥٦ ص + صور، ٢٤ سم.

٢٠٢٤ - المدينة المنورة حيث يرقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

محمّد طنطاوي

العربي ع ١٦٧ (١٠/ ١٩٧٢) ص ١٠٠.

٢٠٢٥ - المدينة المنورة (دراسة في جغرافية العمران)

خالد الصالح القاضي

جامعة الإمام، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الجغرافية، ١٤٠٣ هـ (رسالة ماجستير).

٢٠٢٦ - المدينة المنورة دراسة وصفية تاريخية

عبد العزيز محمّد الربيع ت ١٤٠٢ هـ

ظ: موسوعة الأدباء والكتّاب السعوديين ٣٨٧.

ص: ٢٩٧

٢٠٢٧- المدينة المنورة طيبة الحجاز

مصطفى نبيل

العربي: ع ٢٥٢ (١١ / ١٩٧٩ م) ص ٦٨.

٢٠٢٨- المدينة المنورة: عاداتها وتقاليدها

منذ عام ٩٢٥ حتى عام ١٤٠٩ هـ

عبدالله فرج الزامل

جدة: دار تهامة،

ط ١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ٨٢ ص، ٢١ سم.

٢٠٢٩- المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى

محمد أحمد الوكيل

جدة: دار المجتمع لنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٦ هـ، ٢٢٨ ص، ٢٤ سم.

[موسوعة المدينة التاريخية: ٢]

جدة: دار المجتمع، ١٩٨٩ م، ٢٢٨ ص.

٢٠٣٠- المدينة المنورة عبر التاريخ

(دراسة شاملة)

عبد السلام هاشم حافظ

المدينة المنورة: ١٣٨١ هـ.

المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٠٢، ٢١٦ ص.

٢٠٣١- المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي

أحمد محمد صالح البرادعي

بيروت: مطبعة العزاري، ط ١، ١٣٧٢ هـ.

بيروت: مطابع دار الكتب، ١٩٧٢ م، ١٥٩ ص، ١٩ سم.

٢٠٣٢- المدينة المنورة في رحلة العياشي

(دراسة وتحقيق)

محمد أمحزون

الكويت: دار الأرقم، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ٢٧٥ ص، ٢٤ سم.

٢٠٣٣- المدينة المنورة في الشعر

جمعه ونسقه: فؤاد عباس

في: موسوعة العتبات المقدسة ج ٣:

قسم المدينة ص ١١٣-١٢٨.

بيروت: مؤسسة الأعلمي، ط ٢، ١٤٠٧ / ١٩٨٧ م.

٢٠٣٤- المدينة المنورة في العصر الجاهلي

(دراسة الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية)

محمد العيد الخطراوي

المدينة المنورة: دار التراث، ١٤٠٣ هـ،

ص: ٢٩٨

ص. ٢٨٨

٢٠٣٥- المدينة المنورة في القرن الثالث عشر الهجري

عبد الرحمن عثمان

المنهل (جلد) مج ٧: ج ٢ (١٣٦٦ / ٢ / ١٩٤٧ م) ص ٦٩ - ٧١.

ج ٣ (١٣٦٦ / ٣ / ١٩٤٧ م) ص ١١٣ - ١١٥.

ج ٥ (١٣٦٦ / ٥ / ١٩٤٧ م) ص ٢١٠ - ٢١٢.

ج ٨ (١٣٦٦ / ٨ / ١٩٤٧ م) ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

٢٠٣٦- المدينة المنورة في المراجع الغربية

كتبه وترجمه من مختلف المصادر الغربية:

جعفر الخياط

في: موسوعة العتبات المقدسة ج ٣:

قسم المدينة ص ١٧١ - ٣٣٩

بيروت: مؤسسة الأعلمي، ط ٢، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٢٠٣٧- المدينة المنورة في مطلع القرن الثاني عشر كما يصفها النابلسي في رحلته

عبد الغنى بن إسماعيل النابلسي

العرب مج ١: ج ٢ شعبان ١٣٨٦ هـ) ص ١٤٣ - ١٤٦،

ج ٣، (رمضان ١٣٨٦ هـ) ص ٢٢٥ - ٢٣٠،

ج ٤، (شوال ١٣٨٦ هـ) ص ٣٣١ - ٣٣٥،

ج ٥، (ذو القعدة ١٣٨٦ هـ) ص ٤٢٨ - ٤٣٠،

ج ٦، (ذو الحجة ١٣٨٦ هـ) ص ٥٦٠ - ٥٦٢،

ج ٧، (١ / ١٣٨٧ هـ) ص ٦٤٤ - ٦٤٧،

ج ٨، (٢ / ١٣٨٧ هـ) ص ٧٤٤ - ٧٤٨،

ج ٩، ١٠، (٣ / ١٣٨٧ هـ) ص ٨٧٣ - ٨٨٠،

ج ١١، (٥ / ١٣٨٧ هـ) ص ١٠٣٦ - ١٠٤٢، ١٠٤٤.

(حمد الجاسر).

٢٠٣٨- المدينة المنورة في معجم الأدباء

لياقوت الحموي

ابن القاسم

المنهل (جلد) مج ٣: ج ٤ (١٣٥٨ / ٣ / ١٩٣٩ م) ص ٢٤ - ٢٥.

المدينة المنورة قديماً

(إمامة تاريخية شاملة عن المدينة ٢٠٣٩- المنورة منذ أول

ص: ٢٩٩

تمصيرها حتّى قيام الإسلام)

جعفر الخليلي

في: موسوعة العتبات المقدسة ج ٣ قسم المدينة ص ٥-١١٢.

بيروت: مؤسسة الأعلمي، ط ٢، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٢٠٤٠- المدينة المنورة

مثنوى الرسول صلى الله عليه وآله وعاصمة دولته

(استطلاع تاريخي)

إعداد: قسم الاستطلاعات في مجلّة نور الإسلام

نور الإسلام س ١: ع ٧، ٨

(٣، ٤ / ١٤٠٩ هـ - ١٠، ١١ / ١٩٨٨)

ص ٦٧-٨٢.

٢٠٤١- المدينة المنورة مدينة الأنبياء

أسد الله

طبع عام ١٩٣١ م.

٢٠٤٢- المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي

محمد محمد حسن شراب

دمشق: دار القلم- بيروت: الدار الشامية، ١٤١٥ هـ.

٢٠٤٣- المدينة وأخبارها

عبيد الله بن أبي سعيد الوراق (١٩٧-٢٧٤ هـ)

ظ: فهرست النديم: ١٢١.

العرب، س ٣١: ج ٧، ٨ (١، ٢ / ١٤١٧ هـ) ص ٤٦٥.

٢٠٤٤- المدينة وأول بلدية في الإسلام

صدقة حسن خاشقجي

ومحمد عبد الجليل النمر

المدينة المنورة: بلدية المدينة، ١٤٠٠ هـ.

٢٠٤٥- المدينة وزيارة قبر النبي والأئمة عليهم السلام

الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ت ٣٨١ هـ

ظ: رجال النجاشي: ٣٩٠.

الذريعة ٢٠ / ٢٥١.

٢٠٤٦- مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م.

الكاتب ج. فواستر سادليز

ترجمة: أنس الرفاعي

اشراف: سعود بن غانم الجمران

دمشق: دار الفكر، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ٣٠٠ ص، ٢٤ سم.

٢٠٤٧ - مرآة جزيرة العرب

ص: ٣٠٠

أيوب صبرى باشا

ترجمته وتقديم وتعليق: أحمد فؤاد متولى، والصفصافى، وأحمد المرسى

الرياض: دار الرياض، ط ١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ٣٩٥ ص، ٢٤ سم.

٢٠٤٨- مرآة الحجّ

(بالفارسية)

على مولانا

تبريز: ط ٣، ١٣٧٢ ش، ٢٠٨ ص.

٢٠٤٩- مرآة الحرمين

إبراهيم رفعت باشا، ت ١٣٥٣ هـ

(كان قائد حرس المعمل المصرى سنة ١٣١٨ هـ، وأمير الحجّ فى سنّى ٢٠، ٢١، ٢٥).

مصر: ١٣٤٤ هـ، ٢ مج.

٢٠٥٠- مرآة الحرمين

أيوب صبرى باشا الرومى، ألفه سنة ١٣٠٢ هـ.

الآستانة: ١٣٠٦ هـ.

(مطبوع باللغة التركية وهو فى تاريخ المدينتين المقدستين فى خمس مجلدات).

ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤ / ١٤١٠ هـ / ١٠-١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٨.

٢٠٥١- مرآة الحرمين

(بالفارسية)

أيوب صبرى باشا

ترجمته: عبد الرسول منشى

خ: كتابخانه ملى، برقم ١٨٦٣.

ظ: العرب س ٣٢: ج ١، ٢ (٧، ٨ / ١٤١٧ هـ / ١١، ١٢ / ١٩٩٦ م) ص ٣٦.

٢٠٥٢- مراسيم الحج وفرائضه

جواد شبّر

فى: موسوعة العتبات المقدسة ج ٢:

قسم مكة ص ٣٣٧-٣٦٥.

بيروت: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، ط ٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٠٥٣- مرافق الحج والخدمات المدنية للحجّاج فى الأراضى المقدسة

سليمان عبد الغنى مالكى

الرياض: دار الملك عبد العزيز، ١٩٨٧ م، ١٧٤ ص.

الدارة (الرياض) س ١٤: ع ١ (١٩٨٨ / ٥)

ص ١٨١-١٨٣.

٢٠٥٤- مراقده أهل بيت در شام

ص: ٣٠١

(بالفارسية)

أحمد فهري

طهران: أمير كبير، ط ١، ١٣٦٧ ش، ١١٦ ص، ٢١ سم.

٢٠٥٥- مرقد أهل البيت عليهم السلام

جواد شبر

الإيمان (النجف الأشرف) س ١: ع ٩، ١٠ (١٣٨٤ هـ) ص ١٦٤-١٦٥.

٢٠٥٦- المرقاد المقدسة في العراق

عبد الرزاق الحسنى

مخطوط في ثلاثة أجزاء

٢٠٥٧- المرام في أحوال البيت الحرام

مصطفى بن سنان الطوسى

(من مستغرى الروم ١٠٣٢ هـ).

ظ: المهمل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣- ١٤١٠ هـ / ١٠- ١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٨.

٢٠٥٨- المرجاني: مؤرخ المدينة النبوية

عبد القدوس الأنصارى

المنهل (جدة) مج ٣١: ج ٣ (٣ / ١٣٩٠ م / ٥ / ١٩٧٠ م) ص ٣٤٨-٣٥٩.

٢٠٥٩- مرشد الحاج

جدة: الإعلان السعودى،

ط ١، ١٣٩٩ هـ.

٢٠٦٠- مرشد الحاج

جعفر حسن الطريحي

النجف: مط النجف، ط ٢، ١٩٦٩ م، ٨٨ رجب.

٢٠٦١- مرشد الحاج

عبد الوهاب مظهر

طبع في: ١٣٤٧ هـ، ١٠٣ ص.

٢٠٦٢- مرشد الحاج

عماد الدين البحرانى

بيروت: مؤسسة الأعلمى.

٢٠٦٣- مرشد الحاج في تطبيق مناسك الحج

داود صبرى سليمان

بغداد: ١٩٦٣ م.

٢٠٦٤- مرشد الحاج إلى الأماكن المقدسة

محمد حسن غالى

القاهرة: الرحمانية، ١٩٢٣، ٢٠٠ ص.

٢٠٦٥- مرشد الزوّار إلى قبور الأبرار

موفق الدين عبد الرحمن بن أبي الحرم مكى بن أحمد بن محمد الخزرجى الأنصارى الشافعى

ظ: إيضاح المكنون ٢ / ٤٦٦.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٨٧.

ص: ٣٠٢

٢٠٦٦- المرشد العام لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر المصطفى عليه السلام
حسين محمد مصطفى

القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٨ هـ، ٧٦ ص.

٢٠٦٧- مرشدك أيها الحاج

عبد الوهاب الأعظمي

بغداد: ١٩٥٨ م.

٢٠٦٨- مرشد المؤمنة الحاجة إذا فاجأها الطمث

مهدى السماوى

النجف: مطبعة النعمان، ١٩٧٢ م، ١٣ ص (مستل من كتاب وفد الله وحجاج بيته).

٢٠٦٩- كتاب المزار

إبراهيم بن محمد بن معروف، أبو إسحاق المذارى

ظ: رجال النجاشي ١٩.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٧ / ١٠.

٢٠٧٠- كتاب المزار

بعض علماء القرن الحادى عشر

ظ: الذريعة ٣١٧ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٧ / ١٠.

٢٠٧١- المزار

آقا جمال الخوانسارى

ظ: الذريعة ٣١٧ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٧ / ١٠.

٢٠٧٢- كتاب المزار

الحسن بن أحمد بن ريدويه القمى

ظ: رجال النجاشي ٦٢.

الذريعة ٣١٧ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٨ / ١٠.

٢٠٧٣- كتاب المزار

(بالفارسية)

حسين بن الحسن الجيلانى الاصفهانى اللبنانى ت ١١٢٩ هـ.

ظ: الذريعة ٣١٧ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٨ / ١٠.

٢٠٧٤- المزار

الحسين بن عبيدالله السعدى

ظ: رجال النجاشى ٤٢.

الذريعة ٢٠ / ٣١٨.

ص: ٣٠٣

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٨ / ١٠.

٢٠٧٥- كتاب المزار

حيدر بن إبراهيم العطار الكاظمي الحسني ت ١٢٣٤ هـ.

النجف الأشرف: المطبعة المرتضوية (د. ت) ٤٠٠ ص، حجرية.

٢٠٧٦- كتاب المزار

حيدر علي بن محمد حسن الشيرواني

خ: مكتبة السيد المرعشي النجفي، بقلم جمال الدين بن أبي الوفاء، كتابتها ١١٧٠ هـ.

ظ: الذريعة ٣١٨ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٨ / ١٠.

٢٠٧٧- كتاب المزار

داود بن كثير الرقي أبو سليمان

ظ: رجال النجاشي ١٥٦.

الذريعة ٣١٨ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٨٨ / ١٠ - ٨٩.

٢٠٧٨- كتاب المزار

درويش علي بن درویش محمد

ظ: الذريعة ٣١٨ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٩ / ١٠.

٢٠٧٩- كتاب المزار

سعد بن عبدالله بن أبي خلف الأشعري القمي، أبو القاسم ت ٢٩٩ هـ، أو ٣٠١ هـ.

ظ: رجال النجاشي ١٧٨.

الذريعة ٣١٩ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٨٩ / ١٠.

٢٠٨٠- كتاب المزار

شرف الدين محمد بن محمد التبريزي المتخلص بمجذوب

ظ: الذريعة ٣٢١ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٩ / ١٠.

٢٠٨١- كتاب المزار

عبدالله بن عبد الرحمن الأصم المسمعي البصري

ظ: رجال النجاشي ٢١٧.

الذريعة ٣١٩ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٩ / ١٠.

ص: ٣٠٤

عبدالله بن محمد رضا الحسيني الكاظمي ت ١٢٤٢ هـ.

ظ: الذريعة ٣١٩ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٩ / ١٠.

٢٠٨٣- كتاب المزار

على بن أسباط بن سالم يَتَّاع الزُّطَى المقرئ

ظ: رجال النجاشي ٢٥٢.

الذريعة ٣١٩ / ٢٠.

إيضاح المكنون ٣١٩ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٩ / ١٠.

٢٠٨٤- كتاب المزار

أبو الحسن على بن الحسن الزواري

ظ: الذريعة ٢٧٦ / ٢٠.

٣١٩، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٨٩ / ١٠.

٢٠٨٥- كتاب المزار

أبو الحسن على بن مهزيار الدورقي الأهوازي

ظ: رجال النجاشي ٢٥٣.

الذريعة ٣٢٠ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩٠ / ١٠.

٢٠٨٦- كتاب المزار

رضي الدين على بن طاووس الحلّي ت ٦٦٤ هـ.

ظ: الذريعة ٣١٩ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩٠ / ١٠.

٢٠٨٧- المزار

كاظم الغلبيگانی، فرغ منه سنة ١٢٨٣ هـ

خ: الرضويّة، في ٦٦ ورقة

ظ: الذريعة ٣٢٣ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩٠ / ١٠.

٢٠٨٨- كتاب المزار

أبو جعفر محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران بن عبدالله بن سعد بن مالك الأشعري القمّي

ظ: رجال النجاشي ٣٤٩.

الذريعة ٧٨ / ١٢، ٣٢٠ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩٠ / ١٠.

٢٠٨٩- كتاب المزار

أبو الحسن محمد بن أحمد بن داود بن

ص: ٣٠٥

على القمّي ت ٣٦٨ هـ.

ظ: رجال النجاشي ٣٨٤.

فهرست الطوسي ١٣٦.

الذريعة ٢٠ / ٣٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩٠ / ١٠.

٢٠٩٠- كتاب المزار

أبو جعفر محمد بن اورمّة القمّي

ظ: رجال النجاشي: ٣٣٠.

الذريعة ٢٠ / ٣٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩٠ / ١٠.

٢٠٩١- المزار

محمد بن جعفر بن علي بن جعفر المشهدي المعروف بابن المشهدي

خ: مكتبة السيد المرعشي، برقم ٤٩٠٣، في ٤٨٢ ورقة.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢٣، ٣٢٤.

فهرس المرعشي ٨٤ / ١٣.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩١ / ١٠.

٢٠٩٢- كتاب المزار

محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار ت ٢٩٠ هـ

ظ: رجال النجاشي ٣٥٤.

الذريعة ٢٠ / ٣٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩١ / ١٠.

٢٠٩٣- كتاب المزار

أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩١ / ١٠.

٢٠٩٤- كتاب المزار

أبو المفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني

ظ: فهرست الطوسي ١٤٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩١ / ١٠.

٢٠٩٥- كتاب المزار

أبو الفرج محمد بن علي بن محمد بن محمد بن أبي قرّة العيناتي.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣١٧، ٣٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩١ / ١٠.

٢٠٩٦- كتاب المزار

محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد

ص: ٣٠٦

ت ٤١٣ هـ.

تصحيح وتعليق: مدرسة الإمام الهادي عليه السلام

قم: مدرسة الإمام الهادي عليه السلام ١٤٠٨ هـ.

٢٠٩٧- كتاب المزار

أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي

ظ: رجال النجاشي ٣٥٢.

الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩١ - ٩٢.

٢٠٩٨- المزار

(يشتمل على بابين يضمان آداب زيارة النبي صلى الله عليه وآله والصديق الزهراء البتول وأمير المؤمنين والأئمة الأحد عشر من

ولدهما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

للشهيد الأول أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مكّي الجزيني العاملي المستشهد سنة ٧٨٦.

تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام.

قم: ١٤١٠ هـ.

كتاب المزار

أبو عبد الله الديلمي محمد بن وهبان بن محمد بن حماد بن بشر الأزدي

ظ: رجال النجاشي ٣٩٧.

الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

إيضاح المكنون ٢ / ٣٣١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.

كتاب المزار

محمد باقر بن محمد مؤمن السيزواري ت ١٠٩٠ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣١٧.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.

المزار

(في زيارات الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام).

محمد الحسن الطباطبائي، فرغ منه في كربلاء سنة ١١٤٠ هـ.

خ: المرعشي، ٣٣٣١، ١٥١ ورقة، سنة ١٣٥١ هـ.

ظ: هفرس المرعشي ٩ / ١٠٨ - ١٠٩.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.

كتاب المزار

محمد صالح بن عبد الواسع الحسيني

ص: ٣٠٧

الخواتون آبادى الاصفهاني ت ١١١٦ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣١٩.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.

كتاب المزار

المير محمد مهدي

خ: الرضوية

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.

كتاب المزار

يونس الجبجي العاملي

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢ - ٩٣.

كتاب المزار

يونس بن علي القطان

ظ: رجال النجاشي ٤٤٨.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٢.

مزار الآقا باقر

الوحيد البهبهاني بن محمد أكمل ت ١٢٠٦ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٣.

مزار بقيق

(بالفارسية)

علي أكبر حسني

مقات حجب ١: ع ١ (پائيز ١٣٧١ ش) ص ١٥٣ - ١٣٧.

مزار قديم

استظهر الكفعمي أنه مجموع الدعوات لأبي محمّد هارون بن موسى التلعكبري، تاريخ كتابته (٧٤٦ هـ) وصرّح في أول البحار أن

كتابته سنة ٥٧٦ هـ.

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢٣.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ١٠ / ٩٣.

مزار النبائي

(بالفارسية)

حسين بن حسن الجيلاني

الاصفهانى اللنباتى ت ١١٢٩ هـ.

ظ: الذريعة ٣٢٣ / ٢٠.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩٣ / ١٠.

ص: ٣٠٨

مزار المولى إسماعيل الطهراني

(بالفارسية)

مطبوع

ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩٣ / ١٠.

مزارات

(رسالة في مراقب أبناء الأئمة المعصومين في العراق وخراسان ومازندران واذربايجان كتبت أيام عباس الأول الصفوي (٩٩٥-١٠٣٧ هـ)، بالفارسية).

نور الدين محمد بن أبو القاسم حبيب الله واعظ خطيب مدرس اصفهاني

ظ: نشریه ٨ / ١٢٥.

فهرستواره منزوی ١ / ٢٤٨.

مزارات الأئمة

غلام حسين الهندي الموسوي

النجف الأشرف: ٢١ ص.

النجف الأشرف: المطبعة المرتضوية، (د. ت)، ٢١ ص، ٢١ سم، حجرية.

مزارات أهل البيت

محمد حسين الحسيني الجلالی

بيروت: ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.

مزارات إمامان وإمام زادگان

(في ذكر مراقب الأئمة وأبنائهم، بالفارسية)

معين الدين علي بن نصير قاسم انوار

(٧٥٧-٨٣٧ هـ)

ظ: الذريعة ٩ / ٨٦١ «ديوان قاسم انوار».

سنا ١ / ٧٤ [في مجموعة واحدة تشتمل على رسائل عرفانية له ولنعمت الله كرمانی].

فهرستواره منزوی ١ / ٢٤٨.

مزارات خراسان

(بالفارسية)

كاظم مدير شانه چي

١٣٤٥ ش.

مزارات الطالبين

شهاب الدين المرعشي النجفي

(١٣١٨-١٤١١ هـ)

ظ: الموسم مج ٢: ع ٥ (١٩٩٠ م - ١٤١٠ هـ) ص ٢١٤.
معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم ٩٤ / ١٠.
مزيج الاحتياج في حكم منسك المحاج
(ارجوزة في الحج)

ص: ٣٠٩

ميرزا علينقى بن حسن ابن السيد محمد المجاهد الطباطبائي ت ١٢٨٩ هـ
ظ: الذريعة ٢٠ / ٣٢٨، ٢٢ / ٢٧٦.

مسألة في زيارة القبور وقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

صالح بن عبد الله الغماس، كان حياً سنة ١٣٤٠ هـ مخطوط، في: جامعة الملك سعود برقم ٤٠٠١، في ٥ ورقات، بخط المؤلف، تاريخها سنة ١٣٤٠ هـ.

المسائل الاتفاقية بين الأربعة من علماء الإمامية (قسم الحج)

منصور الحبشي

طهران؛ المؤلف، ط ١، ١٣٧٢ ش، ٣٩٢ ص، ١٧ س.

مسائل اجرايى حج - گفتگو با محمد حسين رضايى مسؤول سازمان حج و زيارت (بالفارسية)

مقيقات حج س ١: ع ١ (بائيز ١٣٧١ ش)

ص ١٩١ - ١٨٥.

مسائل حج

(بالفارسية)

أحمد بن محمد مهدي بن أبي ذر

خ: فرهنك مشهد، (ش: ٥ ب).

مسائل حج

(بالفارسية)

الإمام الخميني

طهران: انتشارات الزهراء، ط ١، ١٣٦١ ش.

مسائل الحج

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١ هـ

ظ: رجال النجاشي ٣٩٢.

مسائل وأجوبة في أعمال عمره وحج التمتع الواجبة

محسن الطباطبائي الحكيم

النجف: مط النعمان، (١٩٦٣ م)، ٤٠ ص.

مسائل ورهنماي حج

(بالفارسية)

محمد شفيع عثمانى، محمد حسن بيجارزمي.

الحوزة العلمية المركزية، ط ١، ١٣٦٤ ش، ١٦٠ ص، ٢١ سم.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
 جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).
 قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ
 كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ الْبَحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا(ع)، الشَّيْخُ
 الصَّدُوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه
 المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولا سيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و
 بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠
 الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.
 مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)
 تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب
 الجوامع، بالليل والنهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و
 عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل
 (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافته على أساس معارف القرآن و أهل البيت
 -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواء برامج العلوم
 الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...
 - منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات -
 في أكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.
 - من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبيه، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد
 جَمْعَرَان و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان "ومفترق" وفائي / "بنايه" القائمية
تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائلاً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ والله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩